د. علي القائمي

دور الأم في التربية



دار النبلاء



دور
الأم في التربية


بسم الله الرحمن الرحيم

دور
الأم في التربية

الدكتور علي القائمي

دار النبلاء

الطبعة الخامسة

١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

دار النبلاء

بيروت - لبنان - حارة حريك : شارع القديس خلف البلدية - تلفاكس : ٠١/٥٤١٩٣٠

المقدمة

الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارىء عبارة عن مجموعة من المحاضرات، ألقيت خلال عام دراسي كامل. على مجموعة من السيدات، ولأهمية هذه المحاضرات، جمعت وكان هذا الكتاب، نحن نعتقد، أننا إذا استطعنا تهذيب المرأة، وجعلناها تفهم بوضوح وظائفها وحقوقها، استطعنا بالتالي من تهذيب الرجال والأسرة، إن سعادة وتقدم المجتمع وحريته ورفاهه في الحاضر والمستقبل مرهون بالطريقة التي تفكر فيها أمهاتنا، لذا من واجب كل إنسان، وكل من استطاع معرفة أمهات اليوم والغد وجب عليه أن يشرح لهن واجباتهن تجاه الأسرة والمجتمع.

وإن ما يؤسف له أن بعض النسوة يعشن حياة العرائس والجواري والقيم الكاذبة، وانهن في حالة تردٍ مستمر، ويعتقدن بأنهن في درجة عالية من السمو، لذا نجد أن الكثير من الفتيات والأمهات قررن أن يغيرن حياتهن السابقة والتي كنّ فيها وقتها يعتقدن بأنها الطريق الأصلح. وكتابنا الذي بين أيديكم يوضح الطريق الأفضل في المعالجة لرسم مستقبل زاهر..

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن للأمهات مسؤوليات عظيمة مقابل الله والمجتمع، في رفض القيم المستوردة والعمل بوظائفهن الطبيعية. ومما يؤسف له أن الكثير من النساء في عصرنا الحاضر نهجن النهج الغربي، ونزعن عن أنفسهن وجههن الحقيقي واستبدلنه بقناع زائف، وتركن واجباتهن الحقيقية وذهبن ليمارسن الحرف والأعمال التجارية وليصبحن موظفات وعاملات في الدوائر والمؤسسات الحكومية والأهلية، وفضلن هذه الأعمال على بيوتهن وأولادهن وأزواجهن، وحصلن على مناصب إدارية وسياسية، وتركن أولادهن تحت رعاية دور الحضانة والخادمات، لذا يعتقد، أن جيلنا القادم،

جيل سيفقد عواطفه الإنسانية السامية، لأن الخادمات مهما كن حريصات علىٰ أولادنا، إلا أنهن لا يستطيعن أن يكن أمهات لهم، ولا يستطيعن زرع الحب والعواطف النبيلة كما تفعل الأمهات، إنني كتبت كتابي هذا في الوقت الذي تركت فيه المرأة واجباتها الأساسية وحملت علىٰ عاتقها مسؤولية الرجال، ابتعدت عن بيتها وأطفالها وذهبت لتصبح عاملة وموظفة، تركت حياتها الجميلة المليئة بالحب والصفاء، واختفت خلف الأقنعة والسعادة الكاذبة، لا تجد في حياتها معاني للإنسانية، وأصبح همها الوحيد هو البحث، عن تسريحة جميلة لشعرها تلائم تركيبتها وصبغ وجهها بعشرات الأصباغ، ليس لزوجها وأطفالها، بل لكسب رضىٰ الآخرين، وجلست تنتظر آخر الموديلات المستوردة والقيم الكاذبة، ونسيت تماماً واجباتها كأم وزوجة، حتىٰ ظلّ فكرها وعقلها فارغاً وعارياً من كل مسؤولية، ونسيت أن من واجبها كأم، يجب أن تكون مضحية، ويؤكد الكتاب أن المرأة أسمىٰ من أن تكون موظفة أو سكرتيرة أو بائعة. وأن منزلة الأم أسمى من أي منصب مهما كان، وأن إدارتها لابنها هو الهدف من وجودها. وان الموازين الغربية لا تستطيع أن تمنح العزّة والشرف، علماً بأنه ليس هناك شرف أسمىٰ للمرأة من الشرف الذي يمنحه لها الإسلام، إنها يجب أن تكون بصيرة بأمورها تفكر بعقلها لكي تتمكن من تربية جيل وعائلة سالمة، لا عن طريق التدخين والتجوال في الشوارع أو أن ترمي نفسها في أحضان هذا وذاك..

إن رسالة الأم سامية في هذا العصر وفي كل العصور، وانما إذا أردنا إصلاح المجتمع وإزالة الفساد، فأيّ سلاح يجب أن نستخدم؟

لا شك أن الجواب سيكون، إنّ الأم هي القادرة علىٰ إصلاح المجتمع. ولا تستطيع أي مؤسسة محلية أو دولية علىٰ إصلاح المجتمع، ما لم نبدأ بالبداية بإصلاح الأم. يجب أن نعلمها، كيف يجب أن تربي أولادها.. نستطيع عن طريق الأمهات الصالحات الحصول على الحرية والأمان والخير والسعادة.. إن الكلام الذي يقال ليس كلامنا، إنه كلام الأنبياء والصلحاء والعلماء.. وهناك مقولة لنابليون بونابرت (إن فرنسا بحاجة إلى أم قبل كل شيء) ويقصد بذلك أن فرنسا بحاجة إلى التربية العائلية وذلك من خلال الأمهات الطاهرات..

علي قائمي أميري

القسم الأول

أدوار الأم المتعددة في الحياة الإسلامية

دور المرأة في المجتمع الإسلامي، يكاد يكون كدور الرجل متناسباً مع طبيعتها، لها حقوق وعليها واجبات، نحن لا نشك بأن المرأة تستطيع أن تعمل بجد في الحقول العلمية والاجتماعية والسياسية وتستطيع أن تساهم كالرجل ببناء المجتمع وتتدخل في الحياة الاجتماعية، وتحفظ لنفسها حقوقها المشروعة، إلا أن المنزلة الأولىٰ للمرأة في الإسلام، لتكون عشيقة مخلصة لزوجها، وأمٌ طيبة ومحبة لأولادها. مديرة وربة بيت لبيتها.

الفصل الأول

المرأة كزوجة

للمرأة في المجتمع الإسلامي وظائف عديدة ومهمة، عليها مراعاتها بدقة متناهية وإلا ستسبب لهما مشاكل عديدة تهدد حياتها العائلية والاجتماعية، وإن البحوث والدراسات التي تؤكد علىٰ تحريك المرأة للمطالبة بحقوقها المشروعة، إنها ولا شك ستؤدي إلى تصعيد الاختلافات العائلية والزوجية، وإنها ستمنعها من القيام بوظائفها التي سنّها العقل والعرف الاجتماعي، وستدخل في متاهات يصعب منها الخروج بسهولة إنّ المرأة اليوم أصبحت لها مكانة اجتماعية وإدارية، فهي مديرة ورئيسة وموظفة تعمل بجد، ولا بأس بذلك، شريطة أن تفهم جيداً موقعها في العائلة، علماً أن المرأة المسلمة لم تخلق لتكون موظفة أو سكرتيرة أو تقوم بالدعاية والإعلان عن البضائع التجارية، من الأرجح لها أن لا تتدخل في التناحرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كي تحافظ علىٰ أركان أسرتها.

وإن خير تعريف للمرأة **﴿ومن آياته أن خَلقَ لكم من أَنفسكُم أزواجاً لتسكُنُوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾**[1].

فالزوجة المسلمة، إنسانة اجتماعية، تحب زوجها وأسرتها وتشعر من أعماق قلبها، أن واجبها يدعوها أن تعمل من أجل سعادة زوجها، كما أن

---

(١) سورة الروم: الآية ١٥ [المترجم].

الزوج المسلم يشعر بنفس الشعور تجاه زوجته، يحسن التصرف معها. لا يكون عبوساً ويسليها، ويحاول بكل الوسائل الممكنة خلق جو سعيد. الزوجة الطيبة، صديقة مضحّية، بَنت حياتها علىٰ التفاهم والتعاون، وعرفت مسؤولياتها وواجباتها تجاه زوجها، فهي تعتبر نفسها شريكة حياة زوجها في السراء والضراء، وتقف إلى جانبه وتواجه معه مشاكل الحياة، لا تنظر إلى معايبه وأخطائه بل تستقبله ببشاشة، والزوج في الحقيقة هو بحاجة ماسة إلى مثل هذا الحب والحنان، وبالتالي يستطيع ولا شك من الانتصار علىٰ مشاكل الحياة.

وإذا ما أردنا تعريفاً شاملاً عن خير النساء نعود إلى كلام الرسول الأكرم (ص) حيث يقول: «خير النّساء التي تَسُرُّهُ إذا نظر وتطيعُهُ إذا أمر ولا تخالفُهُ في نَفْسِها وَلا مالها لما يكره»[1].

فالمرأة المسلمة هي بالإضافة إلى كونها زوجة لزوجها، فهي عشيقته تذوب في حبه، وتحاول بكل الوسائل الممكنة أن تغرس حبها بقلبه، ترتب هندامها، وتستقبله بابتسامة مشرقة، ويجب أن تعلم بوضوح أنها في اليوم الذي ترتب نفسها وهندامها وتستقبله بحفاوة تختلف وبلا منازع في أعماق قلب زوجها عن اليوم الذي تقف أمامه بثياب المنزل الوسخة، ولو أمعنا النظر في الأزواج الذين يختارون لأنفسهم معشوقات دون زوجاتهم فذلك ناتج عن أن الزوجة لم تتمكن من أن تكون معشوقة لزوجها في البيت ولم تتمكن من إرضاء رغباته ونزواته، فعلىٰ المرأة أن تتزين لزوجها، وهذا أمرٌ مستحب ويؤكده أولياء الله..

علىٰ الزوجة المسلمة أن لا تترك أمورها للأحاسيس الآنية وتعالج المسائل العقلية عن طريق العاطفة، وتطيع زوجها في حل المسائل والمشاكل المعقدة والتي تحتاج إلى حكمة وعقل وتدبير، فتخلص له، وتستمع إلى نصائحه وإرشاداته وتنفذها بالحرف الواحد، ولا تسمح لمن لا يرتضي عنه زوجها بالدخول إلى منزلها والجلوس علىٰ فراشهما. وأن تكون تصرفاتها متينة، الزوجة المسلمة هي الأمين علىٰ أموال زوجها، والمحافظة علىٰ شرفه

---

(١) نهج الفصاحة ــ الصفحة ٣١٥ [المترجم].

وكرامته في غيابه، وأن لا تكشف عن نقاط ضعفه للآخرين. . وإنها بذلك تعطي لأولادها وبناتها خاصة دروساً في الحياة الزوجية، لتكون ابنتها هي الأخرىٰ، خير من يحافظ علىٰ أركان الأسرة، وخير من يزرع الحب والمحبة في قلب زوجها وأسرتها في المستقبل. إننا لو حاولنا رعاية الموازين والأخلاق الإسلامية السامية في المنزل، لا شك أن السعادة والبهجة ستغمر أفراد العائلة فرداً فرداً، سيحب بعضهم البعض ويضحون بالغالي والثمين من أجل بعضهم. وإن أجر ومكافئة هؤلاء النسوة المسلمات الأخيار لا ينتهي بالسعادة الدنيوية فقط. بل إن السعادة الأبدية ستكون من نصيبهم أيضاً لأن تلك النسوة في أعمالهن، أطعن الله ورسوله وأدين واجباتهم خير أداء.

الفصل الثاني

المرأة كأم

الأم هي أهم منشأ للراحة والمحبة في العائلة وأقوىٰ مصدر لسعادتها، فهي التي تبعث الطمأنينة والسلام والقدرة والقوة والاستقلال في نفوس الأطفال.

إن تكوين الطفل من الناحية العلمية يتم من خلايا الأب والأم معاً، إلا أن العلوم الحياتية تشير إلى أن دور الأم في تكوين الجنين ونقل الصفات الوراثية إلى الطفل أشد من تأثير دور الأب، إضافة إلى أن الرحم يصبغ الجنين بصبغته، أثبتت تجارب العلماء أن اللقاح من الممكن أن يتم خارج الرحم وينتج عنه جنين حي، لديمومة حياة الجنين وتكوينه النهائي هو بحاجة ماسة للرحم، لذا إن دور الأم في تكوين الجنين وخلق الأرضية اللازمة لنموه داخل الرحم وتكامله أمر لا يمكن الاغفال عنه، وهو حياتي ومهم جداً.

من خصائص المرأة وتكوينها الجسدي والروحي، استعدادها لتحمل مسؤولية تربية الأطفال ورعايتهم، ومن الناحية العلمية المرأة تعني الأم وإذا حالت الظروف الطبيعية والاجتماعية دون ذلك، فإنها ولا شك ستصاب بالأمراض الجسمية والروحية، إن هدف الأمومة من الأهداف السامية والتي وضعت على عاتق المرأة، وهي بلا منازع، مظهر من مظاهر اللطف والصفاء والعناية والمحبة للطفل.

يحتاج الطفل بطبيعة تركيبه وحجمه وضعفه إلى حب وأحاسيس رقيقة، يحتاج إلى حب وتضحية إنسان عاشق ومضحي، يهدي بإخلاص كل ما عنده

إلى صغيره وحبيبه، وهذا المخلوق العاشق المضحي بالغالي والثمين لا يمكن أن يكون سوىٰ الأم، الأم تسهر الليالي لتلبي متطلبات حبيبها الصغير، وفلذة كبدها العزيز، تضمه إلى صدرها وتبعث الطمأنينة في قلبه الصغير، يبدأ حبها عندما تشعر أن هناك حملاً، ويشتد عندما يرىٰ حبيبها القادم النور. إنها مظهر من أعلىٰ مظاهر الحب السامية، والإنسانة المحبوبة في البيت، بحنانها وعاطفتها تجعل من بيتها جنة وبكلماتها الجميلة تسعد أفراد أسرتها، بأعمالها وتصرفاتها تجعل من بيتها المدينة الفاضلة، فتقوم ببناء أبنائها بناءاً صحيحاً وتشع الفرحة والبهجة من البيت، وتضحك الوجوه البريئة فرحةً عندما تلتقي بوجه الأم الضاحك، فهي التي تبني زمامها بيد الأم، وإنها المسؤولة عن البناء والتغيير الضروري في هيكل أعضاء الأسرة الروحي والجسمي، خاصة إذا كانت سياساتها منسجمة مع سياسات الأب، إذا ما اعتبرنا التربية أمراً دائماً ومستمراً، يمكننا القول ان الطفل وخلال السنوات السبع الأولىٰ من عمره يستمد تصرفاته وعاداته من تصرفات وعادات الأم، وان هذه العادات والتصرفات التي اكتسبها من الأم ستؤثر ولا شك علىٰ شخصيته عندما يكبر، وستبقىٰ عالقة فيه، وبالنهاية إن تأثير الأم سيكون هو الغالب علىٰ الأطفال، فالأم هي التي ترسم شخصية الطفل وتصنعه، إنّ عملها حساس وظريف للغاية، بأناملها الرقيقة تلاطفه، وبقلبها المحب تزرع الثورة والوجود في كيانه، بملاطفة رقيقة تزيل الهموم عن قلبه الصغير وتسكن آلامه. وبترديد كلمات جميلة وساحرة، تهدىء طفلها وتجعله يرتاح وينام.

تصرفات الأم تشكل البناء الداخلي والخارجي للرجال، وتبعد الطفل من عالم الرياء والكذب والحقد والحسد وتزرع في قلبه الحب والصفاء والخير له ولغيره.

الأم مدرسة الأجيال، فهي التي تقوم بزرع الصفات الطيبة في الطفل وتهدي طفلها ليكون في المستقبل رجلاً مهماً في المجتمع، وإن رجال الأعمال والعلماء الكبار يرون أنهم مدينون لأمهاتهم، لولا تلك الأمهات لما توصلوا إلى ما صاروا عليه اليوم، ولنابليون بونابرت مقولة «إن ما توصلت إليه اليوم هو من عند أمي» ويقول أيضاً: «إن وراء كل رجل عظيم امرأة».

نستنتج مما جاء، إذا استطاعت الأم أن تربي ابنها وفق المعايير الإسلامية

والإنسانية ووضعت نصب عينيها موازين التقوىٰ والفضيلة، فإن عملها ولا شك، عمل كبير وعظيم وشريف، وأن ليس هناك أكبر وأعظم وأشرف من عمل الأم علىٰ وجه الكرة الأرضية، إنه أهم من عمل مئات الأساتذة والمعلمين نظراً لأهمية عملها وتأثيرها في تكون خصائص وطباع وأخلاق الطفل، وإن ما يقال عن الطفل يرتبط ارتباطاً كلياً بالأم.. [يقول الرسول الأكرم (ص): إن الجنة تحت أقدام الأمهات، فالأمهات بأعمالهن وتصرفاتهن الصحيحة وبالجهود التي تُبذل لتربية جيل من الرجال الصالحين، ستكون الجنة ولا شك تحت أقدامهن][1].

إذن نستطيع القول حسب ما جاء، ان الولادة عمل سهل إلا أن الصعوبة تكمن في أن تكون المرأة أمّاً. والمقصود بالأم ليست تلك التي تحمل الطفل في بطنها تسعة شهور وتحضر له الطعام، وتعتني بملابسه، فإن هناك العديد من النسوة يقمن بهذه الوظائف، إلا أن إطلاق عنوان الأم لا يليق بهنّ، فلكي تكون المرأة أماً، عليها أن تتحمل المسؤوليات التربوية والأخلاقية والروحية، فتربي طفلاً فيه فضائل الإنسان، تقي، شريف، عفيف، عطوف، عادل، صادق، أخلاقه حميدة، وقلبه كبير، يحب الخير للجميع، إذا ما استطاعت تحقيق هذه المواصفات في طفلها نستطيع أن نطلق عليها تسمية الأم شريطة أن تعرف كيف تهدي طفلها إلى الطريق القويم، وإن أنفاس الطفل والمجتمع يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأم.

يجب علىٰ الأم أن تربي أولاداً شرفاء، يفيدون المجتمع والوطن. يجب أن تعلم أولادها علىٰ تحمل المسؤوليات، وانها يجب أن تكون مظهراً من مظاهر العدل والعاطفة، بعيدة عن الخوف والهلع أفكارها طاهرة وتريد الخير للجميع.

فالمرأة كالأم يجب أن ترجح وظائفها نحو أطفالها علىٰ زوجها، وتقوم ببناء الأطفال بناءاً سالماً، ولكي يكون البناء قويماً وسالماً، فهي وبلا شك بحاجة إلى أعصاب هادئة وروحية عالية.

---

(١) [المترجم].

إنّ أساس المشاكل العائلية اليوم، ينصب في أن الأمهات يتركن صغارهن بيد المربيات وينصرفن للأعمال خارج المنزل. لغرض كسب الأموال وصرفها على زينتهن وآخر أزياء الملابس، وإن الأم لا تستطيع أن تكون أماً ما لم تضع همها وفكرها وأحاسيسها من أجل بناء أطفالها وعليها أن تفتخر بذلك، فالطفل يحتاج إلى حماية وحب وعاطفة وأحاسيس، لا إلى أموال وتجملات، فما فائدة تصدي الأم لإدارة دائرة ولا علم لها بما يعاني أولادها، أعتقد بأنه اتضح لنا دور الأم، ولكي تكون الصورة أشد وضوحاً، علينا زيارة دور الأيتام وسجون الأحداث وننظر بدقة متناهية إلى الوجوه المذنبة، لا شك أن هذه الوجوه الصغيرة ستشير إلى أن أمهات هؤلاء الأطفال هم السبب في كل ما وقع، فالذنب كل الذنب يقع على الأم التي تركت طفلها دون أي عناية تذكر، وإن هؤلاء النسوة لا يليق أن نطلق عليهن تسمية الأم. فإنهن تركن أولادهن وذهبن نحو أهدافهن الرخيصة. عندها يجب أن نقف موقف إجلال واحترام أمام الأمهات اللواتي عرفن واجباتهن المقدسة تجاه أولادهن، وأنجبن أولاداً شرفاء، استطاعوا أن يكونوا سبباً في سعادة العائلة والمجتمع.

الفصل الثالث

المرأة كربة بيت

خلقت المرأة أساساً لتتحمل مسؤولية إدارة الأسرة ولتربي أولادها. ولا شك انها تشعر بفخر واعتزاز وأنها تؤدي دورها الطبيعي في الحياة. ولقد أثبتت التجارب والبراهين أن المرأة التي لم تنجب ولم تتزوج ستكون أسرع وقوعاً وأشدُّ مرضاً من المرأة المتزوجة، وان النسوة اللواتي لم ينجبن ستجدهن من الناحية النفسية والروحية كئيبات وأن اللواتي يمتنعن عن إرضاع أطفالهن يعجزن بسرعة.

ومن المؤسف جداً أن نجد بعض النسوة اللواتي يودن أن يتصفن بصفات الرجال ويمتنعن عن أداء واجباتهن الطبيعية. لذا من الناحية العقلية والعلمية علىٰ كل فرد من أفراد المجتمع أن يعمل ويتصرف وفق الأسس التي وضعت له. والمجتمع الطبيعي والسالم، هو الذي تجد أفراده يتصرفون ويعملون فيه وفق استعدادهم الحقيقي، وعلىٰ هذا الأساس، فإن النساء اللواتي يتمنين أن تكون لهن مسؤوليات الرجال يقعن في أمرٍ خاطىء، وانه مرض من الأمراض التي ابتلين بها، والأمر ينطبق أيضاً علىٰ الرجال الذين يحاكون النساء، فالمجتمع الذي تجد أعضاءه قد لطخوا وجوههم بالأصباغ المستوردة والماكياج واختفت شخصيتهم الحقيقية خلف الأقنعة ستضيع فيه الموازين والقيادة في الأسرة والمجتمع وبالتالي إن أفراد ذلك المجتمع لا يعرفون كيف يتصرفون والنسوة بحكم كونهن نساء عليهن واجبات يجب مراعاتها، وأهمها تربية الأولاد ولكي يتمكنَّ من أداء هذا الواجب عليهن مراعاة هذه الأصول..

١ ـ إدارة المنزل

كي تستطيع المرأة تربية أولادها، يجب أن يكون لها مكان آمن وهادىء، ويكون باستطاعتها أن تتصرف في المكان وفق ما تشاء، مع وجود بعض الوسائل الترفيهية اللازمة. وهذا المكان بلا شك ليس هو الدائرة أو العمل. فهي بحاجة إلى أن يكون لها رأي يسمع لتربي من خلاله أولادها، ومن المؤكد أن هذا الرأي لا يرتبط إطلاقاً بالشؤون السياسية.

فالبيت هو المكان الوحيد الذي تستطيع فيه المرأة أن تربي أولادها ولتقول كلمتها وهي مرتاحة الخاطر، وإذا تمكنت من الحصول على المكان الذي تستطيع أن تقول فيه كلمتها النهائية، استطاعت بالتالي من إدارة البيت وتربية الأولاد، فلكي تستطيع ذلك، يجب أن تكون كلمتها هي المسموعة، ورأيها هو المطاع، وأنها تستطيع بالتالي أن تدير بيتها في جو مشحون بالحب والعفة والاحترام المتبادل وتتصرف بحكمة وعقل وتسعد أفراد أسرتها فالبيت هو للمرأة وكما قال الرسول الأكرم (ص): «المرأة سيدة بيتها ومسؤولة عن رعيتها»[١].

٢ ـ اقتصاديات المنزل..

تنظم سيدة المنزل اقتصاديات الأسرة، فتضع نصب عينيها دخل العائلة وتسعى صادقة حريصة مسؤولة بتنظيم مخارجها حسب الأولويات اللازمة، وهي بذلك تكون إلى جانب زوجها تثمن جهوده في تأمين الدخل، فتدخل السرور إلى حياة الأسرة، وتنظم الأرضية اللازمة لإدارة العائلة.

السيدة المفكرة، إذا ما رأت أن الوضع المادي للعائلة جيد، هذا لا يعني أن تسمح لنفسها بأن تنفق أكثر من اللازم أو تسرف في الإنفاق، إنها تعلم أن الدخل والثروة هما لتأمين المعيشة الطبيعية، لا للبذخ والإسراف والتباهي، فتدخر محتاطة لمساعدة المحتاجين وبناء مجتمع متوازن، فاقتصادها المنطقي والصحيح يكون سبباً في أن يتمكن زوجها من المشاركة في تأسيس المؤسسات الخيرية..

---

(١) نهج الفصاحة ــ [المترجم].

من العوامل المهمة في إدارة البيت، الابتعاد نهائياً عن الكماليات ومغريات الحياة اللامنتهية، إنها تعلم أن أكبر رأس مال لها هو تربية أولاد صالحين وشراء كتب للرفع من ثقافة أعضاء الأسرة، وان ذلك أحسن بكثير من اقتناء الألبسة الجميلة والفاخرة والسجاد ووسائل الراحة الترفيهية. .

٣ ـ النموذج. .

سيدة المنزل، هي الميزان والنموذج الصحيح لأعضاء الأسرة وخاصة طفلها الذي يقتدي بها، فسيدة المنزل تؤثر وبلا شك على هيكلية وأخلاقية وتصرفات أولادها. . في البيت الذي تكون فيه الأم لاابالية ولا تهتم بشؤون الأسرة والبيت، أخلاقها رديئة، وتصرفاتها لامسؤولة، تسب وتلعن، قاسية، يصعب تحملها، فمن الصعب أنْ تجد في ذلك البيت طفلاً طبيعياً، فإن أي تصرف تقوم به ربة المنزل كطريقة ارتدائها للملابس أو إدارتها للبيت، صبرها. عصبيتها. . الخ، ينعكس بالتالي علىٰ أبنائها ويؤثر عليهم. .

المسؤولية العاطفية. .

الأم هي قلب البيت النابض، ومظهر الحب والعاطفة والعشق والأحاسيس، والمحبة والصفاء، وانها أساس سعادة الأطفال. فهي تستطيع أنْ تجعل أفراد أسرتها سعداء ومن أهل الجنة، كما قال الرسول الأكرم (ص): «الجنة تحت أقدام الأمهات». أو تجعلهم مجرمين، تزرع المفاسد والحقد في قلوبهم، كما تستطيع أن تكون ينبوع الفضيلة، إنها درس من دروس التقوىٰ والخوف من الله عز وجل. إنها المرشد والنافذ إلى قلب أفراد العائلة. إنها تستطيع أن تقوّم شخصيات الأسرة، أو تجعلهم عصاة وضعفاء، في الوقت الذي تكون فيه الأم قلقة وغير مرتاحة، يجب أن تحافظ علىٰ أعصابها وتجمع زمام أمورها، فالبيت الذي تكون فيه الأم قد فقدت أعصابها يكون أشبه بالجحيم ووكر البؤس للأطفال المظلومين.

المرأة والحالة العامة للبيت. .

الحالة العامة للبيت تؤثر وبلا شك علىٰ أعضاء الأسرة، لذا علىٰ سيدة المنزل المفكرة أن تجعل بيتها يسوده الحب والتفاهم والحنان والصلح والصفاء،

وإذا ما حدثت مشكلة في البيت ولم يتوصل أعضاء الأسرة للتفاهم فيما بينهم ـ وقد يكون مصدره من خارج البيت ـ علىٰ سيدة المنزل أن تتدخل لتجد الحل اللازم فتتصرف بمتانة وإنصاف وصبر ليعم الهدوء والمحبة مرة أخرىٰ البيت والأسرة.

القسم الثاني

ماهية الأمومة

الأمومة تعني قبول مسؤوليات مهمة وعظيمة من ناحية، ومن ناحية أخرىٰ، الدخول إلى عالم الأسرة والجماعة، والأمومة فضيلة كبرىٰ من الفضائل السامية والعظيمة، وصفها الباري عز وجل في وجود المرأة اللائقة، الأمومة مسؤولية كبرىٰ يتربىٰ تحت ظلالها شخصيات فاضلة، علماء وأدباء، في هذا القسم من الكتاب، سنتحدث عن ماهية الأمومة ومنزلتها وأهميتها من وجهة نظر الدين والعلم ودورها في بناء المجتمع.

الفصل الأول

ما هي الأمومة.

لم تكن قضية الأمومة خاصة بالإنسان والمجتمع الإنساني فقط، بل إنها قضية موجودة عند الحيوانات، مع اختلاف الدافع. فالدافع عند الحيوانات غريزي وأقل شدة بما هو عند الإنسان، وإن مسألة الأمومة تختلف باختلاف ثقافة وتركيبة المجتمع البشري، وإنه على استعداد أن يستقبل صغار غيره من نفس الفصيلة ويعتني بهم، إلا أن هذه الرغبة تختلف عند الإنسان باختلاف التربية والحب والثقافة، وإن هذه الرغبة لا نجدها على حدٍّ سواء في جميع المجتمعات البشرية، إلا أن هناك وجوه مشتركة وأقلها الحب الفطري واستعداد المرأة للقيام بوظائف الأمومة، وضع الله سبحانه وتعالىٰ الحب الفطري في قلب الأم تجاه صغارها لرعايتهم، وإن هذا الحب نجده واضحاً وجلياً في سنوات الشباب والبلوغ ويصل إلى أعلىٰ درجات الكمال في مراحل الحمل.

من هي الأم؟

الأم هي الإنسانة التي تقوم بحمل صغيرها بين أحشائها قرابة تسعة اشهر، ومن ثم تقوم بتربيته والعناية به، وإنها لا تطمح بجزاء مادي أو معنوي لقاء أتعابها، إنها العين الساهرة والمراقبة، تسهر الليالي من أجله، لا من أجل أن يأخذ بيدها في سنوات العجز والمشيب، وتضع حياتها (في أوقات كثيرة) علىٰ حافة الموت من أجل عزيزها، ولا تريد له سوىٰ الخير والسعادة والهناء، فالأم ملاك من ملائكة السماء علىٰ الأرض استعارت جسد الإنسان وتتصف بالصفات السامية والقدسية والملكوتية..

ما هي الأمومة..

الأمومة حالة ترىٰ أن الصفات السامية للجمال تتجسم في تربية ورعاية أبنائها، ومن أجل ذلك تضحّي بكل الأشياء وتتنازل عن رغباتها الخاصة، وللوصول إلى سعادة أبنائها، فهي لا تميز بين القبيح والجميل.

الأمومة فضيلة ملكوتية، تجسدت في كيان الإنسان الترابي وتجلت فيها جميع معاني، الصراحة، الصدق، الحب، الصفاء، العدل، والتقوىٰ الجميلة، إلى جانب اسم الأم تجد الفضيلة، الحب، الإخلاص، التضحية بالمال وترك ملذات الحياة والراحة.

الأمومة، علم عميق وأصول دقيقة تجدها في أعماق ربة المنزل، والتي تؤدي إلى الكمال والتخصص في تربية الأبناء بدون أي طمع أو مصلحة خاصة، وإن أي خطأ أو اشتباه سيؤدي إلى ضياع جيل وفساد مجتمع، والمراقبة من المجتمع، لا شك سيؤدي ذلك إلى ظهور مجتمع محب ومتكامل يريد الخير للجميع.

الأمومة، فن ظريف وجميل متقن، والعمل فيه يستوجب زمن، يتم العمل فيه بدقة متناهية وتخصص كافٍ ونتيجة هذا الفن الظريف هي تربية إبنٍ بارٍّ، محبٍّ، عادل، يحب الخير للجميع، متقٍ، متكاملٍ، ويعمل من أجل رفع راية الحق.

قلنا ان الأمومة فن، ذلك لأن عمل الأمومة تربية الأبناء، وصناعة الإنسان، تربية الرجال الأخيار، ووضع الأسس الأخلاقية والإنسانية، وصنع مجتمع صالح للغد القادم. ومسك زمام وقلب المجتمع النابض، وإدارة العائلة وتنظيم أمورها، وإن هذه الأعمال لا يمكن أن يقوم بها إنسان جاهل أو بسيط ساذج.

خصائص الأم..

الأم حب بدون شروط، حب وأحاسيس. حب دون أن يتدخل فيه العقل، قوي وعميق وأعمق من أي حب آخر، حب لا من أجل مادة أو جزاء معنوي، حب ضروري لإنسان جديد، لا حول له ولا قوة، إنسان لا

يستطيع الدفاع عن نفسه حتىٰ مقابل بعوضة. حب لإنسان بحاجة ماسة لهذا الحب لنموه ووجوده. حب لإنسان بريء.

للأم عواطف جياشة مليئة بالحب والحنان والتضحية والإيثار، لتربية أبنائها وإنقاذهم من مخاطر الحياة، ومن أجله تستسلم لمخاطر الحياة وتنسىٰ ملذاتها ولحظاتها الجميلة حتىٰ وإن كانت من دون عودة.

الأم مضحية، وهذه التضحية مظهر من مظاهر شرف الأمومة، تنسىٰ نفسها من أجل تحقيق أهداف ابنها، إنها وأمام جمال الدنيا وسعادتها لا ترىٰ سوىٰ عزيزها، ولا يستبدل ابنها بأي شيء كان، فهي تسهر الليالي الطويلة، تراقب ابنها المريض بقلب ولهان دون أن تشعر بالتعب والعجز حتىٰ لحظة واحدة.

وظائف الأم

من الخطأ أن نعتبر عملَ الأم، عملاً بسيطاً ومتواضعاً، فإن مقامها ليس بأقل من مقام مدير عام أو تصدي لوزارة. فالأم الجيدة أحسن من مائة طبيب ومهندس، وإن مقامها أرفع من مقام مائة معلم ومربي، فهي التي تربي الإنسان تعلمه الأدب والمعرفة، تعلمه الأخلاق، عملها صناعة الإنسان، زرع الحب والفضيلة في نفسه، زرع الحب المعنوي في النفوس فالأم الجيدة تضحّي بغرورها وملذاتها من أجل عزيزها، حتىٰ أنها علىٰ استعداد تام لسد دفاتر حبها وحياتها لمدة زمنية وفتح صفحات جديدة في حياتها من أجل تربية إبنها ونسيان ذاتها، وإن هذه التضحيات في الحقيقة يجب أن نقف أمامها موقف إجلال وتعظيم.

شروط الأمومة:

من الخطأ أن نعتبر أن شروط الأمومة تعني حمل الطفل قرابة تسعة أشهر ومن ثم الولادة والرضاعة، وعدم الاهتمام بالأمور الأخرىٰ. ومن شروطها تقميط الطفل وتغيير ملابسه، فلكي تكون الأم، أماً بالمعنىٰ الحقيقي عليها تربية الطفل بالمعنىٰ العلمي والصحيح والذي يؤكد عليه الدين الإسلامي الحنيف، حيث يبدأ عمل الأم الحقيقي من الساعات الأولىٰ للحمل، وينتهي

دورها مع انتهاء فترة التربية الأساسية، وان مسؤولية الأم في هذه المدة، هي التربية الجسدية والعقلية، وبالتالي صناعة الإنسان.

والمهم في هذا المجال إلمام الأم بالمسائل التربوية والصحية والنفسية والاجتماعية، حتىٰ تتمكن من تطبيقها في تربية ابنها، إنها بحاجة ماسة إلى الإنصاف والمتانة والقوة والثقافة والبعد الفكري والقدرة علىٰ صناعة النفس، المسامحة والتضحية، الحب، ورعاية أصول التعادل والعدالة والموازنة في جميع جوانب الحياة والابتعاد عن الأفكار الصبيانية. لذا وعلىٰ هذا الأساس، فليس كل امرأة يليق بها عمل الأمومة، وإن المرأة التي لا تفتخر بعملها كأم من الأرجح أن لا تكون أماً..

مسؤولية الأمومة

إن صعوبة دور الأمومة تكمن في مسؤوليتها الصعبة تجاه نفسها وزوجها وأولادها والمجتمع والله عز وجل، إنها وقبل أن تقوم بصناعة الآخرين عليها أن تقوم بصناعة نفسها وإن ذلك لا يعتبر أمراً سهلاً وبسيطاً..

الفصل الثاني

الأم من وجهة نظر عقائدية

لتحسين وضع المجتمع البشري وإصلاح شؤون حياة البشر اعتبر الإسلام المرأة الصالحة أساس المدنّية، من أجل أن يكون للمجتمع البشري أبناء صلحاء يقع علىٰ عاتقهم بناء الغد القريب والمستقبل المشرق، وجه الإسلام الأنظار إلى الأم الطيبة واعتبرها هي المسؤولة عن هذا البناء الإنساني العظيم الشامخ والطيب وأوصىٰ كثيراً بانتخابها [وقد قال رسول الله (ص): من رَزَقه الله امرأة صالحة، فقد أعانهُ علىٰ شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي][1].

لقد أولىٰ الإسلام للمرأة مرتبة عالية وسامية، في حين ان منزلتها كانت قبل ظهور الإسلام باهتة الألوان، فالرجل يسودُ وجهه حين يرزق ببنت، فالمنزلة التي أولاها الإسلام للمرأة كبيرة وعظيمة إلى درجة أنها ليست بحاجة إلى الظهور في الأزقة والشوارع لتكسب قلوب الناس، وإننا إذا وقفنا علىٰ الوصايا التي أوصاها الإسلام بالمرأة لاتضحت لنا معالم هذه المنزلة. وقد أوصىٰ الرسول الأكرم (ص) بها في أخبار وروايات عديدة، حتىٰ في آخر لحظات حياته الشريفة وهو يودع الدنيا الفانية، ونجدها في القرآن الكريم متمثلة في حواء، مريم، وأم موسىٰ..

وإذا ما أردنا مقايسة منزلة الرجل والمرأة، لرأينا أن الإسلام ساوىٰ بين

---

(١) نهج الفصاحة ـ [المترجم].

الرجل والمرأة، بل رجح كفتها في أحيان كثيرة، حيث قال الرسول الأكرم (ص): «ساووا بين أولادكُم في العطية، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء»[1]، وتتضح صورة المساواة بين الرجل والمرأة في الواجبات العبادية، فما علىٰ الرجل من صلاة وصوم وما شابه ذلك فهو علىٰ المرأة أيضاً. فتستطيع المرأة الطيبة الطاهرة كالرجل الطيب الطاهر أن تكون عزيزة كريمة عند ربها، وأجرها لا يقل عن أجر الرجل وإن المرأة الصالحة الطاهرة ترجح على ألف رجل غير صالح، وإن المرأة التي تعتني بزوجها وتدير بيتها وعائلتها، فإن الله عز وجل وفي يوم الجزاء يغلق سبعة أبواب من أبواب النار في وجهها ويفتح لها ثمانية أبواب من أبواب الجنة. بالإضافة إلى كل ما جاء، فالمرأة في الإسلام هي سيدة بيتها، فقد جاء في الحديث الشريف: «كل نَفس من بني آدمَ سيد، فالرجل سيد أهله والمرأة سيدة بيتها»[2].

شروط احترام المرأة

إنَّ احترام المرأة في الإسلام، لا من أجل جنسها وكونها امرأة، بل من أجل أمومتها، والمرأة لا تعني تلك التي تحمل ابنها بين أحشائها قرابة تسعة أشهر وتنجب، بل إنها تلك التي تعمل ضمن واجباتها التي حددها لها الشرع والعقل في تربية أولادها تربية إسلامية والاعتناء بهم، ضمن وجهة نظر الإسلام. إن الأم المنجبة والطائشة والشريرة والتي لا تعتني بتربية أولادها لا يليق بها تسمية الأمومة والاحترام، مثلها مثل الرجل، فالرجل الشرير والذي لا يهتم بأولاده لا يليق به تسمية الأبوة.

يتضح مقام المرأة في الإسلام في ظل احترامها القانون الطبيعي والشرعي والذي يؤكد علىٰ تقبلها مسؤولية تربية أولادها. فهي مسؤولة علىٰ زرع القواعد الإيمانية والأخلاقية عند طفلها شرعاً وأمام الله، وليس من الشك فهي الأخرىٰ مسؤولة أن تتعلم وسائل التربية الإسلامية الصحيحة، كي تستطيع بالتالي إدارة دفة تربية أولادها. وإذا ما استطاعت المرأة، الأم، من

---

(١) نهج الفصاحة ـ [المترجم].

(٢) نهج الفصاحة ـ [المترجم].

الوصول إلى كافة المواصفات التي ذكرناها في الأم الطيبة فهي أشبه بالملاك..

الأم الطيبة

تستطيع الأم الطيبة والطاهرة، أن تبني مجتمعاً مثالياً، ذلك لأنها في الحقيقة هي المسؤولة عن بناء جيل المستقبل، وقد أوصىٰ الرسول الأكرم كثيراً في انتخابها وأكد علىٰ المرأة الصالحة، فقد قال (ص): «من سعادة المرء الزوجة الصالحة»[1]. كما نقل عن الرسول (ص): «أتىٰ رجل النبي (ص) يستأمره في النكاح. فقال الرسول (ص): انكح وعليك بذات الدين تربت يداك» وفي الإسلام تأكيدات كثيرة علىٰ الزواج من المرأة الطيبة، يكفي أن نشير إلى زواج عبد الله، أبي الرسول الأكرم (ص). فأكد عبد المطلب جد الرسول (ص) على وصايا الرسل السابقين في انتخاب المرأة، وأن زواج علي بن أبي طالب (ع) من فاطمة الزهراء جاء لطيبتها ومكانتها..

اطمئنان المرأة..

أكد الإسلام علىٰ أن المرأة سيدة بيتها، وأن عملها الأمومة وتربية الأولاد ورعايتها، ولكي تتمكن من إدارة بيتها وأولادها، يجب أن تكون مرتاحة البال من الناحية المالية، فأكد الإسلام أن المسؤولية المالية تقع علىٰ عاتق الأب، في حين تكون الأم المسؤولة عن تربية الأطفال وصناعة رجال المستقبل، وأكد الإسلام أن المرأة إذا أرادت أجراً على رضاعة أبنائها فإن هذا هو أمر طبيعي ومن حقها وعلىٰ الزوج أن يدفع لقاء ذلك..

(وقد نقل عن أبي عبد الله (ع) في رجل مات وترك إمرأة ومعها منه ولد فألقته علىٰ خادم لها فأرضعته ثم جاءت تطلب رضاع الغلام من الوصي فقال: لها أجر مثلها، وليس للوصي أن يخرجه من حجرها حتىٰ يدرك ويدفع إليها ماله)[2].

---

(١) وسائل الشيعة ـ الصفحة ٣٣ الجزء ١٤.

(٢) وسائل الشيعة ـ الصفحة ١٥ ـ الجزء ١٧٩ [المترجم].

أثر وجود الأم:

الأم الطيبة الطاهرة هي أساس الخير والهدوء والوقار، فهي التي توجد القلوب الرؤوفة المحبة الصادقة، إنها هي التي تنقل خصائصها الإنسانية السامية لطفلها وبالتالي للمجتمع، فالجنة تحت أقدامها. ذلك لأنها السبب في سعادة البشرية وبالتالي تليق بها الجنة..

الأجر الدنيوي للأم..

رسم الإسلام بأفكاره لوحة زاهية، جميلة للأم. لوحة تجد فيها ألواناً تزهر بالحب والحنان، لوحة تجد فيها الجميع يحيطون الأم ويعظمونها باحترام بالغ، فهي سيدة المنزل، لا تفكر في أمر معاشها ومعاش بيتها وأطفالها. ولا تفكر بالأمور التي تحدث خارج المنزل ولا تقلق نفسها من أجل ذلك، وهي لصيقة بثمرة كبدها وعزيزها، والزوج مكلف باحترامها والوقوف إلى جانبها، ولا يطالبها بشيء، سوىٰ المشاركة الجنسية وهي أيضاً لها شروطها وقواعدها. كما لا يستطيع أن يجبرها علىٰ القيام بشيء ترفضه، حتىٰ أنه لا يستطيع إجبارها على رضاعة طفلها. فلها احترامها الخاص أمام أولادها وقد أكد الإسلام العزيز علىٰ ذلك ونزلت آيات كثيرة بحقها، منها: **﴿وبالوالدين إحساناً﴾**، (سُئِل أبو عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل: **﴿وبالوالدين إحساناً﴾**، ما هذا الإحسان؟ فقال: الإحسان أن تحسن صحبتهما، وأن لا تكلفهما أن يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين)[١].

فالأم احترامها مقابل أبنائها، وهذا الاحترام تؤكد عليه العقيدة الإسلامية، وإن احترامها أرفع من احترام الأب. جاء رجل إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله من أبرّ؟ قال: أمّك، قال ثمّ من؟ قال: أمّك، قال: ثم من؟ قال: أمّك، قال: ثم من؟ قال: أباك..

الأجر الأخروي للأم..

إن الأجر الأخروي للأم كبير وعظيم وقد مُلئت صفحات كتب

---

(١) وسائل الشيعة ــ الصفحة ٣٠٤ ــ الجزء ١٥ [المترجم].

الأخلاق والعقائد بذلك وقد جاء في الأحاديث والروايات أن أجر المرأة الحامل كأجر الشهيد فيما إذا توفيت أثناء الولادة وذكر عن الرسول الأعظم (ص) «حاملاتٌ والداتٌ مرضعاتٌ رحيماتٌ بأولادهنّ لولا ما يأتين إلى أزواجهن دَخَل مصلياتُهنَّ الجنّة»[1].

وسُئِل الرسول الأكرم (ص) عن جهاد المرأة، فأجاب (ص): «الحج جهاد كل ضعيف وجهاد المرأة حُسن التبعُّل»[2]. كما أن المرأة الصابرة في بيت زوجها كالمجاهدة في سبيل الله.

(١) نهج الفصاحة ـ الصفحة ٢٨٣. أبو القاسم بانيده [المترجم].

(٢) نهج الفصاحة ـ الصفحة ٢٩٥. أبو القاسم بانيده [المترجم].

الفصل الثالث

الأم من وجهة نظر العلم..

الأم والصفات الوراثية:

نتيجة تزاوج خليتي الأب والأم يتكون الجنين من صفات مشتركة من الأبوين بالتساوي من الناحية العلمية، إلا أن الصفات الوراثية المنتقلة من الأم والتي تؤثر على شخصية الطفل وتساعد في تكوين شخصيته أشد من الصفات المنتقلة من الأب وذلك للأسباب التالية..

١ ـ دور الأب الوراثي ينتهي بعد انتقال النطفة، إلا أن دور الأم يستمر تسعة أشهر ألا وهي فترة تكوين الجنين والولادة ومن ثم تستمر عامين حتى فطامه من ثدي أمه، ويرتبط بأمه ارتباطاً وثيقاً عن طريق الدم والحليب.

٢ ـ دور الأب دور فيزياوي قابل للانتقال، إلا أن دور الأم غير قابل للانتقال، بمعنى آخر كل جنين كي يتكامل وينمو يحتاج إلى رحم الأم وبحجم معين وحرارة معينة حتى يأخذ شكله النهائي (تجربة Bataillon Loeb).

٣ ـ تتزاوج خلية نطفة الرجل مع بيضة الأم لينتج منها الجنين، إلاّ أن جميع (البروتوبلازم) هو من الأم.

٤ ـ تشعر المرأة من الناحية النفسية والجسمية وبدون طفل بالصغر والنقص وهذا الإحساس يكبر وينمو عند الطفل فهو الآخر يشعر بأنه بحاجة إلى الأم هذا من جانب ومن جانب آخر يجعل المرأة أن تتقبل الموضوع الموجود وتتحمل مسؤولية تربية الطفل لبقاء النسل البشري.

أهمية دور الأم:

يقع الإنسان في حياته تحت تأثير ثلاثة عوامل تربوية تؤثر على تكوينه النهائي..

١ ـ العامل الطبيعي:

يشمل هذا العامل، العامل الوراثي، محيط الرحم، ترشحات غدد الأم، أمراض وسلامة الأم في فترة الحمل والرضاعة، الخصائص والصفات الوراثية، الطبيعة الجغرافية، ولا شك أن دور الأم في فترة الحمل والرضاعة تؤثر تأثيراً كلياً علىٰ تكوين الطفل، وان الأمراض التي تنتقل للطفل في هذه الفترة دليل قاطع علىٰ تأثير الأم في تكوين الطفل كمرض السفليس (الذي ينتقل للطفل في فترة الولادة)، مرض السكر أو قلة المواد المعدنية والكيماوية، ترشح الغدد، وحتىٰ الأمراض العصبية، وإذا ما أردنا الإشارة إلى مادة لها تأثيرها الواضح، يجب الإشارة إلى حليب الأم، الذي ينقل للطفل نفسية الأم وطريقة تفكيرها وأخلاقها.

٢ ـ العامل الإجتماعي:

يبدأ العامل الاجتماعي بعد انتهاء فترة الحمل، أي من فترة احتضان الأم لطفلها والاتصال بأعضاء العائلة، الأقرباء والمعارف، التعرف علىٰ الناس في الأزقة والأسواق، المراقبة المادية والمعنوية، التعرف علىٰ الشرطة ورجال الدين، وبالتالي جميع الناس الذين نتصل بهم. في هذه الفترة من الطفولة يكون دور الأم قوياً ومؤثراً، لأن القسم الأكبر من طبائع وأخلاق الطفل تأخذ شكلها الأول ولونها من أحضان الأم والأشياء التي تكون قريبة منها.

٣ ـ عامل المحيط:

اللعب والأشياء التي تحيط بالطفل تؤثر في تكوينه، وبما أن الأم هي التي تقوم بشراء وتحضير هذه اللعب والأشياء، فهي تستطيع التأثير علىٰ طفلها بواسطة انتخابها للعب.

خلاصة البحث أن دور الأم في جميع الأحوال مهم ومؤثر وإذا ما

حدثت غفلة في أداء هذه الواجبات، فهي من الذنوب التي لا تغتفر.

دور الأم في نقل التراث الاجتماعي:

يضع الطفل قدميه علىٰ مسرح الحياة بذهنٍ خالٍ من كل شيء، فهو لا يعرف شيئاً عن الحالة الاجتماعية التي يجب أن يعيش فيها، فهو لا يعرف شيئاً عن تراثه الفطري، وإن فكره كالورقة البيضاء، فلم يدون شيئاً عليها بعد، وإن أول الحروف والكلمات التي تمليها الأم علىٰ ولدها فتُدون علىٰ تلك الورقة البيضاء، إنها هي التي تدون الجميل والقبيح، إنها أول من تجعل طفلها ينطق فتضع الكلمات علىٰ لسانه ويكررها كالببغاء، وتقوم الأم لترفع الستار عن محيط الطفل والعائلة فتكشف له عن أصول وقواعد الحياة اليومية، طريقة التعامل، الآداب والرسوم، تعلمه كي يقضي ويحكم، وبالتالي، إنها هي التي تضع تحت اختياره كتب الفلسفة والنظر للحياة والعالم، والنظريات المادية والمعنوية، فالأم هي أساس انتقال الثقافة، ومن الناحية العلمية هي قائد فكر وعقل الطفل، فتدون الأشياء والقواعد الأصلية علىٰ صفحات فكره، أو تعلمه المفاسد، وبالتالي هي السبب في أن يكون ابنها باراً، مفيداً أو فاسداً، وعلىٰ هذا الأساس إن دور الأم في نقل التراث الاجتماعي أشد من دور الأب أو دور سائر أفراد العائلة والمجتمع.

الأم والتأثير الأخلاقي:

تنتقل بواسطة الدم وحليب الأم أخلاق الأم وطريقة تعاملها في الحياة اليومية للطفل، وإذا ما أردنا أن نشكك في هذه المقولة، فإننا لا نستطيع أن لا نأخذ بعين الاعتبار التأثير العظيم الذي تحدثه الأم في طفلها..

تتم التربية الأخلاقية عن طريقين، الأولىٰ: التعليم، أي أن الطفل يُعلم دروس الأخلاق، والثانية: الوقوف علىٰ النموذج عن قرب ومن خلال العمل. وبما أن اتصال الطفل في سنواته الأولىٰ مع أمه أكثر من غيرها. وأنه يشاهدها عن قرب ويقف علىٰ تصرفاتها وطريقة تعاملها، ولأنه علىٰ اتصال مباشر معها، فيتعلم منها، لذا فإنها تستطيع أن تؤثر عليه تأثيراً كبيراً وكلياً..

أثبتت العلوم البشرية أن الأم تستطيع أن تؤثر أخلاقياً على طفلها، فيأخذ منها الثقافة اليومية، وخصائص أخلاقه، ويعتقد أن تعاليمها ونفوذها يظل ملتصقاً بالطفل إلى نهاية حياته، فهو يأخذ منها الدروس وإن التأثير الروحي والعاطفي أشد من غيره على الطفل، وإنّ أحاسيس الطفل ومشاعره تأخذ إشعاعاتها من الأم. لذا وضعت الجنة تحت أقدامها، وأسس سعادة وشقاء الطفل يرتبط كلياً بعالم رحم الأم.

نستنتج من ذلك، أن الأمهات، إذا كُنَّ صاحبات أخلاق حميدة يأمل أن يكون الرجال كذلك، وإذا كن فاقدات الأخلاق الفاضلة، لا شك أن الرجال سيكونون عديمي الأخلاق. نستنتج أيضاً أن ارتقاء وتكامل أخلاق المجتمع مرتبط بالتربية الصحيحة للأم لأبنائها. وأثبتت التجارب العلمية، إذا ما كان الأب فاسداً والأم طاهرة وعفيفة لا شك أن الطفل الناتج منهما سيكون طيباً ومفيداً. وإذا ما كانت الحالة عكسية من النادر أن يكون الطفل سالماً.

الأم والتأثير النفسي:

علاقة الأم بالطفل كعلاقة القائد بالرعية، يؤكد قانون الوراثة أن الكثير من تصرفات الطفل نابعة لاإرادياً من تصرفات الأم، ومن الناحية الاجتماعية تعتبر تصرفات الأم في مواجهتها للأمور أصلاً وقاعدة للطفل، خوفها، حبها، حياتها، تصعبها، عنادها، حبها للآخرين، بغضها، حسدها، يأخذ منها كل ذلك ومن ثم يتصرف، من الخطأ أن نقول ان الذي ينتقل من الأم للطفل الجمال والقباحة المتجسدة بالشكل فقط، بل إن التأثير الروحي والنفسي وصفات الأم النفسية الجميلة والقبيحة تنقل للطفل كذلك. وعلى هذا الأساس إن الأم (القائد) يجب أن تتصرف بحذر أمام طفلها، فهو يلتقط كل شيء بسرعة.

وإن تأثيرات الحب والحقد في تكوين شخصية الطفل مؤثرة جداً ولقد أثبتت تجارب العلماء النفسانيين الانجليز، ان نقص أو سلامة شخصية الطفل النفسية وخاصة في السنوات الست الأولى من عمره، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحب الأم لطفلها أو حرمانه من الحب، ومن الممكن جداً أن تبقى آثار هذه العقدة النفسية إلى مدى عمر الطفل.

نتيجة البحث:

إن أساس سعادة وتعاسة المجتمع البشري هي الأم، إذا تمرضت الأم وأصابها مكروه، سيصيب المجتمع والعائلة شتى أنواع الأمراض والفساد الأخلاقي والاجتماعي، وإن سلامتها دليل على رفاه المجتمع وتقدمه. وإن نتاج الحضارة والتقدم بيد الأمهات الطيبات.

الفصل الرابع

الأم وبناء المجتمع

أهمية دور الأم:

تشد الأم عادة رباط قماط طفلها، فأهمية ذلك تتضح إذا ما استطاعت مسك زمام أمور المجتمع، إن منشأ الأخلاق مهما كانت حسنة وسيئة نابعة من البيت، فمن البيت يأخذ الطفل ما عنده، ومن غير الممكن القول ان الشخصيات المحترمة والرجال العظام، هم من عوائل غير هادئة ومن أحضان نساء غير طيبات، فالمرأة الطيبة هي صاحبة رجال المستقبل العظام، فأهمية دور المرأة يصل إلى درجة يمكننا القول ان فسادها يسبب فساد المجتمع، وان سلامتها يكون سبب سلامة المجتمع، وان الطفل الذي يترعرع بين أحضان أمه، من الممكن أن يكون غداً رئيس المجتمع البشري، أو فيلسوفاً، شرطياً أو شقياً، محتالاً، لصاً، في كل الحالات والأمثلة إن دور الطفل في الغد القريب يرتبط إلى حد ما بالأم.

أساس أهمية الأم:

أثبتت التجارب والتحقيقات العلمية أن تأثير الأم على الطفل أكثر من تأثير الأب، وأن قلة الآباء الصالحين هو بالحقيقة أمرٌ موجع، إلا أن آلامه ليست بدرجة قلة الأمهات الصالحات، فقلتهن أمر يفتك بالمجتمع البشري، وان أهمية ذلك تنبع من أن الطفل يأخذ شكله النهائي، أخلاقه وعاداته، من حضن أمه وخاصة في السنوات الأولى من عمره، فيكون فيها فكره شفافاً، فعندها تستطيع الأم بتأثيراتها على الطفل أن تطبعه بأطباعها.

ابعاد بناء الأم:

تتدخل الأمهات عادة في جزئيات وكليات حياة العائلة، ليس هذا فحسب، بل نجدها صاحبة نظرية في الحياة الاجتماعية أيضاً، فهي موجودة في كل مكان ويقع علىٰ عاتقها جزء كبير من بناء الأسرة والمجتمع.

الأم في دور المعلم الثقافي:

يرتبط علم وجهل الإنسان بالمحيط الذي يترعرع فيه الطفل، وكذلك بالمسائل العلمية والخرافاتية التي تحاول الأم تزريعها في فكر ورأس طفلها، وإن هذه المعلومات إنْ دخلت إلى ذهن الطفل من الصعب محوها.

يولد الطفل ليدخل عالماً ثقافياً لم يكن يعرف عنه أي شيء قبل وجوده، فتنتقل إليه ثقافة ذلك العالم عن طريق الأم والأب والمعارف والأصدقاء، وأعضاء المجتمع البشري وتأخذ شكلها النهائي، إلا أن تأثير الأم وكلماتها أقوىٰ من أي تأثير، فتبقىٰ كلماتها علىٰ لسانه وتظهر أفكارها في رأس الطفل الصغير أشد من أفكار غيرها. إن سيطرة الأم ونفوذها على ابنها تعين مستقبله وتزرع في قلبه الخير أو الشر وتعلمه الخطأ أو الصواب. لذا نستطيع القول ان ثقافة المجتمع هي من صنع الأمهات إلى حد ما.

الأم في دور المعلم الاجتماعي والسياسي:

تعتمد ثقافة الأولاد الاجتماعية والسياسية علىٰ ما يتعلمونه من آبائهم وأمهاتهم معاً، إلا أنه وفي السنوات الأولىٰ، يكون دور الأم أشد تأثيراً من دور الأب، فالأم هي أول عامل ضغط علىٰ الطفل، فيتعلم الخير والشر عن طريق أوامرها ونهيها، فهي التي تستطيع أن تمنحه الشرف الاجتماعي والسياسي، وهي التي تجعل منه مدافعاً عن الحق، فتزرع في قلبه حب الوطن، أو تعلمه العلاقات الاجتماعية الصحيحة، أو بالعكس تماماً تجعل منه، رجلاً فاسداً لا نفع فيه. في كل الحالات، النسوة هن اللواتي يصنعن رجال المستقبل والرجال يصنعون المجتمع ويضعون أسسه وقواعده الاجتماعية.

التأثير الاقتصادي للأم:

تستطيع أفكار الأم التأثير في بناء الغد الاقتصادي، فالأم لو انتقدت عمل الأب وحقرته، فإن عمل الأب سيقل شأنه في ذهن الإبن والعكس صحيح، وإن سيطرتها الاقتصادية على المنزل تستطيع التأثير في فكر الطفل الاقتصادي، وبالتالي في اقتصاد المجتمع. وإن الاقتصاد وعدم تبذير الأم يكون سبباً في رفع مستوىٰ الانتاج في المجتمع والتقليل من المصاريف..

الأم والأخلاق:

ترسخ الأم أسس القواعد الأخلاقية في المجتمع، إنها هي التي تضع أسس الأخلاق في ذهن صغيرها وتقومه، فتجعله يتعرف علىٰ الجيد والرديء، القبيح والجميل، الخير والشر. أثبتت التجارب العلمية أن أغلب الأصول الأخلاقية التي يتعلمها الصغير في أول حياته تظل ملتصقة به حتىٰ الكبر، إنها هي التي تستطيع بتربيتها الأخلاقية بناء رجال المستقبل، فتعلمه العفة والحق والمحبة والخير والفكر الطيب والتقوىٰ، وإن أخلاق المجتمع مرتبطة إلى حد كبير بأخلاق الأمهات.

الأم صانعة روح وعواطف المجتمع:

الأم مغناطيس قلب الطفل، إنها هي التي تزرع بذور الحب في قلب صغيرها فتجعله محباً.. أو حساساً بالنسبة للآخرين، يحب هذا ولااباليا بالنسبة للآخرين.. عصبياً، وتحيطه بأحاسيسها من كل جانب، تزرع بذور الرقة والإحساس في قلبه، وتهيىء له الأرضية اللازمة للالتقاء الإنساني في المجتمع.

الأم بانية الحضارة:

لا شك أن نشاط الأم الأخلاقي، الاجتماعي، الثقافي يؤدي إلى التطور الحضاري، الإنساني، المعنوي، أو الحضارة المصطنعة والآلية. وإن ما نلمحه اليوم من بعيد وقريب كالعنف والعناد والوقاحة يرتبط بطريقة تفكير الأم، وإننا إذا ما وجدنا مجتمعاً لاابالياً وحضارة منهارة أو قائمة يرتبط بالرجال الذين ترعرعوا في أحضان أمهاتهم، وأخذوا منهن الطباع وتلونوا بألوانهن.

الأم صانعة التاريخ:

الأمهات هن السبب في وقوع الحروب والسلام في أغلب العوائل، وإذا ما وجدت حاكماً يتصف بالرقة والمحبة أو العناد والقسوة، فإن ما عنده أخذه من أمه، وإن ذلك مرتبط بالأمهات، فالأم هي المسؤولة عن صناعة التاريخ وإلى جانبها يقف الأب.

الأم زعيمة المجتمع:

نستنتج مما جاء، إن الأم الواقعية والحقيقية، هي زعيمة المجتمع البشري، وانها السبب في سعادة أو تعاسة، رجال العالم، إنها زعيمة المجتمع وزعيمة العائلة ومستقبل المجتمع بيدها، إنها هي التي تربي مجتمعاً طاهراً كريماً، وإن مفتاح الحضارة بيدها، تعلم دروس البناء والجهاد والمثابرة، وبالتالي تعلمنا أصول الحياة، وتربي رجالاً يتصفون بالصفات الإنسانية الحميدة، بنورها الساطع تضيء العالم، وتزرع الأمل في قلوب أولادها، في نفس الوقت إنها أيضاً هي المسؤولة عن تربية رجال فاسدين (فالأم هي بالحقيقة مدرسة الأجيال).

إهمال الأمهات:

قلنا ان الأم هي المسؤولة عن تربية الأجيال القادمة والمجتمع، لذا يجب أن تكون بمستوىٰ المسؤولية التي ألقيت علىٰ عاتقها، لحفظ المجتمع البشري من الانهيار ولبقائه مثمراً يجب أن تكون ورداً لا شوكاً، نسيماً هادئاً يهز المشاعر وتطرب له القلوب، لا طوفاناً هائجاً وقاتلاً، تعلم دروس الحب والحنان، حب الخير، العمل الصالح، التفاهم، المسامحة، الرجولة، الوفاء. إن الأمهات اللواتي لا يهتمن بواجباتهن ولا يحسن بالمسؤولية ويتماهلن في أدائها بمسامحتهن، يزرعن بذور النفاق، العداء، الحقد في قلوب أولادهن، الأمهات الفاسدات هن بيت الأمراض الذي ينتشر فيه الفساد والاعياء والانحراف والخيانة..

القسم الثالث

خصائص الأم الطيبة

نقف في هذا القسم من الكتاب علىٰ الصفات والخصائص التي يجب أن تتعلمها المرأة التي تريد أن تكون أماً، وان قسماً منها هي صفات لازمة لحياة الإنسان، كمعرفة الإنسان نفسه، وصناعة النفس. فالإنسان ولكي يكون سعيداً في حياته، يجب أن يعرف نفسه، فهو بحاجة ماسة ليكشف عن نقاط ضعفه وقوته وما لديه من إمكانيات، كي يتمكّن علىٰ نقاط ضعفه ويستفيد من إمكانياته، ومن الشروط اللازمة للإنسان وخاصة الأم، الهدف والتقوىٰ وأن تعرف وظائفها والأمور والواجبات المسؤولة عنها.

الفصل الأول

الأم ومعرفة الذات وصناعة النفس

يتصور الكثير من الناس تصوراً مغايراً عن ذواتهم وشخصياتهم، لا نجده مطابقاً مع الواقع، يعتقد أغلب الناس، بأنه أقل مستوىٰ وأصغر حجماً مما هو عليه ولا يعرف شيئاً عن قدراته وإمكانياته ويقضي سنوات عمره دون فائدة تذكر والعكس صحيح تماماً. فيعتقد البعض بأنه أعلىٰ مستوىٰ وأكبر حجماً ويغرقون بالنهاية في بحر من الجهل، ويقضون أعمارهم وهم يحلمون أحلاماً ذهبية. إن نظرة الإنسان لنفسه وكيانه في أغلب الأوقات غير حقيقية يلفها سحاب من الغلو، وان ما نعاني منه اليوم، ناتج عن عدم معرفتنا لذواتنا.

وجوب معرفة الذات (النفس):

يجب أن يسعى الإنسان لمعرفة ذاته، وهذا أمرٌ ضروري ومهم. الإنسان بالحقيقة بعيد عن ذاته ولا يعرف نفسه معرفة جيدة، وإن التصور الذي رسمناه في أذهاننا عن شخصيتنا أغلبه غير صحيح، فهو مليء بالغلو، ومن الممكن أن يعمر الإنسان (١٠٠) عام وهو جاهل تماماً نفسه وذاته ويموت وهو لا يزال لا يعرف عن وجوده شيئاً. .

فمن عرف نفسه عرف ربه، ومن عرف نفسه، يستطيع أن يحقق أهدافه بسهولة، فيعرف كوامنه الداخلية ويراعي في نفس الوقت الجوانب الإنسانية والتقوىٰ والشرف، وهذا أمر غير ممكن ما لم يكتشف الإنسان نفسه ويعرف نقاط القوة والقدرة والضعف.

البحث عن الأجوبة الضائعة:

من يريد معرفة نفسه ووجوده، يجب أن يجيب على مئات الأسئلة عن نفسه، ويجد الأسئلة اللازمة، من هو؟ ومن يكون؟ لِم يجب أن يغادر هذا الوجود؟ وما هو غرض مجيئه إلى هذه الحياة؟ ولِم يجب أن يذهب؟ وما هو فرقه عن الحيوان؟ وما هو هدفه في الحياة؟ وما هو مقدار استطاعته لتحقيق أهدافه؟ وما هي نقاط الضعف التي يعاني منها للوصول إلى أهدافه؟ ماذا يريد؟ وما هي أحلامه؟ أين تكمن سعادته؟ وتعاسته من أي شيء؟ فلمعرفة نفسه يجب أن يبحث عن كل هذه الأجوبة الضائعة ويجيب عليها.

فائدة معرفة الذات (النفس):

إننا لو عرفنا ذواتنا وأنفسنا، استطعنا كشف نقاط الضعف والقوة المدفونة تحت بحر من الأوهام، كالجزر المدفونة تحت مياه البحار، إذا ما ظهرت عرفنا وجودنا وأنفسنا.

وسنعرف عيوب أخلاقنا، ضعفنا النفسي والجسدي، نكتشف بأننا أتينا، ولم أتينا لهذا الوجود، وأي طريق يجب أن نسلك، وما هي مدىٰ قدراتنا علىٰ صناعة المستقبل، نعرف أي جزيرة يجب أن تغرق تحت المياه العظيمة وأي جزيرة مدفونة يجب أن نرفع عنها المياه لنعيد إليها الحياة ثانية. إننا لو عرفنا أنفسنا لعرفنا أشياء كثيرة، لفكرنا في مستقبلنا وخططنا للمستقبل وماذا يجب أن نصنع في الغد القريب والبعيد، وماذا يجب أن نفعل في حياتنا، لذا عندما نقضي ساعات من حياتنا العزيزة في المطالعة والتحقيق بشأن وجودنا، فإنها من أحسن ساعات عمرنا، نستطيع من خلالها بناء شخصيتنا.

نتائج معرفة النفس:

إن الإنسان لو استطاع معرفة نفسه وذاته، استطاع أن يحقق ما يريد ويخلع عن نفسه رداء الفقر المادي والضعف، نجد ان إنساناً فقيراً من الناحية المادية، متأخراً من الناحية الاجتماعية، وحساساً ورقيقاً مقابل مشاكل الحياة إلا أن لديه أرضية مناسبة وعجيبة للنمو والتكامل والتقدم، فيكتشف قدراته وحدودها، عندها يستطيع بناء نفسه، البناء هنا يعني سعي الإنسان للتغلب

على نقاط الضعف، وتقوية نقاط القوة والقدرة وانهيار الشهوة وتعديل الغرائز، والابتعاد عن الأماني الكاذبة، وعدم التسليم للقلب والشهوات، البناء يعني قيام الإنسان بدوره الحقيقي في معترك الحياة، المعركة التي تبدأ بالولادة وتنتهي بالموت والفاصل بينهما هو الحياة..

الهدف من البناء هو إطلاق سراح الأفكار من الشوارع المغلقة والجسم من التلوث والقذارة، وأن نتصل بالأرض والسماء في وقت واحد..

أهمية البناء:

يجب أن يتم في وجودنا تولد جديد، وحياة جديدة مع معايير إنسانية جديدة، ذلك لأننا نولد في مكان ملوث وقذر، مكان مليء بالرياء والخداع. المجاملات، الحقد، مكان لا حركة فيه ولا حياة وأحياناً نتحرك في مكاننا، والإنسان بالطبع لم يخلق ليتحرك في مكانه. يجب أن يكون البناء بأعلى مستوى لمحو الفساد من بيننا والوصول إلى الصفات الإنسانية والملكوتية.

البناء ضروري جداً للأم، فهي وبالإضافة إلى مسؤولياتها تجاه نفسها، فهي مسؤولة عن بناء الآخرين. بناء جيل جديد، فساد الأم يعني فساد المجتمع، وسلامة وصلاح الأم يعني سلامة وصلاح المجتمع إنها بحاجة أكثر من غيرها للبناء، يجب أن تقاوم أمام مصاعب الحياة ولا تستسلم بسهولة لمشاكل الحياة.

في طريق البناء:

يجب أن يعلم الإنسان، أن الحركة مظهر من مظاهر الكمال وحياة الأحياء، انه يجب أن يخطو خطوات نحو هدف وطريق معين. يخطو نحو الخير وفي طريق الحق، كالذي يمشي على الصراط المستقيم. لذا يجب أن يحمل معه متاع البناء.. يعني الفكر والعقل، آداء وتقاليد مدروسة وأصيلة، وبالتالي إن كل متاعه مبني على العقيدة الراسخة..

مقومات البناء:

البناء ليس عمل يوم واحد أو شهر واحد.. إنه أمر متواصل ومستمر، ذلك لأن الإنسان يجد باستمرار في طريقه المصاعب، ويقع أمام اختيارات جديدة، تلون حياته بلونها وينتج عنها الحلو والمر، لذا إننا لا يمكن أن نضع أمامنا مقومات ثابتة للبناء، إلا أن المهم أن يدرك الإنسان الحق ويعشقه، ويقدر الحق، لا يربط الماديات بالمعنويات، ويجعل المفاهيم الأصلية للحياة هي المسيطرة على أفكاره، وينزع عن قلبه التقاليد القديمة البالية. وللوصول إلى أهدافه الإنسانية يكون على أهبة الاستعداد للموت، معتقداً أن الموت هو الحياة.

الفصل الثاني

التقوى والهدف

عندما يكتشف الإنسان نفسه ويعرف ذاته وقدراته، فيقوم على أساسها بعملية البناء، ويحدث عن ذلك تحولاً فكرياً وحركة باتجاه الأهداف الإنسانية العالية. البحث عن طريق الكمال والقدرة هو بالحقيقة الوصول إلى هدف الكمال.

يشعر الإنسان الذي بنىٰ نفسه موظفاً ومسؤولاً أن يسلك طريق الإيمان والتقوىٰ ويرفع أقدامه باتجاه ذلك الطريق ويعتقد بأنه مسؤول عن الآخرين، يريد لهم الخير ويحسن لهم.

التقوىٰ، تعني الصبر أمام الأمور التي تهدف إلى مرضاة الله عز وجل. والهدف، يعني خطو خطوات ثابتة في طريق القيام بالواجبات والطاعة من الأوامر في كل الحالات والابتعاد عن الاستقلال الشخصي، بمعنىٰ آخر، الهدف يعني التسليم لله عز وجل.

نقاط مهمة في التقوىٰ:

هناك أمران يجب مراعاتهما في التقوىٰ، وتعني هنا القيام بالواجبات لتكون صفحتنا بيضاء يوم الجزاء.

١ ـ يجب أن نضع الله جلّ شأنه نصب أعيننا، فهو مالك الملك، والحاكم العادل، حامي الفقراء والمساكين، رؤوف، محاسب، قاضي، وهو الواقف علىٰ أحوال وتصرفات البشر.

٢ ـ الابتعاد عما يكون فيه معصية لله:

فالخطوة الأولىٰ في التقوىٰ الابتعاد عن المفاسد، وعما يريده القلب والأهواء الشخصية، نزرع في قلوبنا وعقولنا الآمال الطيبة والأماني الإنسانية. ونضع مصطلح الوقاية في رأس قائمة أعمالنا، فالوقاية خير من العلاج، لا ندخل المجالس التي توجد فيها آثار أقدام الشيطان، ولا نأكل أي طعام يقدم لنا قبل أن نفكر بحلاله وحرامه، ولا نصادق من كان، ولا نستمع إلى أي حديث. ولا ننطق بكل شيء، نفُر من الظلم ونحاربه، ولا نحسد الآخرين علىٰ ما عندهم فالحسود لا يسود.

نقاط مهمة في الهدف:

يجب معرفة تكاليفنا وواجباتنا قبل كل شيء، وندرك بوضوح أهمية هذا الأمر ونحن نعيش عالماً صغيراً، ومن ثم نقوم بالتكاليف والواجبات التي لا يحدها حاجز ولا زمان ولا مكان، ولا نسمح للنزوات والرغبات التدخل في أهدافنا وحياتنا، فصاحب الهدف لا يخطو خطواته من أجل تحقيق منافعه، بل من أجل الهدف الذي أنذر نفسه له، علماً أنه لو سلك طريق الهدف ستصيبه منافع وفوائد، إلا أنه لا يضع الربح والخسارة نصب عينيه، بل إنه يسير ليحقق أهدافاً إنسانية سامية تليق بمنزلة الإنسان لتحقيق أهدافه، يضع نصب عينيه مفاهيم العقيدة الأصيلة، وفي سبيل الوصول إلى هدفه لا شك انه سيلاقي صعاباً ومشاكل يقف أمامها بقوة، ويتحمل الشدائد ويصبر فقد يفدي حياته في سبيل الوصول إلى أهدافه، ذلك لأنه يعلم أنه سيحصل علىٰ الجنة لقاء جسده الفاني.

تحت ظلال التقوىٰ والهدف:

يصل الإنسان المتقي وصاحب الهدف إلى مرحلة لا يبحث فيها سوىٰ عن مرضاة الله، ولا يريد أي شيء آخر سوىٰ ذلك، يعتبر قلبه ميتاً من دون حب لله. هدفه الأول والأخير رضىٰ الباري عز وجل والوصول إلى مرضاته بمعنىٰ آخر وعام وشامل انه لا يعبد غيره، ويؤدي واجباته دون خوف ووحشة، ولا يصيبه كسل ولا تعب، فإن الله جل شأنه لا يرمي الرماد على آماله، ولا يهدم سعادته. تحت ظلال هذه الحالة التي ظهرت، بالابتعاد عن

الرذائل، والاستفادة من القدرة التي منحها لنا الخالق، تمنح فينا القدرة على طي مدرجات الحياة الإنسانية والأخلاقية الواحدة بعد الأخرى.

الوصول إلى مثل هذه الحالة:

ليس من السهل الوصول إلى مثل هذه الحالة، فإنّه يتطلب منا الجهاد مقابل لذّات الحياة وما يعشقه القلب، بمعنى آخر الجهاد مقابل الذنوب، وهذا الجهاد عظيم، فعلى الإنسان في هذه المرحلة أن يعرف نفسه، ويقيمها وبعد أن نعرف أنفسنا وللوصول إلى درجة الكمال ولإبطال مفعول النقص الموجود فينا، نحن بحاجة ماسة لتقوية المعنويات وبنائها بناءً سالماً، وان ذلك لا يتم إلا عن طريق العبادات، وبالمعنى العام والشامل، انه أمر غير ممكن دون العبادات، فالعبادة تعني هنا ان الإنسان يرتبط أو يقترب من الله ويشعر بوجوده في كل لحظة.

ينتج عن العبادة البناء وذلك شريطة أن تشمل جميع جوانب الحياة وعادات وتقاليد الإنسان وطريقة تعامله وتصرفاته وتفكيره وإدراكه جميع العوامل المادية والمعنوية، وأن تكون مبنية على أساس رباني، عندها يرى الإنسان نفسه وقد التصق كلياً بالقدرة الربانية الكبرى، ويجد في نفسه القدرة على الإبداع.

أهمية التقوى والهدف للأم:

إننا عرفنا، إنّ أحضان الأمهات، هي من أول مدارس الأطفال، ويمكن أن تكون من أحسن المدارس ومن أردئها. فإن لتقوى الأم وحبها للآخرين وصفاء قلبها وشجاعتها وشهامتها والسجايا الأخلاقية الحسنة لها، تأثيرها الفعال على الطفل، فتكون عندها أحضان الأم من أحسن المدارس، والعكس صحيح تماماً، فيما إذا سلكت الأم درباً يقودها إلى الوهم والفساد، وكان رئيس العائلة، الأب ـ طيباً، فإن احتمال كون الطفل يكون طيباً ونجيباً قليل جداً الأم هي معلمة الطفل الأولى، فيحاكيها، ويعتبرها النموذج في حياته، فإن مشاعر الأم مهما كانت تؤثر في الطفل تأثيراً فعالاً، حتى انك لا يمكنك أن تجد أحداً يستطيع التأثير في البناء الروحي للطفل أكثر من الأم. وعلى هذا الأساس، إنّ أهمية بناء الأم الروحي أعظم من بناء الأب، فالأم

بحاجة أن تضع الله امام عينيها، كي تقلل من مشاكل ومآسي المجتمع، إنها بحاجة ماسة ليكون هدفها في الحياة واضحاً وجلياً كي تتخلص من المشاكل الناجمة عن عدم وضوح ووجود الهدف ولتعالج بالسرعة القصوىٰ الأمراض النفسية. نستنتج مما جاء أن تأثير الهدف والتقوىٰ أكبر من أي تأثير كان.

خلاصة البحث:

الأم هي أعظم وأكبر منبع للتربية في العائلة، وعلىٰ هذا الأساس نستطيع القول ان كل أم تقوم بالإنجاب لا يمكن أن نطلق عليها تسمية الأم، فالأم بحاجة ماسة لمعرفة نفسها وبناء شخصيتها على أسس التقوىٰ والهدف، وإذا ما تجمعت كل هذه المواصفات في الأم، فهي من عظمة الخالق.

الفصل الثالث

جانب المعرفة

خُلقت الحيوانات وهي تعرف غريزياً طريقة وأصول تربية صغارها. كما انها على معرفة تامة بقوانين الطبيعة، إلا أنه من المؤسف أن الإنسان يجب أن يتعلم هذه القوانين ليقوم بتربية أولاده بالاتكاء على الفكر والتجارب والعادات والتقاليد.

ضرورة تربية المرأة لتكون أمّاً:

إذا كنا حريصين على تربية أولادنا تربية صحيحة وسالمة ووفق العقيدة الإسلامية، يجب أن نبدأ أولاً بالأم، وإلا ستعم المجتمع البشري كوارث ومشاكل يصعب الخروج منها بسهولة، يجب على الأم أن تتعلم فن الأمومة، كي تستطيع وتتمكن من تربية أولاد صالحين، لا ينتظر من أم جاهلة تربية جيل عالم، نجد في كثير من المجتمعات الإنسانية والدول الغربية كتباً لحل مشاكل الشباب والأمهات، وهنا سؤال يطرح نفسه بقوة:

هل تستطيع هذه الكتب والمؤلفات حل مشاكل الشباب والأمهات؟

يعتمد فكرنا على أن التربية لا تتم إلا بالطريقة العملية والتجريبية، ولا نستطيع الاعتماد في التربية على ما نسمعه من هنا وهناك، إن الأم التي تحمل في رأسها فكراً سالماً وعقائد صحيحة، تستطيع أن تحفظ نفسها من الضياع والانزلاق في طريق الشيطان، كما تصون أطفالنا من التلف، فالذي يريد مجتمعاً سالماً وخالياً من الأمراض الاجتماعية، يحتاج قبل كل شيء إلى أمهات حقيقات، يعرّفن واجبات الأمومة، وإذا ما أردنا بناء مجتمع سالم في المستقبل،

علينا تطهير أمهات المستقبل (بناتنا) من التلوث والخرافات، ونبين لهن طريق الحق والحقيقة.

المعرفة اللازمة للأم:

الحياة مليئة بالمسائل والمشاكل التي لم نفكر بها ولم تخطر على بال أحد، لذا لا نستطيع طرحها والبحث عن حلولها، ولهذا فإننا نقول إنّ الأم يجب أن تكون إنسانة متعلمة تحمل في رأسها فكراً نيراً، وعلى علم تام بمشاكل عصرها، وإذا لم تكن كذلك، فإن طفلها الأول سيكون نتيجة الإهمال طفلاً غير طبيعي، غير مسؤول، توقعاتها أكثرها تتكىء على الآخرين، وإن عدم معرفة الأم بواجبات الأمومة قد يؤدي إلى موت أطفالها أو حدوث أضرار في أجسامهم أو في حالتهم النفسية، وإن أغلب هذه المشاكل لن نجد لها حلاً، لذا على الأمهات أن يتدخلن شخصياً في تربية أولادهن، خاصة بالمسائل التخصصية، وهي التي من واجب الأم كإدارة المنزل وتربية الأولاد، فإنهن على علم بها أكثر من الآخرين.

الجانب الديني:

إن اعتقادات الأم المبنية على أسس صلبة ومعرفة تامة بالعقائد يجب أن تكون مؤثرة في بناء الطفل الروحي، وإذا ما كانت معلوماتها سطحية فهي لا تستطيع الدفاع عن عقائدهما بالاستناد إلى الأدلة المنطقية والمستندة إلى الأصول. لذا فالأم بحاجة ماسة للتعرف عن قرب على عقائدها، فتأخذ دروساً في أصول العقائد وفروعها وتكون على بينة تامة بالمسائل الدينية الأساسية وفروعها والمسائل الحقوقية والقضائية والاجتماعية والاقتصادية.

الجانب الأخلاقي:

تقوم الأم بوضع أغلب أسس أخلاق الطفل، فإذا كانت أسس أخلاق الأم رخوة، فكيف تستطيع تربية طفلها تربية صحيحة، لذا من الضروري أن تكون معايير الأم الأخلاقية ثابتة وقوية وأن تكون مبنية وفق القواعد الاجتماعية، وإلاّ فإن تلك القواعد لا تستطيع أن تكون دليل الأم التربوي، أمّا إذا كانت القواعد قلقة وغير مستقرة وتتغير من آن لآخر، فإنها لا تستطيع

بناء مجتمع سالم، فالأخلاق يجب أن تكون أصولها وأفكارُها مبنية على العقيدة الإسلامية، وعلىٰ هذا الأساس تسعىٰ الأم إلى تقوية البنية الأخلاقية، التقوىٰ، القداسة في الطفل.

جانب الآداب والتقاليد:

يجب أن تكون الأم علىٰ بّينة تامة من علم الاجتماع، وأصول وآداب الحياة، والمعاملة، وآداب الجلوس والوقوف، وآداب الحديث والسكوت، وآداب السلام، وآداب معاملة الآخرين. يجب أن تكون مبنية على أسس فكرية.

جانب اللغة والمعلومات العامة:

تضع الأم الكلمات الأولىٰ على لسان طفلها، فتجعله ينطق، والملاحظ أن الكثير من الأخطاء التي تلقن للطفل في بداية حياته تظل ملتصقة به حتىٰ الكبر، لذا يقع علىٰ عاتق الأم وهي معلم الطفل الأول أن يكون لها إلماماً واسعاً باللغة والتلفظ الصحيح والمعلومات العامة واستعمال الكلمات في موضعها، حتىٰ تستطيع بالتالي أن تقدم جيل سالم إلى المجتمع البشري.

الجانب العلمي:

ليس من اللازم أن تكون عالمة أو مخترعة وتحمل شهادات جامعية عالية، إلا أنها يجب أن يكون لها إلمامٌ علميٌ، ولو على مستوىٰ قليل، لتحافظ على رأس المال الوطني وصيانة المجتمع من التلف، وتعم نعمة الصحة علىٰ العائلة، إننا نلاحظ أن الطفل في مراحل دراسته الابتدائية، يقارن بين أمه ومعلمته، ومن المؤسف أن الطفل في هذه الفترة يرسم في ذهنه صورة سيئة لأمه، وإن سبب ابتعاد الأولاد عن أمهاتهم في مرحلة النمو والشباب، تعود جذورها إلىٰ معاملة الأمهات الخاطئة لأطفالهن، لذا من اللازم أن تحمل الأم في رأسها فكراً واستعداداً وافران حتىٰ تتمكن من إدارة أولادها والعائلة.

جانب المعلومات الصحيحة:

نشهد سنوياً موت عدد كبير من الأطفال المتولدين حديثاً، والسبب يعود

إلى جهل الأم الصحي، وعدم رعاية القواعد الصحية وجهلهنّ بها، فالأم يجب أن تكون على بينة بالأمور الصحية، وإنه أمر ضروري ومهم في حياة الأم، وإن جهل الأمهات بالمعلومات الصحية يسبب كوارث ومشاكل جمة، إنها يجب أن تعرف علىٰ سبيل المثال طرق العلاج الأولية، كتضميد الجروح والبحث عن الحلول البسيطة في العلاج، فهي لا تستطيع أن تأخذ صغيرها للطبيب بمجرد أن يتألم من شيء بسيط.

في التربية ورعاية الأطفال:

من الأرجح أن تجد المرأة في قدرتها تربية ورعاية الأطفال قبل أن تفكر بالزواج وإذا لم تجد تلك القدرة عليها أن تتعلم، وتبحث عن زوج له وضع مشابه لوضعها، ومن الخطأ أن نقول ان المرأة إذا أرادت أن تتزوج وتصبح أمّاً، فهي ليست بحاجة إلى أن تتمرن على أسلوب التربية ورعاية الأطفال قبل أن تضع طفلها الأول، وإنها ستتعلم كل شيء بمجرد الولادة، وإذا ما أردنا إصلاح أخطاء مثل هؤلاء الإمهات، لا شك أن الطفل سيتلف جسمياً ومعنوياً، ومن الخطأ أن نقول ان المرأة التي درست عدة سنوات، قد تعلمت أسرار التربية، وقادرة على تربية ورعاية أطفالها. فعلىٰ الأم أن تتعلم إلى حد ما علم النفس، التعليم وتربية الطفل. وإن عدم معرفة الأمهات بالأمور التربوية يسبب عقداً نفسية، في حين إن معرفة الأمهات بفنون التربية لا شك سيمنع ذلك تكرار المآسي والعقد النفسية والاجتماعية.

إدارة المنزل:

يجب أن تعرف الأم إلى حد ما إدارة المنزل وفنونه، لأن سلامة الطفل يرتبط إلى حد ما بالأنظمة القائمة في البيت، إدارة المنزل، النظافة، تنظيم وترتيب قطع الأثاث، فإذا كان المنزل الذي يعيش فيه الطفل قائماً على إدارة جيدة، فإن ذلك سيكون سبباً في أن يرتاح الطفل نفسياً.

الجانب الفني:

وقوف الأم على عدد من الفنون كالخياطة مثلاً، يجعل البيت يشع جمالاً ورونقاً. فالأم الجيدة يجب أن تجد في نفسها الاستطاعة علىٰ القيام بأعمال

صغيرة، فإن ذلك لا يسبب هدوء العائلة والتنوع الفكري القائم في البيت فقط، بل يكون مفيداً لاقتصاد العائلة. قال أحد العظماء بما معناه: «الخياطة بيد المرأة مثل الرمح بيد الرجل المقتال».

جوانب أخرىٰ:

لا يكفي أن تكون المرأة على إلمام واسع بشؤون البيت وتربية الأولاد، بل يجب أن تكون لها معلومات بالأمور الفنية إلى حد ما، خاصة ونحن نعيش عصراً صناعياً. فالأم علىٰ اتصال مباشر بالكهرباء والأجهزة الكهربائية وإسالة الماء. فهي يجب أن تضع نصب عينيها عدم التبذير في استعمال الأدوات المنزلية، وأن تعرف كيف تتصرف لتقوم بالتالي في بناء أسرة سعيدة.

القسم الرابع

في طريق الأمومة

الأمومة تعني قبول الأم مسؤولية الأمومة ورعاية الطفل أمام الخالق والمجتمع. سنقف في هذا القسم، على الخطة أو القرار الذي تتخذه الأم لتصبح أماً، ألا وهي لحظة اختيارها الزوج والشروط اللازمة فيه، كما نبحث في الحياة الزوجية، وأخيراً الحمل والولادة.

الفصل الأول

اختيار الزوج

عند تنظيم وتشكل العائلة يجب مراعاة أصول وقواعد وأهداف واضحة ومعينة، فالمرأة التي ترغب أن تكون لها عائلة سعيدة وأولاد شرفاء يجب أن تسعىٰ للحصول على زوجٍ صالِح وسالِم من جميع النواحي، ولا يتم ذلك إلا بالتحقيق والتفكير والدِّراسة ومشاورة الأهلِ والمعارف، وإننا لا يمكننا أنْ نرسمَ في أذهاننا حياة زوجية سعيدة ومستقبلاً زاهراً ما لم نقف علىٰ سلبيات وإيجابيات الحياة الزوجية؛ فالرجل الطيب من الممكن أن يأخذ بيد الزوجة إلى أعلىٰ قمم السعادة، والرجل غير المناسب من المحتمل أن يجر الزوجة إلى الفساد والانحطاط والتعاسة ويجعل أيامها سوداء، لذا عندما نقرر الزواج، يجب أن لا نكون أسرىٰ قلوبنا وعواطفنا وأحاسيسنا ولا نستسلم لمجرّد إرضاء رغباتنا الجنسية، لذا نرىٰ انّ الإسلام العزيز وضع الأب، صاحب التجارب، والذي يتعامل بعقله إلى جانب الفتاة في الخطوبة، فهو يعلمها ويرشدها ويدرس مدىٰ صلاحية الخطيب لابنته، وإذا ما كان الأب أمياً وجاهلاً، فهو لا يستطيع أن يلعب دور العقل إلى جانب ابنته، فالزواج الذي يبنىٰ على نظرة في شارع أو في طريق المدرسة، الحافلة، أو القطار أو المراسلة تكون نتائجه مجهولة.

حرية المرأة في اختيار الزوج:

أعطىٰ الإسلام الحرية الكاملة للمرأة في اختيار زوجها، فهي تستطيع البحث عن الأصلح بالنسبة لها. فعندما يتقدم لها خطيبٌ ما يقوم الأب

والأقرباء بتفحص ودراسة أحوال الخطيب من جميع الجوانب، وتقديم المعلومات الكاملة لها، عندها ستتخذ القرار النهائي البعيد عن العواطف والأهواء الشخصية.

لأيِّ خطيب يجب أن تقول نعم؟

يتقدم للفتاة عند بلوغها سن الزواج العديد من الشباب، والفتاة المسلمة المتعلمة بطبيعتها ترغب في أن تصبح سيدة بيتها لتقوم بواجباتها التي نص عليها الشرع، وبما أنها أمام عدد من المتقدمين لطلب يدها، فلمن تقول نعم؟ والجواب علىٰ هذا السؤال يرتبط بالأساس بأهداف الزواج، وما هو المراد منه؟ إذا كان هدف الفتاة من الزواج، قضاء ليالٍ حمراء وصاخبة، رقص وملاهٍ ومقاهٍ، فمن المستبعد جداً أن تقبل طلب يد شاب مؤمن وفقير، أما إذا كان هدفها المحافظة علىٰ شرف العائلة فطبيعة الأمر تختلف.

لذا قبل كل شيء يجب علىٰ الفتاة أن تسأل من الرجل الذي يتقدم لطلب يدها عن أهدافه من الزواج، ولم جاء يطلب يدها هي بالذات، هل إن هدفه جمالها؟ مكانتها الاجتماعية، ثروة أبيها، أم إن هدفه الغنىٰ الروحي والمعنوي ويريدها لأصالتها وشرفها وإنسانيتها، أم انه لا يعير هذه المسائل أيّة أهميةٍ ولا يبالي بها.

فعندما تقف الفتاة علىٰ أهداف الخطيب الحقيقية بعد التفحص والتدقيق تستطيع عندها إتخاذ القرار النهائي والحازم في قبول ورفض الطلب.

شروط الزوجة:

تكون البنت عادة أمام عدد من المتقدمين لطلب يدها، فيجب عليها مراعاة هذه الجوانب في اختيار زوجها، ورب أسرتها ومعلم أولادها.

الإيمان والأخلاق:

أكد الإسلام العزيز علىٰ إيمان وأخلاق الزوج، فجاء في الحديث الشريف: «من جاءكم ترضون دينه وخلقه فزوّجوه». فالزوج المؤمن، لا شك أنه لا يظلم المرأة ولا أطفاله، فهو يخاف الله عز وجل، فمن أهم الجوانب التي يجب التحقيق بشأنها إيمان وأخلاق الزوج ويشمل العقيدة، الأخلاق،

التقوىٰ، الطهارة الباطنية، الإمتناع عن المعاصي والانحراف.

الشرف والأصالة:

فالخطيب يجب أن يكون من عائلة أصيلة، وتربىٰ في أحضان أم شريفة، فمن الممكن أن يكون فقيراً، إلاّ أنه يجب أن يكون شريفاً، كي تستطيع بالتالي أن تكون لديه أسرة سعيدة وأطفال شرفاء.

القدرة علىٰ إدارة الحياة:

الزوج بطبيعته هو المسؤول عن إدارة العائلة وتأمين الوضع المالي، لذا يجب أن يكون الرجل قادراً على ذلك، وأن يكون له عمل يكسب منه قوته بالحلال. كما انه يحبذ أن يكون له مال وثروة ومقام، إلا أن المهم استطاعته كسب مال الحلال.. ومما لا شك فيه ان الفتاة تختار من تجد فيه الأرجحية.

الشروط التي تأتي بالمرتبة الثانية:

قلنا إن أهم الشروط التي يجب مراعاتها في الخطيب الإيمان والتقوىٰ، الشرف والأصالة والقدرة علىٰ إدارة الحياة.. إلى جانب هذه الشروط، هناك أمور أخرى يجب مراعاتها إلى حد ما، إلا أن الأهم منها:

الجانب العلمي والمكانة الاجتماعية:

نحن لا نلغي الجانب العلمي ومكانة الرجل الاجتماعية كلياً.. إلا أننا نقول في نفس الوقت، ان الجانب العلمي وثقافة الزوج لا تأتي بالسعادة الزوجية، المهم التفاهم الفكري والروحي بين الزوجين، ومن دون التفاهم ليست هناك حياة زوجية.

الثروة والمال:

العامل الاقتصادي مهم في اختيار الزوج، إلا أننا لا يمكننا رفض شاب يتصف بالصفات الإيمانية والأخلاقية السامية، إلا أنه من الناحية المالية فقير، ومن الخطأ جداً أن تفكر الفتاة بالمظاهر الدنيوية، فما فائدة الزوج أن يكون غنياً جداً إلا أنه عديم الإنسانية، وما فائدة كونه مهندساً أو طبيباً، وهو لا يعرف شيئاً عن الحياة الزوجية، ولا يتقبل مسؤولية العائلة، فالسيارة

الحديثة والقصر الفخم لا تأتي بالسعادة، لذا يجب أن تضع الفتاة نصب عينيها الشرف والإنسانية، ومن الجهل رفض طلب شاب فقير وأصيل ومن عائلة كريمة.

الجمال والرشاقة:

الجمال والرشاقة أمران مطلوبان في الزواج، وإنهما يؤثران تأثيراً واضحاً في الجيل الجديد، إلا أن الأهم من ذلك الجمال المعنوي، والتوازن الروحي، والأخلاقي، ثم إنه لا يوجد دليل علىٰ أن الرجل الرشيق هو الزوج اللائق والمناسب.

أي خطيب يجب رفضه؟

بعد أن وقفنا على أهم صفات الخطيب الذي يجب أن نقبله نأتي هنا ونشير إلى أهم الصفات التي يتصف بها الخطيب الذي يجب رفضه: ضعيف الإيمان، شارب الخمر المدمن، فمثل هذا الرجل سيجعل من حياة المرأة جحيماً ومستقبلها مظلماً، كما يجب رفض طلب الخطيب اللاأبالي، الغير متعهد، والذي لا يشعر بالمسؤولية.. كما يجب رفض الخطيب الذي تختلف طباعه كلياً عن طبائع وأخلاق الفتاة، والذي يصر علىٰ تطبيق أفكاره ولا يقبل النقاش، وبالتالي يمكن رفض الخطيب (في الشروط العادية) الذي يختلف عمره مع عمر الفتاة اختلافاً كبيراً، لأن ذلك قد يسبب في النهاية مشاكل تؤثر علىٰ الجيل القادم.

الفصل الثاني

الحياة الزوجية

هناك توصيات كثيرة وعديدة في اختيار الزوجة، ورعاية هذه الأصول والموازين قد لا تؤثر تأثيراً كلياً علىٰ تربية الأولاد، ما لم تتم المراقبة إلى المراحل التي تأتي بعد الزواج، كي نقف علىٰ حياة زوجية سعيدة هادئة وأطفال متزنين.

المراقبة في الحياة الزوجية:

يجب علىٰ المرأة التي تريد الزواج، الانتباه إلى المسؤولية العظمىٰ التي ستقع علىٰ عاتقها، قبل أن تصبح أمّاً، فتسأل نفسها، لماذا تريد أن تصبح أمّاً؟ ما هو الغرض والهدف من الحياة الجنسية؟ هل إنها تريد الزواج لأن النسوة غالباً يتزوجن وهي تريد ممارسة هذا العمل؟ أو الغرض من الزواج أن يكون لها أطفال؟ ولماذا تريد الأطفال، للتخلص من وحدتها، أم ليؤخذ الصغير بيدها عند الكبر؟ أي طفل تريد أن تربي للمجتمع، جيل يعشق الحروب، أم جاني، أو جيل مفكر، يحب الصلح والتفاهم، من الأرجح والأحسن أن تكون الحياة الجنسية مبنية علىٰ رضىٰ الله سبحانه وتعالىٰ وتطبيقاً لأوامره. لقد أثبتت التجارب أن الجماع وبحالة طبيعية، يجعل الدورة الدموية طبيعية وبالتالي يكون الجيل الجديد القادم هو الآخر طبيعياً ومتعادلاً وأخلاقه سامية.

الحالات التي لا يجوز فيها الجماع:

قد يسري تلوث المرأة والرجل في جسم ونفسية الطفل ويلوثه هو الآخر، نحن نعرف أن الرجل والمرأة، هما مسؤولان عن صناعة جيل طيب ومفكر، لذا لا يحق لنا إنجاب الأطفال ما لم نراعِ القوانين والمقررات. وعلىٰ هذا الأساس فالأم المدمنة علىٰ الأفيون، لا يحق لَها الإنجاب كما لا يحق لها أن تسلم نفسها لزوجها المدمن، وإن اللاإبالية في تقبّل وتحمّل المسؤوليات تكون سبب كل المشاكل والمآسي والأمراض الاجتماعية، فعلىٰ المرأة في هذهِ الأحوال أن لا تستسلم لزوجها المدمن، وأن تفضّل العيش وحيدة علىٰ حياة مع رجل مدمن.

السعادة الزوجية:

يكاد يكون أغلبنا قد ذقنا طعم السعادة وعشنا لحظاتها، وإذا ما كنا قد فقدناها، فعندما يهب نسيم السعادة ويحرك مشاعرنا، لا يقنعنا ذلك، فالسعادة هي ليست مطلقة وإنها لا تغير شيئاً من وضعنا، إذ سرعان ما نتعود علىٰ الوضع الجديد. . فالحياة إذن وسيلة وليست غاية، وإنّ تحمل المصاعب في طريق الحياة ليس مؤلماً ونستطيع التغلب علىٰ بعض جوانبه، وإن ما يجعل الحياة الزوجية جميلة وزاهية هي العوامل التالية:

المسامحة:

كي تستطيع المرأة، أن تجعل من بيتها بيتاً آمناً، يجب أن تسعىٰ من بداية حياتها المشتركة إلى التفكير بتعقل، كما تسعىٰ إلى خلق الالفة والمحبة مع الآخرين وتتعامل بتفكر وتعقل مع المشاكل بدلاً من أن تكون قاسية وعنيدة، حيث يجب أن تكون مسامحة، تتعامل بحب وصفاء وتسامح، فالمسامحة كالحرية والتضحية تضيف إلى شخصية الإنسان غروراً وتشير في الوقت نفسه، ان الإنسان قوي ومنتصر علىٰ ذاته.

العقل:

الأحاسيس والعواطف الجياشة لها مكانتها الخاصة وهي السبب في جمال الحياة، إلا أننا وفي كل الأحوال لا نستطيع أن نسلط الأحاسيس والعواطف

علىٰ حياتنا الاجتماعية ومشاكلنا، وخاصة في الحياة العائلية، فالعقل هو مفتاح سعادتنا، لتخفيف آلام الحياة، فيجب أن نستسلم للعقل والمعرفة.

رعاية الطفل والزوج:

يجب علىٰ الأم أن تهتم بطفلها، إلا أن ذلك لا يعني أن يكون اهتمام المرأة بطفلها سبباً في عدم اهتمامها بالعلاقات الزوجية، فتنسىٰ زوجها، وتهشم قلبه، فالفن كل الفن أن ترضي الزوجة الاثنين معاً، الطفل والزوج.

الابتعاد عن حب الذات:

حب الذات في الحياة الزوجية أمر مرفوض من أساسه، فيجب عدم الاهتمام بالمتطلبات الشخصية فقط، بل يجب تلبية متطلبات العائلة. فالأخلاق الحادة والعصبية ستؤثر ولا شك علىٰ حياة الزوجين، وتهدد هذه الأخلاق أمن العائلة الداخلي، فيجب علىٰ الزوجة أن تزرع البهجة في الجوّ العائلي ولا تجعل حياتها متوترة بحيث يشعر الزوج أنه في ساحة قتال، فيتصرف ببرود أو بحذر مع زوجته، في هذه الحالة لا يمكننا أن نطلق على مثل هذا البيت المتوتر بيتاً، خاصة إذا اعتقدنا، بأننا يجب أن نعيش هذه الحالة وليس أمامنا من مفر، وأن الآخرين أسعد منا، وأن حياتنا تعيسة، فإن ذلك سيجعل من حياتنا، حياة لا تطاق، لذا ففي كل الأحوال، يجب أن نسعىٰ إلى تغيير وضعنا الذي نحن فيه بالاعتماد على الله سبحانه وتعالىٰ، وننظر للحياة نظرة أعمق ونتصرف تصرفاً معقولاً وطبيعياً مع أفراد العائلة وأطفالنا الذين ينتظرهم الغد المشرق، إننا لو تصرفنا علىٰ هذه الحالة وزرعنا بذور الأمل لا شك إننا استطعنا بالتالي من تخفيف حدة القلق.

الانفصال عن الحياة العائلية:

إذا قررت المرأة الانفصال عن زوجها لتعيش مرتاحة البال ولتتخلص من المشاكل التي تعاني منها العائلة، فهذا هو عين الأنانية، نحن نعلم أن العيش أمر ضروري وكلنا يجب أن نعيش، ولكن لا لمجرد العيش فقط بحيث نتجرّد كلياً من كل شيء، من بيتنا وأولادنا لأن طريق النجاة والإخلاص مفتوح، فيما إذا كان استمرار الحياة علىٰ هذه الحالة أمراً غير ممكن شرعاً، أي أن الزوجة إذا استمرت وظلت في بيتها ستظلم نفسها وأولادها، ففي هذه

الحالة، الانفصال أمر لا بد منه، وعليها أن تخبر الطفل بما قررت، لأن التجارب أثبتت، إذا ما بقي أمر الانفصال سرياً، سيسبب ولا شك معاناة صعبة للطفل تؤثر علىٰ نفسيته، ويجب أن لا ننسىٰ أن الأطفال الذين يقفون على طلاق أمهاتهم سيصابون ولا شك بحالات نفسية تسبب لهم في النهاية مشاكل جمة.

الفصل الثالث

الحمل والولادة

نتيجة تلاقح حيامن الأب مع بيضة الأم، يتم تكوين الجنين في رحم الأم. فتمر علىٰ الجنين مراحل عديدة، مدة (٤٠) أسبوعاً أو تسعة أشهر، حتىٰ ينمو الجنين في رحم أمه ويأخذ شكله النهائي، ويخرج للحياة، ليمارس حياته الجديدة، من الممكن أن تتم الولادة بين ٦ ـ ٩ أشهر، وإذا ما ولد الطفل قبل موعده المقرر، سيحتاج ولا شك إلى مراقبة شديدة.

أهمية فترة الحمل:

تعتبر فترة الحمل، فترة مهمة بالنسبة للأم والطفل على السواء، فالأم عليها أن تقضي فترة من حياتها، تحتاط بها، خوفاً علىٰ صغيرها الذي تحمله في أحشائها، فهي مضطربة وخائفة، والفترة مهمة للطفل أيضاً، لأن حياة ومستقبل الطفل من حيث سلامته أو نقصها ـ لا سامح الله ـ مرتبط بالأسابيع التي يقضيها في رحم أمه. ففي الرحم يأخذ شكله النهائي، وإن أساس سعادة وشقاء الطفل تبدأ من رحم الأم.

أهمية الاعتناء بالأم خلال فترة الحمل:

تشهد فترة الحمل انتقال الصفات الوراثية من الأبوين إلى الطفل، فالأم لا تستطيع أن تعمل شيئاً في تغيير الصفات الوراثية المنتقلة إلى الطفل، إلا أن المهم في هذه الفترة، احتمال حدوث نقص أو عارض جانبي يصيب الطفل، نتيجة الإهمال أو عدم معرفة الأم بالأمور، فالأم في هذه الفترة تكون علىٰ

اتصال فيزيولوجي وعاطفي بالطفل بواسطة الحبل السرّي الذي يتغذى الطفل بواسطته من دم أمه، فالأم يجب أن تحرص وتراقب نفسها داخلياً وخارجياً، حتىٰ تحافظ علىٰ طفلها من الأضرار ويأخذ شكله النهائي وقالبه الإنساني المتكامل، وبنظر الدين الإسلامي، إن الأم خلال فترة الحمل وحتىٰ الولادة، ومن الولادة وحتىٰ فترة الرضاعة، لها أجر المجاهد في سبيل الله، وإذا ما توفيت خلال هذه الفترات، فإن لها أجراً كأجر الشهيد.

العوامل المؤثرة في الجنين:

يعتبر الطفل وهو في رحم أمّه، عضواً من أعضائها، ويقع تحت تأثيرها. فالطعام والدواء الذي تتناوله الأم يؤثر على الطفل، لذا تعتبر فترة الحمل من أهم مراحل حياة الطفل، ويقع الطفل في هذه الفترة، تحت تأثير العامل المادي والنفسي.

العامل المادي:

المقصود بالعامل المادي، غذاء الأم، الأدوية التي تتناولها، ضغط الدم، عمر الأم، ضغط الرحم، حجم الرحم ونوع الدم.

وقد أثبتت التجارب، أن أنواع الأغذية التي تتناولها الأم في فترة الحمل تؤثر علىٰ الجنين، وقد ورد في الروايات الإسلامية ذلك، وأن أجر الأم أجر عظيم: «فإذا وضعت لم يخرج من لبنها جرعةٌ ولم يُمص من ثَدْيها مصَّةٌ إلا كانَ لها بكلِ جرعة وبكل مصّة حسنةٌ، فإن أسْهَرَها ليلةً، كان له مثل أجر سبعين رقبةً تعتقهم في سبيل الله»[1]. كما أنّ سوء التغذية مؤثرٌ جداً، ومن الممكن أن تسبب في الطفل جروحاً عميقة، فتناول الأغذية الحارة تسبب للطفل أمراضاً جلدية، وإن تناول المشروبات الكحولية والمواد المخدرة تؤثر في الدم، وتؤثر بالتالي علىٰ الجنين، وإن إدمان الأم علىٰ التدخين في فترة يؤثر علىٰ قلب الطفل، وان استعمال بعض الأدوية يؤدي إلى إسقاط الجنين، أو حدوث نقص في تركيبة الطفل، كقصر يديه أو رجليه، شلل الأطفال، أو

---

(١) نهج الفصاحة ــ الصفحة ١٠٦ الحديث ٥٣٤ [المترجم].

يصاب بالصمم والبكم، روماتيزم في القلب، وإذا ما أصيبت الأم بالتسمم من تناول الأدوية لا شك بأنه سينتج عن ذلك نقصٌ في جسم وعقل الطفل.

العامل النفسي:

المقصود بالعامل النفسي، الحالات النفسية التي تحدث للأم أيام الحمل كالاضطرابات النفسية، القلق، الخوف، التفكير الزائد، الأفكار الخاطئة والصائبة، الحزن والفرح، المشاهد المحزنة والمفرحة، التهيج الشديد، العصبية، التشاؤم. فإنها تؤثر على طبيعة الجنين في حالة تكوينه، والأغرب من ذلك أن البعض يعتقد إنّ استماع الأم إلى سمفونية ما أو ذهابها إلى حفلة موسيقية سيؤثر أيضاً علىٰ تكوين الجنين، لذا يؤكد الإسلام العزيز، ان الأم وخلال فترة الحمل عليها أن تحافظ علىٰ حالتها النفسية وتبتعد عن المشاكل وأن لا تضطرب ولا تتعب تفكيرها بأمور تافهة، وأن تقف علىٰ مشاهد ومناظر الطبيعة الخلابة، فهي بحاجة ماسة إلى راحة البال، أنْ تحاول تجميل وتزيين الغرفة التي تقطن فيها.

الأخطار التي تهدد الجنين:

ذكرنا فيما سبق بعض العوامل التي تؤثر علىٰ الجنين، وهنا سنأتي علىٰ ذكر عوامل أخرىٰ:

١ ـ الأمراض:

يتغذى الطفل من رحم أمه، فيأخذ منها كل شيء، الجيد والرديء، فالأم المريضة وخاصة بالأمراض المزمنة عليها أن لا تفكر بالإنجاب، فإن مرض السكر والسل والسفسل تنتقل إلى الطفل وقد تؤدي بعض هذه الأمراض إلى أن يولد الطفل مجنوناً، أو أعمىٰ، متخلفاً، وإذا ما أصيبت الأم في الأشهر الأولىٰ من حملها بمرض الجدري، سيؤدي ذلك إلى إصابة الجنين بعددٍ من الأمراض كالصمم، أو نقصٍ في بناء وتكوين القلب، نقص في الأسنان، صغر في الجمجمة، وإن أكثر العوارض التي يسببها الجدري للجنين هو الصمم.

٢ ـ قلة المواد الغذائية:

فالأم يجب أن تفكر بسلامتها قبل أن تفكر بالحمل. فإن قلة مادة الكالسيوم عند الأم، لا شك ستؤثر علىٰ بناء عظام الطفل وأسنانه، وقلة المواد الفسفورية تؤثر علىٰ جوانب أخرىٰ من جسم الطفل.

٣ ـ التلوث:

فالأم الحامل عليها أنْ لا تجهد نفسها خلال فترة الحمل وإلا سيؤدي ذلك إلى زيادة المواد السمية في دمها، وبالتالي يؤثر ذلك علىٰ سلامة الطفل، وإذا ما تناولت الأم طعاماً فاسداً ستنتقل السُميّة إلى الطفل ويصبح لونه غامقاً.

الرعاية أثناء فترة الحمل:

قلنا ان فترة الحمل فترة مهمة بالنسبة للأم والطفل، لذا علىٰ الأم في هذه الفترة مراقبة تصرفاتها، فعليها أن لا تنفعل بشدة، وان الأخبار المحزنة والمفاجئة ستؤثر علىٰ الجهاز العصبي للجنين، وتؤدي إلى الإخلال في ترشحات غدد الجهاز الهضمي، وإن المكوث في الحمام فترة طويلة يضر بها، كما عليها أن تحرص علىٰ أنْ لا تتجامع في الشهر الأول والثاني من الحمل، وأن يكون طعامها قليلاً ومقوياً لكي لا تتعب معدتها، فهي بحاجة إلى المواد المعدنية، واللحوم والحلويات، كما عليها أن تمارس الألعاب الرياضية الخفيفة واستنشاق الهواء الطلق، وعليها أن تمشي ولكن لمسافات قصيرة، ولا تقفز، فالقفز يؤثر علىٰ الجنين، وان لا تفتح ساقيها أكثر مما يجب عند المشي، وأن تكون ملابسها واسعة بعض الشيء وأن تمتنع عن ارتداء الملابس الضيقة اللاصقة بالجسم، وعليها أن تمتع بصرها بمشاهدة المناظر الجميلة والخلابة والذهاب إلى المنتزهات.

الشهر الأخير من فترة الحمل:

يحتاج الشهر الأخير من فترة الحمل إلى مراقبة أكثر، فعلىٰ الحامل أن تستعد نفسياً للولادة، وتفكر بالذي يجب أن تفعله، فتتناول الأطعمة المغذية مثل التمر، وأن لا تجعل مكوثها طويلاً في الحمام، وأن تراقب نفسها عند جلوسها وقيامها ونومها واستراحتها.

لحظات الولادة:

يجب أن تتم الولادة إما في المنزل أو في إحدىٰ مستشفيات الولادة، المهم أن يكون محل الولادة آمناً للطفل، ويفضل المنزل شريطة وجود ممرضة خبيرة بالولادة وتوفر الإمكانيات اللازمة أثناء الولادة، تستطيع الاهتمام بالطفل في المنزل، وإن لحظات الولادة هي اللحظات المهمة والحرجة في حياة الطفل، فإن جسمه طري وعظامه رخوة، وإن محل اتصال العظام بعضها ببعض لم تكتمل بعد، رأس الطفل من الأماكن القابلة للصدمة، خاصة إذا كانت الولادة بواسطة السحب الأجهزة الميكانيكية، وخلاصة القول إنّ الطفل المتولد حديثاً مثل الشخص الخارج من المستشفى توّاً ويعيش فترة النقاهة، وإن الأخطار الناجمة في هذ المرحلة يصعب علاجها.

أخطار الولادة:

إن أكثر أمراض شلل الأطفال والجنون والعاهات والتخلف العقلي التي تصيب الأطفال مرتبطة بالأمراض والحالات التي كانت تعاني منها الأم في فترة الحمل. وإن استعمال Forcepe أثناء الولادة يسبب نزيف الدماغ وإتلاف خلايا الدماغ وقد يؤدي إلى الشلل أو التخلف العقلي، لذا يجب الاحتياط أثناء الولادة.

يؤدي نزيف الأم أثناء الولادة إلى تشنج الطفل، وإن المشاكل الناتجة عن عدم المراقبة أثناء فترة الحمل كثيرة.

القسم الخامس

وظائف الأم بعد الولادة

مع ابتداء الولادة تتخذ وظائف الأم شكلاً وصورة أخرىٰ، حيث ان عبء مسؤوليتها يصبح أثقل ولكنها في نفس الوقت تشعر بحلاوة المسؤولية، وخاصة عندما تؤدي دورها الجديد، فإنها تدخل عالماً آخر مليئاً بالأمل والحياة، فتختلف طريقة تفكيرها ونظرتها للعالم، إنها تشعر بأنها مسؤولة أمام طفلها، مسؤولة عن غذائه ومراقبته وحمايته ومحبته، ومن أهم الوظائف الأولية للأم تجاه طفلها هي قبول الطفل على أساس أنه إنسان وأمانة الباري عز وجل وهو نعمة من نعم الله، لذا سنقف في هذا القسم علىٰ وظائف وواجبات الأم تجاه صغيرها.

الفصل الأول

قبول الطفل

الطفل هو ثمرة الحياة الملموسة والمحسوسة، وهو حب الأبوين، وبدون شك فإن أي امرأة ترىٰ ابنها جميلاً، فتقضي أغلب أوقاتها في مراقبته ورعايته والاهتمام به لتربي طفلاً جميلاً وطيباً.

وقد أكد الدين الإسلامي في روايات كثيرة علىٰ وظائف الآباء والأمهات تجاه الأولاد «إن من حق الولد علىٰ والده، أن يعلمه الكتابة وأن يحسن اسمه وأن يزوجه إذا بلغ»[1]. «أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم»[2]. «أعينوا أولادكم علىٰ البرّ من شاء استخرج العقوق من وَلده»[3].

إلا أنه ومن المؤسف أن بعض الأمهات لا يقمن بواجباتهن كما يجب، وأن الحماية والمراقبة تختلف من أم لأخرىٰ.. وأن عدم الاهتمام بأداء الوظائف لا يدل علىٰ صعوبتها، بل الإهمال في تطبيقها.

المقصود من قبول الطفل:

إن الغرض من قبول الطفل، لأنه من خلق وصنع الله تعالىٰ وأمانته التي وضعها بيد الأبوين، والأمهات خاصة، لذا عليهن حفظها ورعايتها

---

(١) نهج الفصاحة ــ رقم الحديث ٩٢٣ الصفحة ١٨٧ [المترجم].

(٢) نهج الفصاحة ــ رقم الحديث ٤٥١ الصفحة ٨٥ [المترجم].

(٣) نهج الفصاحة ــ رقم الحديث ٣٧٠ الصفحة ٧١ [المترجم].

والاعتناء بها، قبولها واحترامها وعدم الاستهانة بها، أو النظر إليها ببرود واحتقار.

والمقصود من قبوله، قبول الطفل كما هو بجماله وكماله، بعيوبه ونقصانه، فإن كان ناقصاً لا يحق لنا طرده من بيننا، فهو أمانة الباري عز وجل، فعلىٰ الآباء والأمهات تقع مسؤولية المحافظة عليها.

عدم قبول الطفل:

يحدث أحياناً، أن بعض الأمهات وبسبب طريقة تفكيرهن يطردن الطفل من حياتهن، وأنّ لعدم القبول هذا عدة أسباب نأتي لذكرها:

١ ـ ترفض الأم الطفل وتطرده من حياتها لأنه جاء ليس كما كان متوقعاً من ناحية الجمال أو الجنس.

٢ ـ يولد الطفل أحياناً ناقصاً، كأن يكون أعمىٰ أو معوقاً وقبوله يعني عذاب الأب.

٣ ـ يولد الطفل أحياناً، علىٰ غير رغبة الأبوين، ولم تكن تهدف إليه الأم.

٤ ـ يولد الطفل أحياناً والزوجة قد قررت الانفصال عن زوجها، وتريد أن تتزوج ثانية، والطفل يعيق ذلك.

٥ ـ قد تكون الزوجة تريد تنظيم حياتها الخاصة. أو أنها تشعر بتعب من مرض مزمن.

في كل الحالات التي جاء ذكرها، نرىٰ بأن الأم لم تفكر بمسألة واحدة ألا وهي أن الطفل ليس مذنباً، فهو لم يأتِ إلى هذا الوجود بإرادته، وان الأم أمام أمانة الباري وعطاء الخالق عز وجل، يجب أن لا تتصرف أي تصرف يغضب الباري عز وجل.

أضرار عدم قبول الطفل:

يؤثر عدم الاهتمام بالطفل وإهماله على حالته النفسية، فيجعله منزوياً وحاقداً. إن مسؤولية الأم في السنوات الأولىٰ من عمر الطفل مسؤولية

ثقيلة، فإذا أهملت الأم طفلها، سيؤدي ذلك إلى مشاكل ونتائج يصعب علاجها، وإنّ عدم قبول الطفل ومعاملته ببرود يجعله يعيش الغربة داخل المنزل مما يؤدي إلى تعقيده النفسي.

يعتقد البعض أن عدم الاهتمام بالأطفال أمرٌ عادي وطبيعي، إلا أن الأمر ليس كذلك، فالطفل يقارن نفسه مع أقرانه ويتألم لما يعاني منه، فلا يبوح لوالديه بمعاناته، بل قد يقص لأقرانه الصغار وضعه ويحدثهم كالرجال.

التفرقة بين الولد والبنت:

يأتي الرفض وعدم القبول أحياناً بسبب التفرقة في جنس المولود، فإن الكثير من الأمهات يتمنين ولداً أو بنتاً فيلدن جنساً مغايراً لما يرغبن، فتصل الحالة بالأم إلى أنها تتمنىٰ موت صغيرها، والأتعس من ذلك أن يدرك الطفل ما يدور في خلد أمه، إن عدم قبول الطفل بسبب كونه ولداً أو بنتاً يجعل الطفل يشك بنوع جنسه، فالأم التي تريد ولداً تجعل بنتها تتصف بصفات الأولاد والعكس صحيح. ذلك لأن الأمهات يربين أطفالهن تربية تختلف عن جنسهم الحقيقي، فتجعل إبنها يرتدي ملابس البنات، وهذا يؤثر علىٰ شخصيته تأثيراً كلياً.

نوع القبول:

يجب علىٰ الأمهات قبول أطفالهن كما هم، لا كما تريد هي. احترامه وقبوله يجب أن يكون عملياً، وتمتنع عن تحقيره وإهانته، وإلا سيؤدي ذلك إلى نتائج سيئة.

الآثار النفسية للقبول:

يحتاج الطفل إلى الحب والحنان والعطف، ويؤكد الإسلام علىٰ أن نعدل في ذلك «إن الله تعالىٰ يُحب أن تعدلوا بين أولادكم حتىٰ في القبل»[١]، وإلا فإن ذلك سيؤدي إلى عدم توازنه السيكولوجي والنفسي، فهو شديد الحساسية، عندما يجد الطفل من يحبه، يشعر بحلاوة الحياة، فينشد لها، ويؤثر ذلك على نموه ونطقه.

---

(١) نهج الفصاحة ـ رقم الحديث ٧٥٤، الصفحة ١٥٢ [المترجم].

قبول الأطفال المعاقين:

يجب علىٰ الأم أن تهتم أكثر بالأطفال المعاقين، ذلك لأنهم محرومين من أشياء كثيرة، خاصة وأنهم يحاولون مقارنة أنفسهم بأقرانهم من الصغار، يجب علىٰ الأم أن توضح لطفلها المصاب، أنها تحبه وتتمنىٰ سلامته، كما أنها فرحة بوجوده إلى قربها.

الفصل الثاني

تغذية الطفل

ينفصل الطفل فجأة عن أمه ويخرج إلى عالم جديد درجة حرارته أقل من الرحم، وعليه أن يتنفس الهواء المحيط به، فيشعر بالمعاناة والخطر فيبكي، فيحتاج عندها إلى من يخفف آلامه. فتأخذ الأم صغيرها بأحضانها وتهدىء من روعه وتزرع الأمل في قلبه، فيحس بحلاوة الحياة الجديدة، ويتعرف علىٰ العالم من خلال أمه، يتعرف علىٰ الحياة من خلال من يعطيه الحليب.

أهمية حليب الأم:

يقضي الطفل ٩ أشهر في أحشاء أمه، يتغذّى من جسمها ومن روحها ودمها، ويقضي سنتين يتغذىٰ من حليبها وتبعث فيه الحرارة والأمل، فهو بالحقيقة مرتبط بها خلال هذه الفترات ارتباطاً وثيقاً، حتىٰ يمكننا القول بأنهما جسدان في روح واحدة.

وإنّ حليب الأم لا يعتبر غذاءً للطفل فقط، بل إنه تبادل عاطفي وروحي، يلتقي بأمه عبر سماعه دقات قلبها وهو يشرب الحليب من ثديها، فيشعر بالاطمئنان، وإن الأطفال الذين لم يشربوا حليب أمهاتهم نجدهم محرومين من هذه الراحة النفسية، ولقد أثبتت التجارب العلمية مدىٰ أهمية دقات قلب الأم علىٰ الطفل عندما سجلوا دقات قلب الأم علىٰ شريط صوتي، وتركوا أجهزة الصوت مفتوحة تبث دقات قلب الأم. فنجد أن الطفل الذي كان في حالة بكاء وصراخ يسكت ويشعر بالراحة والهدوء وهو يستمع إلى دقات قلب أمه، وكأنه يحدثها.

فوائد حليب الأم:

يكاد يكون حليب الأم، الغذاء الكامل والمفيد للطفل، فإلى جانب أهميته الغذائية، فتنتقل بواسطته صفات وخصال الأم لطفلها، وإن نسبة الأطفال الذين يشربون حليب أمهاتهم بالأمراض المعدية أقل بكثير من الذين لا يشربون حليب الأم.

يعتقد علماء النفس، ان حليب الأم، يجعل الطفل سعيداً، ويشعر بالرضىٰ.

الأصول التي يجب مراعاتها عند إعطاء الحليب:

أوصىٰ الإسلام الأم بأنها عندما تريد أن ترضع طفلها يجب أن تضعه علىٰ الجانب الأيسر منها، وتشير دراسات جامعة (كرنل الأمريكية) إلى أن الطفل عندما يكون علىٰ الجانب الأيسر من أمه يشعر بالراحة، وان سبب ذلك يعود، إلى أنه عندما كان في رحم أمه، اعتاد على سماع صوت دقات قلبها، وعلىٰ صوت هذه الضربات كان يتغذىٰ، فعندما تضعه علىٰ الجانب الأيسر من جسدها يكون بالقرب من قلبها، فيسمع دقات قلبها ويشعر بالفخر والراحة. كما أوصىٰ الإسلام، عندما تريد الأم أن ترضع ابنها أنّ تضع يدها تحته لكي يشعر بحرارة جسدها، وهذا الإحساس يؤثر في نمو الطفل.

فترة الرضاعة:

أوصىٰ الدين الإسلامي الحنيف، علىٰ أن مدة الرضاعة هي سنتان، وأكدت التجارب العلمية، أن هذ المدة كافية، فالطفل يتعود تدريجياً علىٰ بعض الأغذية في النصف الأول من سنته الأولىٰ، إلى أن يعتاد تماماً بعد سنتين علىٰ تناول كافة الأطعمة. وإذا ما كانت فترة الرضاعة أقل من ٢١ شهراً، سيؤثر ذلك على حالة الطفل النفسية، فيشعر بالحرمان العاطفي، لذا نجد أن الأطفال الذين لم يرضعوا من ثدي أمهاتهم يمصون إبهامهم احتجاجاً على اللذة التي انحرموا منها.

امتناع الطفل عن الرضاعة من ثدي أمه:

نجد ان بعض الأمهات لا يهتمن بطريقة رضاعة أطفالهن، فيؤدي ذلك

إلى امتناع الطفل عن الرضاعة من ثدي أمه.

وتشير التجارب العلمية ان ذلك يعود لعدة أسباب، نذكر منها الضوضاء، وعدم الشعور بالأمن، الخوف والوحشة من المحيط، وقد يكون بسبب تناول الأم بعض العقاقير التي تؤثر على الحليب فتجعله غير مستساغ.

رعاية نظافة الثدي:

الثدي عبارة عن طريق يرتبط فيه الطفل بأمه، فعلى الأم المحافظة على نظافة ثديها. فتتركهما مدة نصف ساعة يومياً عرضة للهواء الطلق، وتحاول أن تفرغ ثديها من الحليب الزائد ذلك لأن تفريغ الثدي من الحليب الزائد، هي إحدى طرق زيادة حليب الأم. كما يجب أن ترضع صغيرها من ثديها الأيمن والأيسر لأن ذلك مفيد لها ولطفلها.

الحالات التي يجب أن تمتنع فيها عن رضاعة طفلها:

في الحالات التي سنأتي إلى ذكرها، يجب على الأم أن تمتنع عن رضاعة طفلها.

١ ـ إذا كانت الأم مصابة بالأمراض الجرثومية والمزمنة.

٢ ـ إذا كان الثدي متورماً وملوثاً.

٣ ـ إذا ما توفي أحد أقرباء الأم، وهي في حالة تهيج.

٤ ـ عندما تكون الأم قلقة أعصابها متوترة.

٥ ـ وحالات أخرى.

أضرار عدم تغذية الطفل من حليب أمه:

ينتج عن عدم تغذية الطفل من أمه عدة أمراض، أهمها العصبية، وإن أي دار رعاية للأطفال أو مدارس الحضانة لا يمكن أن تغني الطفل عن حنان وعطف وحب أمه. وإن الأضرار الناجمة عن عدم تغذية الطفل من حليب أمه كثيرة ومؤثرة وخاصة في الشهر الرابع والخامس، فإذا كانت الأم موظفة ولا تستطيع إرضاع طفلها في ساعات معينة، عليها أن ترضعها على الأقل عصر

كل يوم وبعد أن تنتهي من عملها الوظيفي، عندها ستكون العوارض الناجمة أقل بكثير.

حاجة الطفل إلى حضن أمه:

يحتاج الطفل إلى حضن وحنان أمه، فهي التي تجعله ينام مطمئن الخاطر إلى قربها، فإذا كان الطفل لا يرضع من ثدي أمه، ويشرب الحليب من زجاجة الإرضاع، فيجب أن يكون علىٰ اتصال وثيق بأمه، فالطفل بحاجة ماسة إلى هذا الإتصال المباشر مع أمه، ليقضي لحظات جميلة من حياته في حضنها، ينظر إلى وجهها الباسم ويحس بحرارة جسدها ويشم رائحتها، فكل هذه الأشياء تؤثر علىٰ حالته النفسية، فتجعله سعيداً، وإن هذا هو غذاؤه الروحي، لذا فعلىٰ الأم التي لا ترضع صغيرها، عليها أن تلاعبه وتأخذه بالحضن، تقبله، فإن ذلك سيؤثر علىٰ روحيته، ويزرع الأمل في قلبه. يحدث أحياناً أن تقل شهية الطفل للطعام ويضعف تدريجياً، فعلى الأم أن تنوع طعامه وتبحث عن أسباب المرض، وإذا كان سبب قلة شهيته للطعام نفسية، فعليها أن تظهر حبها لصغيرها وتلاطفه وتلاعبه.

فطام الطفل:

الأم هي أمل الطفل، فمن خلالها يرىٰ العالم، وهي سبب نشاطه، وهي التي تبعث فيه الحرارة، لذا يجب أن لا يتم الفطام مفاجئاً وسريعاً أو خشناً وقاسياً، فيشعر الطفل أن كل شيء انتهىٰ وأن الدنيا اسودت في عينيه، بل يجب أن تستعد الأم لفطام طفلها منذ أشهر، فتجعله يعتاد على تناول الطعام، وتبدأ تدريجياً تقليل عدد وجبات الرضاعة، حتىٰ يعتاد الطفل أخيراً على ترك صدر أمه.

الفصل الثالث

مراقبة الطفل وحمايته

يعتبر حضن الأم أول مكان لحفظ ورعاية وتربية الطفل، فيجد فيه أعلىٰ درجات الحب والعاطفة، وأجمل أشكالها مراقبة وتضحية شديدة، فتمنحه الأم بيديها المليئتين بالحب والصفاء القوة والاعتماد على النفس. يحتاج الطفل في السنوات الأولىٰ من عمره إلى مراقبة شديدة، فهو مسلوب الاختيار، ولا يستطيع القيام بأي عمل من تلقاء نفسه، فهو يتبع نظام العائلة، والأم خاصة بشرِّها وخيرها وكمالها، وإذا لم يجد من يهتم به سيحزن وقد لا ينمو نمواً طبيعياً.

أضرار عدم رعاية وحماية الطفل:

إننا لو بحثنا عن أسباب الموت وارتفاع نسبتها بين الأطفال والأمراض، والتخلف العقلي والانحراف والشعور بالنقص، لوجدنا أن ذلك ناجم عن عدم مراقبة الأم لطفلها، وان التخلف العقلي والضعف الجسدي، سببه حرمان الطفل من العلاقات الاجتماعية والعاطفية وحرمانه من حب الأم وعواطفها، ويؤدي ذلك بالطبع إلى مرض الطفل أو تمارضه. إنّ رعاية الأم ستسعد طفلها وتجعله فرحاً، فإن هذه الأمراض مع كونها تعذب الطفل، إلاّ أنها تجعله في نفس الوقت سعيداً للغاية للعناية التي يشعر بها من أمه. ويؤدي عدم اهتمام الأب بالطفل إلى عوارض أخرىٰ، كالاختلال في النمو، والحزن، والاضطراب و. . .

درجات المراقبة والعناية:

العناية بالطفل أمر جيد ويؤكد عليه العلم والديانات وخاصة الدين الإسلامي الحنيف، فالأم وقبل كل شيء يجب أن تكون أماً وتعتني بالطفل من جميع النواحي، إلا أن ذلك لا يجب أن يكون أكبر من حدوده المتعارف عليها، فإذا خرجت العناية عن حدودها ستجعل الطفل مغروراً، مدللاً، يحب ذاته، فتمنحه الأم كل وقتها، حتىٰ تشعر بأنها خادمة له، تمسح على رأسه كي يستيقظ، تقوم بغسله وتنظيفه وتغيير ملابسه، وتجعله يعتمد اعتماداً تاماً عليها، عندها يفقد الطفل قدرته ويصبح إنساناً اتكالياً لا يعرف كيف يتصرف، مغروراً، يتوقع من الآخرين أكثر مما يجب، ويعتقد أن حريته ليست لها أية حدود، وبالتالي إن ذلك يهدد حياة ومستقبل الطفل، فعندما يكبر تجده اتكالياً لا يستطيع أن يتصرف أو يتخذ قراراً، فهو مسلوب الإرادة، ضعيف الشخصية، فاشل في حياته الزوجية، عصبي المزاج، ومن أضرار العناية الزائدة تكون سبباً، في أن الطفل لا يستطيع الذهاب إلى المدرسة، لأنها لا تطابق تصرفاته، ولا يجد هناك من يدلله، لذا لا يتمكن من أن يوثق علاقته بها.

طرق العناية:

يجب أن يشعر الطفل ابتداءً بعناية الأم ومراقبتها، ويطمئن لذلك، وفي نفس الوقت يجب أن تحاول الأم كي لا يكون ابنها اتكالياً، أنْ تجعله يتصرف وتراقبه باستمرار، وتجعل فراشه بالقرب من فراشها في سنواته الأولىٰ، وعندما يبلغ سن التمييز تغير مكان نومه، إلاّ أنها تبقىٰ بالقرب منه حتىٰ ينام وتذهب إلى غرفتها، وعندما يناديها تجيب على ندائه وتسرع لمساعدته.

العناية بالأطفال المعوقين:

لا يستطيع أي كان العناية بالأطفال المعوقين، فهو أمر صعب ومهلك، إلا الأمهات وحبهن الذي يجعل عملهن سهلاً يسيراً، يشعر الطفل المعوق بالألم عندما لا يجد من يهتم به أكثر من ألم نقصه وعيوبه، لذا يجب على الأم أن تبذل عناية فائقة بابنها المعوق أكثر من ابنها السالم، خاصة إذا بلغ سن

التمييز وأصبح يفهم ويدرك الأشياء، فيقارن نفسه بالآخرين ويتألم. تجدر الإشارة هنا ان عطف الأم لا يجب أن يكون سبباً يشعر الطفل بنقصه. يجب أن يعلم الطفل أن نقصه ليس أساسياً، فعليه أن يفرح لأن عقله سالماً ويستطيع أن يفكر، والعناية الزائدة تؤدي بالطفل إلى أن يتصرف كيفما يشاء.

الفصل الرابع

حب الطفل

لا تقتصر وظيفة الأم علىٰ تحضير مأكل وملبس الطفل والاهتمام بنظافته، إنما أوكل إليها الباري عز وجل مسؤولية الاهتمام بصحة الطفل وسلامته البدنية والنفسية والخلقية، وزرع الحب والحنان في قلب طفلها الصغير وأن تشبع حاجة طفلها من الحب والحنان.

يحتاج الطفل إلى الحب والأمان وهذه الحاجة طبيعية،فمن خلالها سيمكنه الاطمئنان علىٰ حياته المستقبلية ويخلق عنده الوازع لمواصلة حياته، ولكي ترفع الأم الستار عن قلبها وتبدي حبها، لا بدّ لها من أن تتعرف علىٰ المبادىء والأصول لتتحرك علىٰ ضوئها، لأن الإفراط في الحب له مخاطر عديدة.

الحب ـ حاجة أساسية للطفل:

حينما يولد الطفل لا يعرف شيئاً عن الحياة، ولا يعرف أي شخص فيها، وإن معرفته الأولىٰ في الحياة تبدأ مع الغذاء، فيتعرف علىٰ الطعام، بعد أن يكتشف بأن الطعام هو أساس استمرار حياته، يتعرف بعد ذلك على حرارة جسد أمّه عندما يلتصق جسده الصغير، بجسدها المليء بالحب والحنان. إن هذين الاثنين (الغذاء وحرارة جسد الأم) هما أول قسم مهم في علم ومعرفة الطفل بالعالم، وخلال مرحلة الطفولة الأولى يتناول طعامَه ومن ثم يلتصق بأمه ليطالبها بالحب، فالحب في هذه المرحلة هو أساس ديمومة وبقاء الطفل حياً علىٰ قيد الحياة.

طبيعة حب الأم:

يختلف نوع الحب الذي يحتاج إليه الصغير عن الآخرين، ومن خصوصياته أنه حب بلا شروط، أي أنه حب لا ينبع عن جماله أو حلاوة لسانه أو نموّه وغير ذلك. إنه حب كبير وعظيم يحيط الطفل من كل جانب حتىٰ يغرق فيه. وقد زرع الله سبحانه وتعالىٰ هذه الخصوصيات في قلب الأم من الساعات الأولىٰ للحمل، فهو حب غريزي ولاإرادي وهو حب أكبر من الوصف حب مليء بالتضحيات، فتضحي الأم بنفسها من أجل طفلها. حب من جانب واحد، قد لا يبادلها صغيرها هذا الحب عندما يشتد عوده، وقد يكون سبب عذابها، إلا انها تبقىٰ على عهدها.

كلما يتكامل الطفل وينمو سيدرك مدىٰ الحب بشكل أفضل وسيبدي رضاه ويبادلها الحب.

أهمية حب الأم للطفل:

عرفنا بوضوح أن الحب من ضروريات الحياة بالنسبة للطفل وتتضح هذه الأهمية عندما ندرك أنّ الوصول إلى مرحلة حب المجتمع لا بد أن يمر عبر مرحلة حب العائلة، ومن جانب آخر لا يمكن بناء وتكامل القوىٰ العقلية والفكرية للطفل إلا في ظل محيط هادىء ومليء بالحب وإلا سيصاب بالكآبة والاضطراب الفكري.

يرسم حب الأم مستقبل الطفل، وقد كشفت الدراسات أن حب الأم وعاطفتها هما من العوامل المهمة التي تعالج الطفل لدىٰ مرضه، ويزرع حنان الأم في قلب الطفل الشجاعة والبسالة ويقوي عزمه في مواجهة المشاكل والمصائب المختلفة بما في ذلك المرض، ويُعتبر هذا بحد ذاته عاملاً مساعداً على استعادة الطفل لسلامته.

من جانب آخر ان حب الأم لطفلها يرسم بالتالي تصرفات الطفل المستقبلية، في أنْ يكون مُحبّاً، أو كارهاً، ليناً، خشناً، قاسياً، اجتماعياً، منطوياً علىٰ نفسه.

صعوبة عمل الأم:

إن ممارسة الأمومة عملية معقدة للغاية، لأنها تتطلب من جانب أن تبدي الأم حبها وعطفها للطفل، ومن جانب آخر السيطرة عليه وجعله منضبطاً، فيجب عليها أن تكون قوية ومقتدرة حتىٰ تتمكن من السيطرة على طفلها وبنائه.

إنها لمسؤولية صعبة جداً أن تمارس الأم دورها التربوي طبقاً لعاملي العطف والانضباط، حب ومحاسبة. وإنها مسؤولية تحتاج إلى دقة متناهية في التعامل، فهي أمام محاسبات دقيقة، فيجب أن لا يؤدي حبها إلى العصيان وتهربه من المسؤولية وعدم احترامه لأوامر الأم أو الأب.

طرق إظهار الحب:

هناك طرق عديدة تستطيع الأم من خلالها أن تبدي حبها لصغيرها وأفضلها، احتضان الطفل وتقبيله والمسح على رأسه، عندها يطمئن الطفل لحياته ومستقبله ويعتقد اعتقاداً راسخاً أن الشدة والمحاسبة الدقيقة هي من أجله، من أجل أن يكون يوماً ما، إنساناً مهماً في المجتمع، وهنا يتضح سرّ الوصية الإسلامية بتقبيل الأطفال. وقد قال رسول الله (ص): «من قبل ولده كتب الله له حسنة»[1].

ومن الطرق الأخرىٰ التحدث مع الطفل بكلام لين وموزون والاهتمام كثيراً في مجال المأكل والملبس وتوفير راحته واللعب معه، فقد جاء عن النبي «من كان عنده صبٌي فليتصاب له»[2].

ميزان الحب:

يحمل الطفل في طيات جسده قلباً نقياً طاهراً، ومن الضروري مَلؤه بالأحاسيس الطيبة والعواطف الإنسانية النبيلة، فحب الأم لا يخضع لميزان،

(١) وسائل الشيعة ــ الصفحة ٢٠٢ الجزء ١٥ [المترجم].

(٢) وسائل الشيعة ــ الصفحة ٢٠٣ الجزء ١٥ [المترجم].

فهو حب كبير، يشمل جميع مجالات حياة الطفل ويضيؤها بنوره ويؤمّن بناءه الجسمي والنفسي لكي يصبح الطفل إنساناً صالحاً وطبيعياً في مجتمعه.

النقص في الحب أو فقدانه:

يؤدي النقص في حب الأم للطفل أو فقدانه كلياً إلى معاناة عديدة، تظهر بعضها في السنوات الأولىٰ، وقلة الحب أو انعدامه تؤثر علىٰ شخصية الطفل في كبره، ففي السنوات الأول تنحصر المعاناة في انعدام الشهية للطعام مثلاً، والأرق، والصراخ في النوم، والتبول اللاإرادي في الفراش ليلاً أو نهاراً ومحاكاة الآخرين دون مبرر، والقيام بحركات شاذة لإبراز ذاته ولفت أنظار الآخرين إليه، فهو بالحقيقة يبحث عن الحب.

ويوفر فقدان الحب في السنوات الأربع الأولىٰ، الأرضية المناسبة لاضطراب الطفل، وذلك لاعتماده الكبير خلال هذه المرحلة على والديه واللجوء إليهم لدىٰ مواجهته لأدنىٰ مشكلة في التعامل.

وينمو الطفل الذي حرم من حب الأم ليكون عصبي المزاج وناقماً وخشناً وعنيفاً في تصرفاته لا يرحم أحداً ولا يشعر بالشفقة علىٰ الآخرين وسيء الظن، وتسلك بالتالي مشاعره طريقاً خاطئاً ولا يفكر إلا بنفسه وينسىٰ الآخرين والمحيطين به.

وقد يلجأ الطفل الذي لم يلق حباً كافياً من أمه، أو لم يرتو من هذا الحب إلى أي شخص كان ويستسلم لأي حب كان حقيقياً أو كاذباً. وهذا هو سر انحراف العديد من البنات ولجوئهن إلى الفحشاء والمنكرات، ولجوء الأبناء (الذكور) إلى الشذوذ الجنسي وذلك لمواجهتهم لعالم جديد من الحب والعاطفة والانقياد له مباشرة، وقد يؤدي ضعف الحب إلى أن يكون الطفل لاابالياً في حياته، مما سيؤثر ذلك سلباً علىٰ مستقبله.

الإفراط في الحب:

الحب ضروري جداً لحياة وبناء مستقبل الطفل، إلا انه يجب أنْ تكون للحب حدود معينة، وإلا فإنه يجعل الطفل يكثر من طلباته ويتصرف تصرفات غير طبيعية. ومن أسباب إفراط الأم في حبها لطفلها هو فقدانها الأولاد

سابقاً، فهي لم تكن تنجب وأنجبت بعد فترة انتظار طالب، أو ظلم الزوج لزوجته والضغوط الاجتماعية والشعور برغبة دائمة للحصول على الطفل. ومهما كانت الأسباب، فإن الإفراط في حب الطفل يحمل أضراراً عديدة منها، انه يضعف لديه الشعور بالمسؤولية ويحدُّ من نموّه العقلي ويدفعه إلى الاعتداء علىٰ حقوق الآخرين، فينشأ مستبداً ويشعر بالاضطراب والقلق في كبره، لرفض المجتمع لتصرفاته وليصاب أخيراً بعقدة الحقارة، وينبغي مراعاة الاعتدال في حب الطفل حتىٰ تقوم حياته بين الخوف والرجاء.

أخطاء في الحب:

يعتبر الحب أحد الحاجات الضرورية للطفل ليمتلك روحية سالمة وفكر خالٍ من كل شائبة، تعتقد بعض الأمهات أن إبراز الحب يجب أن يتم بالاهتمام بالطعام والملبس، فيوجهن اهتمامهن بشكل كبير إلى مأكله وملبسه، ويوفرن بذلك الأرضية للعديد من الأمراض والعادات السيئة، ويعاني مثل هؤلاء الأطفال كثيراً بسبب الأطعمة المختلفة ويبقون ضعفاء البنية دائماً.

وقد تقوم كلمات الحب أحياناً علىٰ أساس المقارنة بين هذا الطفل والآخرين، وقد يقال له انك أفضل وأذكىٰ من ولد الجيران فيصاب بالغرور، ويصل الأمر تدريجياً بالطفل أن يصدق هذا الأمر، مما ينعكس ذلك سلباً على نموه العقلي. . فهذه الحالات وعشرات غيرها هي نماذج لأخطاء الأم في مجال إظهار حبها.

الحب والطفل:

يجب على الأم أن لا تسعىٰ إلى طرح نفسها لتكون الأنموذج الوحيد في التعبير عن الحب الصادق لطفلها، وانها الشخص المحب الوحيد له. فهذا ليس في صالحها ولا في صالح ولدها. . فيتوقع أكثر مما يجب، وعندما تريد أن تمارس معه الانضباط يسيء الظن بها، وهذا الأمر ليس بصالح الطفل، فعندما يتعلق الطفل بأمه تعلقاً تاماً وكبيراً، فلا يرىٰ الأشياء إلا من خلال منظارها فعندما يفقدها بسبب الموت، سيفقد الصبر علىٰ مفارقتها وقد يؤثر ذلك على تكوينه الفكري.

ولا بد للأب أن يبدي حبه أيضاً، وأن يقتسم الوالدان هذا الدور، لأن ذلك ضروري جداً لنمو الطفل اجتماعياً.

الطفل الثاني وحب الأم:

من الطبيعي جداً أن تبدي الأم حباً مضاعفاً للصغير القادم، فهو الآخر بحاجة ماسة لهذا الحب ويرتبط ذلك بوضع الطفل الخاص وطبيعة الحياة التي تعيشها العائلة، وحلاوة لسانه وتصرفاته الجميلة، وهنا ينبغي أن يوضح الأمر للأولاد الأكبر سناً حتىٰ لا يشعروا بأنهم منسيون ومرفوضون، ويجب علىٰ الأم أن توفر الأرضية المناسبة لاستقبال الصغير القادم قبل أشهر من ولادته وتوضح لأولادها الآخرين الظرف الخاص لهذا المولود.

القسم السادس

الأم عصا الطفل

الأم هي عصا الطفل، يعتمد عليها في كل الأمور، حتىٰ يعتقد انها تمثال يجب عبادته، تعرف كل شيء، محبة، تساعده وتقف بالقرب منه، وإذا ما حدثت له مشكلة فهي الوحيدة التي يجب أن يلجأ إليها، إنها طبيبه الخاص، وهي التي تلبي له جميع طلباته، يأمر وهي تنفذ، في هذا القسم من الكتاب سنبحث بعض جوانب هذه الأمور وكيف يرىٰ الطفل أمه، والأمور التي تستطيع الأم القيام بها.

الفصل الأول

الأم من وجهة نظر الطفل

الأم هي قلب الأم النابض، إنها تمثاله الذي يقدسه ويعبده، والذي لا يتهشم، وهي الإنسانة العملاقة القوية، التي تستطيع القيام بأي عمل كان، وتضحي بالغالي والنفيس من أجل سعادة ابنها، حتىٰ انه يعتقد بأنها لا تمل من الحديث معه وتتحمل العذاب والمصائب من أجله ولا تشعر بالعذاب، فينام عندها قرير العين، يركض، ويلعب، ويمرح ويعرف جيداً أن هناك عيناً تراقبه بحب، وأن مستقبل الطفل مرتبط كلياً برؤية الأم وتفكيرها وتصرفها مع طفلها.

يعتقد الطفل أن أمه إنسانية محبة، حتىٰ إذا ضربته يجب أن يلجأ إليها، وإذا كانت عنده شكوىٰ ضدها، فيجب أن يشكو عندها، وإذا ما قام بأي تصرف خاطىء فإنها تسامحه.

الأم من وجهة نظر الطفل، إنسانية منضبطة، إذا ما أخطأ، سيسأل ويحاكم وسيعلم والده بذلك، فعليه أن يخجل من ذلك، وعلىٰ هذا الأساس إذا ارتكب الطفل أي خطأ عليه أن ينتظر نتائج عمله.

يعتقد الطفل ان الأم مدينة له، لذا عليها أن تلبي له ما يريد تسديداً لدينها، وإذا لم تفعل ذلك سيصرخ ويبكي ويطالب بذلك.

الأم هي النموذج، هذا ما يعتقده الطفل، إنها النموذج الكامل في الأخلاق والتصرف، أي تصرف تقوم به هو صحيح وكامل، باستطاعتها أن تعرف الصالح من الطالح، لذا نرىٰ الطفل يبدأ بمحاكاتها، وأن الكلمات الأولىٰ التي ينطقها ما هي إلا كلمات من عند أمه.

الأم هي من تبعث البهجة والحب والإنس في قلب الطفل، يستطيع أن يتفق معها بسهولة تامة فهي تحبه وتحب ضيوفه، وتستقبل أصدقاءه بحب وبهجة.

الأم من وجهة نظر الطفل، هي الجندي المدافع عنه، إذا ما ضربه أحد يشكو إليها أمره، وإذا ما أصابه مرض سيخبرها بذلك لتعالجه، وإذا ما أراد أن يعاقبه الأب سيلجأ إلى أمه.

الأم من وجهة نظر الطفل إنسانة سموحة، تسامحه على أخطائه وتعفو عنه.. والأم بالتالي هي قلب الطفل النابض.

ملاحظات حول تربية الطفل:

يعتقد الطفل، إذا ما أخطأ، أن أمه ستسامحه، وهذا أمرٌ صحيح. إلا أن ذلك يجب أن لا يؤدي به إلىٰ أن يغفل ما يريد، ويتصرف كيفما يشاء دون أي قيود تذكر.

علىٰ الأم أن تراعي الطفل، إلا أن ذلك يجب أن لا يؤدي إلى عناد الطفل ويدفعه إلى تحقيق ما يريد عن هذا الطريق، ويجعل الأم تطيعه، ففي هذه الحالة تفقد الأم دورها الحقيقي كأم.

يعتقد الطفل إنّ أمّه تعلم كل شيء، وتعرف كل شيء، إن اعتقاد الطفل في المراحل الأولىٰ من عمره اعتقاد جيد، وعلىٰ هذا الأساس يجب أن تلم الأم بالمعلومات العامة، والتي يحتاجها الطفل، إلا أنه في نفس الوقت اعتقاد خاطىء، وخاصة إذا اعتبر أمه عالمة بكل شيء، ففي بعض الحالات يجب عليها أن تعترف بأنها بحاجة إلى معرفة بعض الأشياء، وإن ذلك يعتبر درساً مفيداً للطفل.

الإنضباط في العائلة أمر جيد، إلا أنه يجب أن يكون هناك فرق بين الأب والأم. فالأب يجب أن يكون النموذج في الانضباط، والأم النموذج في الرأفة والحنان، لذا يجب عليها أن لا تكون شديدة وقاسية مع ابنها.

الأم هي منبع وسعادة الطفل، وإذا ما غضبت أو تخاصمت معه، فالدنيا ستسود في عينيه ومن أجل تربية الطفل فمن الضروري أن تخاصم الأم ابنها، شريطة أن لا تطول مدة التخاصم، لأنه لا يستطيع تحمل ذلك.

الفصل الثاني

الأم، اعتماد الطفل العاطفي

تعتبر الأم أن الطفل هو الأمل والذي يبعث فيها الحياة ابتسامة منه، تكون سبباً في أن تضحي من أجله، في الوقت نفسه، يعتبر الطفل أن أمه رأس ماله ونشاطه، وإذا ما انفصلت عنه، ستكون حياته في مهب الريح، سيواجه الخطر، يتمرض، يصفر، يحزن، ولا يطيق الحياة، لأنه انفصل عن الأمل، وان هذا الحب المتبادل بين الأم وطفلها هو الذي يبعث الجمال في الحياة. . فالحياة بطبيعتها لا تساوي شيئاً دون العواطف والحب، فهي مهمة حتىٰ للكبار، فما فائدة أن يعمر الإنسان مائة عام دون أن يميز بين البارد والحار، الربيع والصيف، الحزن والفرح ولا يهتم بذلك، فالحياة التي لا تجد فيها أية عاطفة أو حب هي كحياة الحيوانات المفترسة، التي لا ترىٰ شيئاً سوىٰ الافتراس ولا منطق آخر لديها. يقضي الطفل أغلب معمره مع أمه. إنها مظهر من مظاهر القوة والحب، ولكي تكون حياة الطفل طبيعية يجب أن يعيش بين قطبين، الحب والغضب.

ما هو المقصود من العواطف:

الحياة إذا كانت علىٰ منوال واحد، فهي حياة رتيبة ومملة وقاسية. فلكي تكون زاهية وجميلة يجب أن تلم بالعواطف علىٰ أنواعها وأشكالها، فهي بحاجة إلى الحب والغضب، الخصام والصلح، الرأفة والحقد، نحن نريد القول بأنّ الطفل بحاجة إلى حنان وحب ورأفه كما أنه بحاجة إلى غضب وخصام أمه كي تتكامل شخصيته وينمو نمواً طبيعياً من الناحية النفسية.

تأثير العاطفة علىٰ الطفل:

تزرع الأم عواطفها الرقيقة الشفافة في قلب الطفل كالألفة والمعرفة وتسقيها بحبها وحنانها، إن عواطف الأم علىٰ أشكالها وألوانها ودرجاتها لا تقاس بأي شيء ولا يمكن أن تستبدل بحب آخر، ولن تجد حبّاً كحبها في هذا الوجود. جذورها عميقة ومتماسكة وأغصانها لن تستسلم للرياح، ولن تجد غضباً كغضبها، فإنه يزول بسرعة كزوال الشمس وهو معجون بالحب، فهو غضب كاذب.

نستنتج من ذلك أن الأم لا تعوض بالمربية، وأننا لا يمكن أن نترك أطفالنا بيد المربيات، وأن روضة الأطفال بجميع متخصصيها لا تستطيع أن تؤدي دور الأم. فالأم بعواطفها الجياشة تنفد إلى كيان وشخصية الطفل المعنوية وتؤثر عليه حتىٰ في كبره، (وإن توفيت تتجسم له بين الحين والآخر، تحدثه وترشده ويأخذ منها ما يريد)[1].

وعندما تحدث له مشكلة، ينادي أمه، ويتذكر نصائحها، فيهدأ.

خلاصة القول، إن سعادة الطفل أو تعاسته مرتبطة ارتباطاً كلياً بعواطف الأم.

الحرمان العاطفي:

يؤدي حرمان الطفل من عاطفة الأم إلى اختلالات جسمية ونفسية وانحرافات أخلاقية، فنجد الرجل المحروم في صغره من حنان الأم، يستسلم أمام عدة كلمات جميلة من هذا وذاك، ينخدع بسرعة وقد تكون الأم المحرومة في صغرها من عاطفة الأمومة، ضعيفة الشخصية لا تستطيع السيطرة علىٰ أعصابها، حزينة وكأنها في مأتم، وجهها مصفر، متشائمة، يائسة، متأخرة ذهنياً، مجرمة، قاسية، حقودة. خلاصة القول إنّ الجو العائلي العاطفي يؤثر على كيان الطفل وحياته المستقبلية، وكم كان جميلاً لو أن الأم كانت تضع قليلاً من وقتها والذي تصرفه لتربية الحيوانات الأليفة علىٰ ولدها كي ينمو نمواً طبيعياً وسالماً.

---

(١) هذه الحالة تحدث لي مراراً ـ [المترجم].

أنواع العواطف:

تختلف طبيعة عواطف الأم عن الأب، فحنان الأم وحبها تجد له جذوراً قوية ومتماسكة لا يمكن قلعها بسهولة فهي مترسخة، أما غضبها وخصامها، فهو زائل، كالطوفان بعد فورة غضب يهدأ ويزول وكأن شيئاً لم يكن. في حين ان عواطف الأب هادئة كالنسيم لا تظهر للعيان بسهولة، فهي مستترة، وهو شديد العقاب، تهدد الأم طفلها بأبيه، فهو العين الساهرة قضائياً، وبالتالي هو أقوىٰ من الأم.

فالطفل يريد من أمه حباً دون شروط، فإنه لا يستطيع الاعتماد علىٰ نفسه ولا يرىٰ هذه القدرة في شخصيته، فهو يعتمد علىٰ أمه اعتماداً كلياً. في حين نجد أن الأب يحدد شروط حبه، حتىٰ يستطيع السيطرة علىٰ تربية ابنه، ترتبط الأم بابنها عاطفياً عن طريق الطعام، القبلة، أو الزعل المؤقت والانفصال. في حين ان ارتباط الأب وابنه يتم عن طريق تحسينه وتشويقه وترغيبه.

متىٰ تظهر العاطفة:

تظهر العاطفة في قلب الأم في الساعات الأولى التي يتكون فيها الجنين، وتشعر أن هناك شيئاً يتحرك في أحشائها، فتفكر فيه، وتقلق علىٰ راحته وتراقب نفسها من أجله، وعندما يأتي ويشم رائحة الحياة، يتغير هذا الحب إلى حب ملموس، حب دون أية حدود،في الشهر الثالث من عمر وليدها، تحاول الأم أن تفهم طفلها بعض القواعد الانضباطية بأصوات مختلفة، الفرح والحزن، وتعوده علىٰ أن لا يكون عنيداً، وتبدأ معه تدريجياً، عندما يضع الطفل أقدامه على أعتاب الحياة يشعر بأنه وأمام ألغاز الحياة الجميلة والقبيحة، وكلما يمرّ عليه الزمان ويكبر، تتضح له معاني هذه الألغاز.

العاطفة والأطفال المعوقين:

يختلف وضع الأطفال المعوقين عن الطبيعيين، اختلافاً كلياً، فهم بحاجة ماسة إلى الحب والحنان أكثر من الغضب والزعل، كما يجب أن لا نمن عليهم بحناننا وعواطفنا، ولا نجعلهم يشعرون بما يعانون.

الفصل الثالث

الأم ملجأ الطفل

الأم، يعني بمفهوم الطفل المكان الآمن الذي يلجأ إليه كلما يشعر بالخطر، فيبعث فيه الاعتماد بالنفس والحرارة والقوة. فهو يتصورها إنسانة قوية لا تقهر، وهي الملجأ في كل الأمور والحالات، قد تكون أم امرأة ضعيفة لا حول لها ولا قوة، وأضعف من طفلها، إلا أنها أمامه شخصية يمكن الاعتماد عليها واللجوء إليها كلما يشعر بالخطر، وهذا الشعور مهم وضروري للطفل، فهو يبعث القوة وهدوء البال.

الحاجة إلى الأمن:

يعرف الطفل أمه في الشهر الثالث من عمره، ويدرك أن حياته مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحياتها، فعندما يكتشف الطفل وجود أمه يتعلق بها، حتىٰ يصل به الأمر، انه لا يذهب إلى حضن غيرها وإذا ما ابتعدت عنه قليلاً يبكي ويصرخ معترضاً.

وتتضح أهمية حاجة الطفل إلى أمه عندما يبلغ عامه الثاني، وتزداد هذه الأهمية وتصل أعلىٰ مراحلها عندما يبلغ الطفل عامه الخامس والسادس.

قد تستخدم الأم مربية لابنها، وقد يقبل الطفل ذلك ظاهرياً، إلا أنه وبعد عدة أيام نجده يشكو ويتحجج وبالتالي يبدأ بالبكاء مطالباً بأمه.

أثبتت التجارب، أن الطفل وحتىٰ سن الثالثة، يعتبر أن أمه هي الملجأ، إلا أنه وبعد هذا السن عندما يدرك ويفهم تتغير هذه النظرية في ذهنه، فيلجأ

إلى الأب لحل المشاكل الصعبة وخاصة المشاكل التي تتطلب إلى قوة، من المهم أن يشعر الطفل أن حياته آمنة، وهذا يساعد على نمو الطفل وتكامله، وان الأمان على عدة أنواع:

الأمان العاطفي:

يجب أن يعتقد الطفل بأن أبويه يحبانه، وأنه ابن أمه، تحبه وتعزه، وإذا لم يكن أحد في الدنيا يحبه، فإن أمه تحبه وتعشقه، ولأنها تحبه فهي تشتري له كل ما يحتاج من ملابس ولُعب وتهيىء له كل ما يريد.

يرتبط اعتماد الطفل علىٰ نفسه بإحساسه الأمني والعكس صحيح، فقد يؤدي عدم الاطمئنان العاطفي حدوث عيوب جسدية ونفسية علىٰ الطفل، يخاف، يشعر بالحقارة، منزوياً. وإن مثل هؤلاء الأطفال يرون عيوبهم فقط.

الأمان النفسي:

قد لا يرضي تعامل الأم طفلها، وخاصة إذا ما يقارن نفسه بالآخرين، فتخلق عنده هذه الحالة اضطراباً نفسياً وقلقاً عاطفياً، حتىٰ يصل به الأمر أن يرىٰ الدنيا سوداء ومعتمة، فالطفل بحاجة ماسة للأمان النفسي. يمزق موت الأم فؤاد الطفل وتخلق عنده متاعب جمة، خاصة في الصغر، وإن موت الأب يكون سبباً في تعلق الطفل بأمه أكثر وأكثر، ويكون حساساً ورقيقاً، فتزداد بذلك وظائف الأم.

الأمان مقابل العوامل الطبيعية:

يلجأ الطفل إلى أمه كلما وقع له حادث كالزلزال والصاعقة أو حتىٰ عندما يواجه حيواناً صغيراً، فعلىٰ الأم في هذه الحالة أن تحمي صغيرها.

الشجار:

يحتاج الطفل إلى من يلجأ إليه ويدافع عنه عندما يتشاجر أو يضربه أحد الأطفال أو أراد أن يزرقه الطبيب مصلاً. فالأم التي لا تستطيع أن تحمي طفلها في مثل هذه الحالات تسقط من نظره ولا يستطيع الاعتماد عليها.

الأمان في حالة النوم والوحدة:

تزرع الأم في قلب ابنها الطمأنينة والأمان، فهو يعتمد عليها في كل صغيرة وكبيرة، حتىٰ في حالة نومه، يستيقظ الطفل من نومه ليرىٰ وجه أمه الباسم. وعندما يداهمه المرض ويرقد في فراشه يريد أن تكون أمه بالقرب منه، فيجب عليها أن لا تخدع ابنها وتتركه وحيداً في حين انه يتصور أنها في البيت أو في الغرفة المجاورة، في حين انها ذهبت خارج المنزل لتقضي أمراً ما، فإن ذلك ولا شك سيسبب متاعب جمة لها ولابنها.

أهمية إقناع الطفل بالأمان:

يتجسد دور الأم الأمني في تحضير المأكل والملبس لطفلها وتدفع عنه الأخطار التي تهدده، مرضه، وحدته، عندما يضربه أبوه، ظلم الآخرين. لا يجد الطفل في نفسه شجاعة الشجار مع الآخرين، أو أن يقول شيئاً يدافع فيه عن نفسه، فيلجأ إلى حضن أمه ويهدأ من روعه، فإن حضنها هو بيت الأمان، هو الحصن المنيع، فهو يريد دائماً المحافظة علىٰ ذلك الحصن، ويريد أن يحس بذلك ويلمسه بيديه، يراه بعينيه، يريد أن يرىٰ أن أمه تعمل وتتحرك وتتشاجر من أجله، فقد يستطيع الطفل تحمل الجوع، إلا أنه لا يستطيع تحمل سكوتها عندما يُعتدىٰ عليه، قد يستطيع ارتداء ملابس رثة، إلا أنه لا يستطيع أن يراها مكتوفة الأيدي عند وقوعه في الشدائد والمحن.

خطر تلاشي الأمن:

يؤدي تلاشي الأمن الى مخاطر جمة لحياة الطفل، كالقلق، التشويش، الخوف، الاضطراب، وقد يصل الاضطراب درجة لا يستطيع الطفل عندها حل مسألة بسيطة، عندما يرىٰ الطفل أن بيته أصبح متشنجاً وأن أمه في قلق مستمر قد يؤدي إلى عدم استطاعته النطق بصورة طبيعية، عندما يرىٰ الطفل أن أبويه عصبيين ومضطربين يحس بالخطر ولا يستطيع عندها أن يفترق عن أمه لحظة واحدة، فهو يخاف أن تذهب ولا تعود إليه، يخاف من كل شيء، لذا إننا نلاحظ أن مثل هؤلاء الأطفال يمتنعون عن الذهاب للمدرسة. نستنتج من ذلك أهمية وظيفة الأم كم هي صعبة ومعقدة وثقيلة.

الملاحظات التي يجب مراعاتها:

يقع علىٰ عاتق الأم زرع الطمأنينة والأمان في قلب ابنها، فتجعله يشعر بأنها معه وتدافع عنه، في الوقت الذي لا تجعله يتعلق بها كلياً، حتىٰ لا يؤثر ذلك علىٰ استقلاله الفكري وعلى الأم أن لا تؤكد علىٰ عيوب طفلها، بل علىٰ نقاط القوة كي يستطيع عندها إصلاح نقاط ضعفه التي يعاني منها، وهذا مهم لنمو شخصية الطفل، ولكي يكون بناء الطفل سالماً، يجب أن لا نؤكد علىٰ العواطف والأحاسيس، بل علىٰ العقل والتفكير العلمي وإلا سيؤدي ذلك إلى خسائر جسدية ونفسية.

الفصل الرابع

الأم مسؤولة عن حاجات الطفل

يضع الطفل أقدامه علىٰ ساحة الحياة وهو بحاجة إلى الحماية والمراقبة، وكلما يكبر وينضج تزداد هذه الحاجات وتتوسع وتتعدد حتىٰ تشمل جميع مجالات الحياة، لا شك أنّ هناك بعض حاجات الطفل، يجب أن تلبى سريعاً لديمومة حياته ونموه الطبيعي، وبعض هذه الحاجات يجب أن تُلبى بمساعدة المربي ونشاط الطفل التدريجي، لكي يستطيع التخلص من الاتكالية.

حاجات الطفل:

إن حاجات الطفل كثيرة ومتعددة، منها حاجته للمأكل والملبس والمسكن والصحة والحرية، تطبيق العدالة، الانضباط، الإحساس بالغرور، الدلال، قوة الشخصية، المواساة، العائلة المتحدة، الهدوء الصدق، معرفة العالم، وعشرات الحاجات الأخرىٰ، قد لا يستطيع الطفل أن يعلن عن حاجاته المتعددة، إلا انها موجودة في كيانه، وانها بحاجة إلى مربي كي يعلن عنها.

أهم حاجات الطفل:

حاجته للمراقبة:

يحتاج الطفل إلى مراقبة أبويه وخاصة إلى مراقبة أمه، قد يسبب ترك الطفل لمدة يوم أو يومين دون مراقبة إلى موته. يحتاج الطفل في عامه الأول إلى مراقبة في أطر محددة تشمل المأكل والملبس والصحة، وعندما يكبر ويستطيع المشي أو يحبو، يحتاج إلى مراقبة أكثر، حتىٰ يصل الأمر، ان جميع

أهل الدار يجب أن يتحدوا لمراقبة الطفل من مئات الأشياء الموجودة في المنزل، كالمقص والسكين، والشوكة، الكهرباء، النفط، الزيت، الماء الساخن، المساحيق، الدواء، ولا يمكننا الاطمئنان أن هذه الأشياء وضعت في مكان لن تصل إليها يد الطفل بسهولة، ونترك الطفل بعيداً عن أنظار أهل الدار.

حاجته للملاطفة:

يحتاج الطفل إلى ملاطفة ومداعبة أمه وحبها وحنانها، فإن ذلك يقوي روحيته ويحسن من أخلاقه، وسيؤدي بالتالي إلى نمو الطفل الطبيعي، قد يبكي الطفل أحياناً، لا من أجل داء يشكو منه، بل لأنه بحاجة إلى من يداعبه ويدلله، وإذا أخذته أمه بحضنها، سيهدأ ويرتاح، وإذا ما وقع الطفل علىٰ الأرض، فإنه بحاجة ماسة إلى أن تأتي إليه أمه وتسألهم عن حاله وترىٰ ما حلَّ به، وتنفض الغبار عن جسده وملابسه وتمسح علىٰ رأسه، تقبله وتمسح دموعه الساخنة، الطفل الذي يبكي ساعات ولا يسكت يحتاج إلى من يدلله ويلاطفه ويسأل عما به، عندها تعلو الابتسامة علىٰ وجهه البريء وكأن شيئاً لم يكن.

حاجته لمن يلعب معه:

يحتاج الطفل عادة إلى من يلعب معه ويكون بالقرب منه، فهو عادة لا يحب الوحدة والانزواء، وقد أوصىٰ الإسلام باللعب مع الأطفال، لذا يجب علىٰ الأم أن تدرك ذلك وتمنح قليلاً من وقتها لهذا العمل المهم، شريطة أن لا تنسىٰ الانضباط وأن لا يتجاوز اللعب حدوده المنطقية.

حاجته لتعريف شخصيته:

يحب الطفل أن يلفت أنظار الناس إليه، وإثبات وجوده وشخصيته، وأنه كالآخرين له أهميته في هذا الوجود، لذا فإنه يقوم ببعض الأعمال الجميلة ليلفت الأنظار، إنه أمر حسن ما لم تصل درجته إلى حالة الإفراط.

حاجته لمستمع:

يحتاج الطفل عادة إلى من يستمع إليه ويصغي إلى حديثه وأن لا تبدو علىٰ المستمع حالة التعب والانهيار والضجر، وإنّ وجود المستمع يؤدي إلى

نمو الطفل الطبيعي وتزداد ثقته بنفسه، هذا من ناحية ومن ناحية أخرىٰ يتعلم طريقة الحديث، ويخرج من الانعزالية، ويكون بالتالي إنساناً اجتماعياً، نستنتج من ذلك أن الطفل عندما يتحدث بأمر ما يجب الاستماع إليه بجد ونصغي إليه باهتمام:

حاجته للغرور:

يرغب الطفل عندما يذهب إلى مكان ما، أن تكون أمه بالقرب منه، فيشعر بالغرور، ويرغب أن تكون ملابسه جميلة وحذاؤه نظيفاً وأنيقاً وأنّ له لعباً جيدة وأن أبويه يحبانه ويدللانه ويلبيان حاجاته الأخرىٰ كالطعام، اللباس، السفر، النزهة، مكان خاص له. لا ننسىٰ أن رعاية هذه الأمور ضرورية شريطة عدم الإفراط بها.

ملاحظات حول تحقيق حاجات الطفل:

تحقيق حاجات الطفل أمر صحيح، إلا أن الإفراط في ذلك وحمايته تجعل منه طفلاً ضعيفاً، كلما يكبر الطفل وينمو يجب أن يخرج من دائرة المراقبة المستمرة ويبقىٰ تحت السيطرة والمراقبة الشخصية، فعلىٰ الأم في هذه المرحلة من حياة الطفل أن تقوم بدور المرشدة ترشد طفلها وتدله علىٰ طريق الخطأ والصواب، وتنقذه من الضلال والضياع. إذا ما قررنا أن نستسلم لجميع متطلبات الطفل ورغباته ونزواته فهذا أمر خاطىء، كما اننا يجب أن لا نحرم الطفل من كل ما يريد وأن لا نحقق له كلّ ما يريد، بل يجب مراعاة الاعتدال في الأمور، وإذا ما أردنا مثالاً، فالأم يجب أن لا تسأل طفلها ماذا يريد من طعام حتىٰ تحضر له، بل يجب أن تقول لابنها عندنا نوعان من الطعام أيهما تشاء.

القسم السابع

الأم وصياغة الطفل

تقوم أسس الإعمار أو التخريب وتدور دائرتها غالباً حول مركز الأمهات. وقد تتدخل في ذلك عوامل مؤثرة أخرى من خارج البيت مثل المجتمع، التربية، وسائل الإعلام، القدوات و. . .الخ. ولكن الذي تتفق الآراء عليه هو أن الأم تضع اللبنات الأولى والأساسية للبناء الأخلاقي والسلوكي لجميع أفراد المجتمع منذ السنين الأولى لحياتهم. فالأم كاشفة العالم للطفل وقدوته وهاديته وقائده الفكري. وهي التي تبني شخصيتهُ، وتعلمه القواعد والأصول والضوابط، ولذلك يكون بيدها أساس بناء الطفل وهي التي يمكنها أن تصوغ المجتمع وتبنيه أو تجعله خَرِبة ينعب الغراب فيها.

سنتناول في هذا القسم الأبعاد الإيجابية للأم وتأثيرها في الطفل مع رعاية الاختصار المفيد.

الفصل الأول

الأم وعالم الطفل

تشكل الأم للطفل عالمه الروحي والاجتماعي الرحب، ويتصورها في ذهنه كالمحيط والمطلع على أسرار العالم ويعلم كلّ ما يحدث في أطرافه وأكنافه ولذلك يسأل منها عن كل ما يدور في خلده وعن كلّ شيء وبذلك يُكوّن رؤاه ونظرياته، ويرسم تصوراته عن العالم السلبية منها والإيجابية، فكم سيكون سيئاً حين يريد أن يشبع نهم حب الاستطلاع لديه ويصطدم دائماً بجدار جهلها ليعود يجر أذيال الخيبة واليأس. والأسوأ من ذلك عندما تملأ ذهنه وعقله بالمعلومات الخاطئة لتتقولب على أساسها وتكون الحاجة إلى كسب المعلومات الجديدة التي تفسّر هذا العالم وتكشف عن ضروريات الحياة الاجتماعية للطفل. فيلزمه أن يعرف أسرارها ما دام يعيش فيها، وهذا ما يجب أن تقوم به الأم على الأقل في الفترة حتى بداية دخوله المدرسة ولذا يعتبر الطفل الامتداد والانعكاس الطبيعي لحياتها وعقائدها. ونتيجة للملازمة الدائمة بينهما وعلى أساس ما يقتبسه منها تتكامل شخصيته وتأخذ قالبها وشكلها النهائي.

العالم المقلوب:

يقوم عالم الوجود في جميع جوانبه على نظام موزون وتتحكم فيه قواعد وقوانين غايةً في الدقة. فإذا أُخطىءَ في توضيح هذه القوانين والنظم للطفل فستتكون لديه صورةٌ مقلوبة ومشوهة عنها. فعلى سبيل المثال لدىٰ الطفل بالفطرة مفاهيم ذاتيةً عن حُسْن أداء الأمانة، ووجوب الوفاء بالعهد، وقُبح

الكذب و. . .الخ. فليس صحيحاً أن تلقي الأم في ذهنه أنه لا يمكن العيش بدون الكذب، والوفاءُ بالعهد يؤدي إلى أن تتأخر عن القافلة وتتخلف، أو أن الذي يحفظ الأمانة سيُخان به و. . .الخ ذلك لأن الطفل يعتبرها مركزاً للمعلومات ويَنقلُ عنها كل ما يُسأل عنه، ولذا يصبح لزاماً عليها أن تُدقق وتُهذّب ما تعلّمهُ وتُلقيه في روع الطفل وذهنه من مفاهيم وقوالب معلوماتية جاهزة.

تعريف الطفل على الدنيا:

يستجيب عقل الطفل سلباً وإيجاباً لأنواع المؤثرات والعوامل، وسيكون نور علم الأم أوّل شعاع ينفذ إليه ليضيئه ويجعله يتلألأ ببريقه، وسيتدرج الطفل بمساعدة ذلك الوميض في كشف طريقه في الدنيا وتكوين صورة له عنها. فيجب عليها أن تعلّمهُ علماً يفيده في أن يتعرف على العالم في جميع جوانبه الظاهرية والمستترة، وعليها أن تراعي مصالحهُ ومصالح المجتمع في هذا الطريق والمعالم، ونوع أو ماهيّة العلاقة التي تربطه بالدنيا، الآن ومستقبلاً، وماذا سيستنبط منها وكيف يستفيد منها. كمثال على ذلك عليها أن تعلّمه أن علاقتهُ بالأرض هي علاقة الإعمار والبناء ومع أفراد المجتمع هي علاقة التعاون والعمل المشترك والجاد للوصول إلى ما ينشده من أهداف، وأن تعلمه أن هذه العلاقات والروابط لا تعتبر هدفاً وغاية في الحياة بل وسيلة ليس إلاّ.

تستطيع الأم في تعريفها الدنيا إليه أن تلقنه بأن بعد هذه الدنيا عالماً آخر أوسع وأرحب، وبينهما طريق يربطهما ببعض ويكون العالم الآخر امتداداً لهذه الدنيا، كما تكون الدنيا امتداداً لعالم الرَحِم وترتبط به.

ومن جانب آخر يجب على الأم أن توسع أفق الطفل وتعلّمه القدرة على المقارنة والقياس وتجعل ذهنه يحلق في الآفاق، لكي يستطيع أن يتصور الدنيا بالنسبة لعالم الوجود كحبة رمل في صحراء لامتناهية أو كالرقم واحد بالنسبة إلى الأرقام الكبيرة ولكن إلى الحد الذي يستوعبه ذهنه.

تحديد موقعه من الوجود:

يمكن للأم إمّا أن تصور الدنيا للطفل ضيقة ومحدودة بالقرية أو المدينة

التي تعيش فيها وتقدمها إليه متأطرة بنفس الإطار الذي تتخيّله ليتصور هو بدوره أن الوجود لا يخرج عن دائرة ما يراه حوله من قريب أو بعيد. أو تصورها واسعة تتفاعل فيها الموجودات وترتبط بقوانين ونظام دقيق ويؤثر بعضها على الآخر.

ويمكن أن تحدد الوجود والكون كله داخل الدنيا الرحبة أو تعرّفه أن الكون غير متناهي والأرض فيه جرم صغير وأن الوطن قسم منها والمدينة أو القرية التي تعيش فيها ما هي إلاّ أجزاءٌ صغيرة لذلك القسم. وتشرح له أن الإنسان يعيش فيها عمراً محدوداً ليودعها إلى دنيا أخرى ولكي نحصل على سعادة الأولى والآخرة فعلينا واجبات ولنا دور يجب أن نؤديه، ويشكل كلٌ منا لولباً أو مسماراً في دولاب الفلك الدوّار. فإذا لم نستسلم لحركته ودورانه فسوف يختل نظامه.

فيجب على ذلك أن تُوسّع أفق الطفل ودائرة معارفه ومعلوماته لكي ينظر إلى نفسه كعضو في عالم الوجود ومخلوقاً من مخلوقات الله ويتبع القوانين والنظام الإلهي ويرتبط بالآخرين بعلاقات حسنة وإنسانية.

تعريف المخلوقات والحوادث:

يتلقّن الطفل من أمه النظرة الصحيحة أو الخاطئة عن الوجود، ومفاهيم الخير والشر ومعرفة أضرار ومنافع الموجودات. وسيبقى ما تلقيه في ذهنه عنها راسخاً لمدة قد تطول، وستبعث تفاسيرها عن الدين، الحرية، قوام الشخصية، العاطفة، البناء، الهدم، السماء، الأشياء، معاني العلاقات، ومفاهيم الحقد، البغض الكراهية والحسد على سوء الفهم أو حسنه وحُسن السلوك أو سوئه لديه، فالمهم هو كيف تفسّر الأم حوادث العالم وطريقة ارتباطها ببعضها؟! والخلاصة كيف يمكن للأم أن تجعل نظرة الطفل إلى الحياة عميقة ومتفحصة؟ وما هو المنظار الذي ستضعه على عينيه؟!

قيمة العالم:

خلق الله عالم الوجود وبالأخص الأرض مهاداً للحياة، نتعلق به كثيراً ولكن يجب أن لا يكون تعلقنا بشكل يجعلها هدفاً لنا، فليست لها قيمة كبيرة

تستحق التضحية بكلّ شيء من أجلها بل هي وسيلة نستخدمها للوصول إلى أهداف أسمىٰ وأجلّ. فليس عالم الوجود إلاّ مكاناً مؤقتاً للزرع وقابلاً للتحوّل والزوال ومحلاً للتسامي والتكامل، وما الأطر والأنظمة والقوانين الحاكمة فيها إلاّ لتحقيق السعادة وللاستفادة منها بصورة أفضل.

يمكن للأم أن توضّح عُمق القضية للطفل عند تعليمه هذه القيمة فلا تكتفي بظواهر الأمور السطحية بل يجب النظر إلى الوجه الآخر والعمق الباطن فيها. وتستطيع بالاستدلال البسيط المفهوم أن تحقق ذلك.

تعريف الحياة العائلية:

يترك تعريف الوظائف والأعمال العائلية للطفل آثاراً سلبية أو إيجابية عليه، ذلك لأنه يعيش في عالم خاص، يفكر فيه، يرى من خلاله، ويقّيم الأشياء به، فإذا لمس أنّ أمه تعيش بهناء وطمأنينة بجوار بقية أفراد الأسرة فسيحصل هو أيضاً على الراحة النفسية فيما بعد وبالأخص إذا كانت بنتاً.

وفي نفس الوقت الذي تشكّلُ الحياة العائلية محيطاً للعيش واللذة والراحة والسعادة والانشراح فإنها إحدى المسؤوليات وعلى الأم أن تخلق في الطفل هذه النظرة الوظيفية. والخلاصة نذكّر بأن تربية الطفل وخلق النظرة الواقعية إلى الحياة فيه ستَضْمن له السعادة وتستطيع الأم بنظرتها المتفحصة والدقيقة أن تحقق تلك السعادة له.

الفصل الثاني

الأم اسوة

لا يمكننا البحث عن القيم الأخلاقية مع الأطفال دون السابعة إلاّ بصعوبة بالغة. فما يقوم الطفل به من أعمال وأفعال ينشأ من تأثره بسلوك وآراء من يعيش حوله. نُريد القول بأن الطفل يستطيع بقوة عقله وفكره أن يُحَكِّم الضوابط والأصول الفكرية في حياته ويتقبّلها بتعقّل. ونشير إلى أن ما يكتسبه الطفل من أخلاق وسلوكيات تبدأ من حدود الثالثة من عمره وتأخذ بالتدريج شكلاً وطابعاً مميّزاً له وذلك لأسباب سنتناولها بالبحث والتنقيب في هذا الفصل.

أهمية السلوك:

تجري سلوكيات وتصرفات الأم كالدم في عروق الطفل وتَصبغُ شخصيته بلونٍ مميزٍ طيلة حياته يكتسبُ سلوك الأم بكونها مثالاً للطفل أهمية قصوى بشكل يرتبط فيها مصير تكوينهُ الروحي في المجالين التسامي أو الانحطاط لأنه يعتبرها أسوة يقلّدها في جميع تصرفاتها.

ينشأ كثير من اللامسؤولية عند الأشخاص ويتولّد نتيجةً لأخطاء الأم وسلوكها السيء مما يؤدي إلى الشقاء والتعاسة، فكم من الأطفال الذين تقمصوا خلقاً معيناً من الأم صار يزاحمهم طيلة حياتهم ولم يمكنهم إنقاذ أنفسهم منه.

ما هي أهمية السلوك؟!

يُستدلّ على أهمية سلوك الأم بالدلائل التالية:

١ ـ وجود حالة التقليد والمحاكاة عند الطفل:

يمتلك الطفل حالة من التقليد والمحاكاة لأفعال الكبار ويقوم بتقليدها لاإرادياً. فكل فعل للأم يعتبر مهماً له حتى طريقة كنس البيت، وطريقة المطالعة عند الأب وكيفية نزاع وعراك الإثنين. ولا شك أنه كلّما كان الشخص ملازماً له كلّما كان تأثيره عليه أكبر، ولا أكثر من الأم التصاقاً به، فسيقتبسُ منها جميع حركاته وسكناتها الصحيحة والخاطئة لأنّه يفتقر إلى التجربة المسبقة لكي يستطيع المقارنة لينتخب الأفضل منها.

والخلاصة فإن شخصية الطفل ستتكوّن باللون الذي تصبغه أمه.

٢ ـ روح حب الاستطلاع لدى الطفل:

يبحث الطفل عن قدوةٍ له يتأسىٰ بها ويتعلم منها كيفية الأكل، الشرب، اللبس، التحدّث، النظافة، وسائر المسائل الحياتية الأخرى، وتكون الأم أول أسوة يتعرف عليه نتيجةً للتلازم الموجود بينهما بصورة طبيعية.

٣ ـ روح عبادة البطولة:

ينبهرُ الإنسان عادة بالأبطال والمثاليين ويسعى لتقليدهم وتطبيق سلوكه وفق سلوكياتهم. فإن استطاعت الأم جذب الطفل إليها فستكون أول بطل يظهر في حياته وسيقوم بتقليد تصرفاتها الحسنة والسيئة.

٤ ـ حب التشجيع:

يرضى الإنسان عادةً عن نفسه وعن عمله ويُحبُّ أن يستحسن الآخرون ذلك ويشجعوه عليها. لذا يقوم الطفل بمحاكاة الكبار ويقلّدهم في طريقة كلامهم ليجلب أنظارهم. وسيكون طبيعياً تقليده للأم في تصرفاتها أكثر من غيرها وستكون أفضل وسيلةً يُظهر فيها كفاءاته ويثير استحسانها.

تأثير سلوك الأم:

تكون أذن وعين الطفل كالبوابة المفتوحة يسمع ويرى كل شيء وذهنه

كالمرآة تنعكس فيها صور الأشياء بفارق بسيط وهو أن ذهن الطفل يحفظ ما يراه بينما ليس للمرآة حافظة. يستطيع الطفل حتى قراءة طريقة تفكير أمه، وما يستنبطهُ يمكن أن يكون هدّاماً أو بنّاءً، ويقوم الأطفال بتمثيل آبائهم وأمهاتهم عندما يكونون لوحدهم في المنزل وهي حالة تستحقُّ التعمق والتأمل فيها. لذا يمكن للأم أن تحي فيه الأمانة والصدق، الوفاء بالعهد، البحث عن الحقيقة، وحب الحق و. . .الخ وتذكيها في فطرته أو تقتلها وإلى الأبد. ولذا فهي العامل المهم في هدايته أو انحرافه عن السراط السويّ.

ويزداد تأثيرها عليه في الجوانب العاطفية، ولا يمكنها أن تربيّ الطفل شجاعاً إن كانت جبانة، وستترك آثاراً سيئة في روحه وروعه عندما تفقد توازنها لرؤية خنفساء تدبّ على الجدار. وستقتل الطفل عملياً عندما تعيش في اضطراب وخوف دائم من أوهام الزلزلة، الاصطدام بالسيارة أو انهيار السقف. وستُربيهِ حساساً، مضطرباً وقلقاً. وعلى العكس منها الأم التي تقاوم اليأس والقنوط وتتعلق بالله وتؤمن بأن كل الأمور بيده تعالى وهو القادر على كل شيء فإنها ستربي الطفل إيجابياً شجاعاً.

تثقل واجبات الأم في جانب تدريب الطفل على تحمّل المسؤولية وستكون نموذجاً سيئاً له عندما تكون متكاسلة ومتراضية تأمر وتنهى الخدم ولا تتحرك من مكانها ولا تكلّف نفسها حتى جلب قدح من الماء لتشربه بل تحمّل الطفل بذلك، نعم يمكنها أن تأمره ببسط السفرةَ، وجلب المناشف، وتحضير الصابون، وغيره عندما تكون هي أنشط وأسرع حركةً منه.

تأثير الأم في البنت:

يتضاعف تأثير الأم في البنت ويكتسب أهمية خاصة، لأن البنت ستصبح يوماً أمّا وتسير على الطريق، فيجب على الأم أن تكون نموذجاً حسناً وقدوة لها إذا أرادت أن تخلق منها أماً مثالية لأن البنات يقلّدن الأم أكثر من الأب في حين يقلّد الولد أباه وسيترك كليهما تأثيره في الطفل بنحو ما.

فيمكن أن تتصرف الأم في المنزل بشكل يجعل البنت لا ترغب بالزواج أبداً ولا تفكر أن تشكّل عائلةً يوماً ما. وتفكر البنات الصغيرات عادةً بتكوين الأسرة والإنجاب والحياة المستقبلية أكثر من أيّ شيء آخر، بصورة تهيء

نفسها لاإرادياً لتقبل مسؤوليات الأمومة تدريجياً، وسيكون طبيعياً تأثير سلوك الأمهات وتجاربهنّ في الحياة عليها. تعلّم الأم ابنتها ربوبية البيت من خلال تصرفاتها، فإذا كانت ذات علاقة واشتياق عند قيامها بواجب الأمومة فيحتمل أن تصبح البنت نسخةً منها، والعكس صحيح فلا ننتظر من البنت أن تكون أفضل من أُمّها التي تتعامل في حياتها الأسرية بالغرور واللامبالاة وسوء الخلق، فستترك كلّ هذه الخصال إرثاً لبنتها.

مسؤولية الأسوة:

لاحظنا على أساس الصورة التي رسمناها آنفاً من هو المسؤول الأول في خلق العادات السيئة عند الطفل ورأينا أن الغرور، العصيان، واللجاجة تنشأ فيه إلى حد كبير من الأم فما يراه الطفل منها يقوم بتقليده، ففي الطفل خصوصية أخرى وهي انه ينظر إلى كلّيات الأمور والمضامين ولا يمكنه تحليلها وتجزئتها. ولذا فإنه سيفهم حياة أمه وتصرفاتها دفعة واحدة ولا يرهق ذهنه بالبحث عن الأسباب والتعليل. فكثير من أفعال الأطفال التي نعتبرها نوعاً من الانحراف وحتى الشذوذ الجنسي ما هو إلاّ تقليد أعمى لسلوك الأبوين. ولا ننسى أن الطفل سيعمم ما يتعلّمه ويطبقه ببساطة على جميع أموره ويقضي فيها على ذلك الأساس.

ولذا فعلى الأم أن تسيطر وتراقب تصرفاتها أكثر من الآخرين وتنتبه إلى صورة أفعالها وتصرفاتها وتكون على وعي كامل بما تفعل ولا تنخدع بمقولة أن الطفل صغير ولا يدرك الأشياء بل يجب أن تكون طبيعية ولا تتكلّف في سلوكها وتسعى إلى القيام بواجباتها ليس من أجل إرضاء الآخرين. فلا شك أن الإنسان يحتاج إلى معرفة آراء الآخرين بالنسبة إليه ويودّ أن يرضوا عنه، ولكن الإنسان الواعي والمثقف لا يهمّه ذلك إلاّ قليلاً فالسعي لإرضائهم والمبالغة والمغالاة يخلق عند الأم شخصيتين متناقضتين مما يؤثر سلباً على مستقبل الطفل.

الفصل الثالث

الأم وهداية الطفل

ليس للأم تأثير وراثي واجتماعي على الطفل فحسب، بل تلعب دوراً مهماً في تعريفه على ثقافة المجتمع والحياة الاجتماعية وتهديه نحو الطريق الصحيح. فسيتقبل قبل كل شيء فكر الأسرة والأبوين لأنه سريع التصديق وماهر في التقليد وسيتكامل بناء شخصيته وروحه على أساسها. وستتشكل أبعاد شخصيته في أحضان الأم في السنين الأولى لعمره ويتخذ موضع الدفاع عنها فيما بعد. وبعبارة أخرى فإنه سيتلقّن طريقة خاصة في التفكير ويستمرّ عليها، ولهذا نقول ان الدور الريادي للأم يمكن أن يؤدي إلى سعادته أو تعاسته ولات حين مندم.

أهمية الريادة:

يتلخص دور الأم التربوي في هداية الطفل ولا يعطي النظر إلى التربية من هذه الزاوية إلاّ معنى الريادة والهداية. وتتحمل مسؤولية عظيمة في هذه الهداية لأنها ستوجه فكره، سلوكه، أمانيه، أهدافه، وجميع الجوانب الأخلاقية والاجتماعية له. وتبني بذلك مستقبله ومستقبل المجتمع إمّا فاسداً وإمّا صالحاً.

ضرورة الدقة في الرائد:

يمكن أن تمنح الدقة وعدمها في عملية الهداية الطفل نظرة متشائمة أو بالعكس في جميع جوانب الحياة، ويرتبط ذلك بخبرة المربي ومستواه الفكري والثقافي، فما أسوأ حال الأطفال الذين يتربون في ظل أم جاهلة لا تميّز بين

الخطأ والصواب عندها سيسلك الطفل طريق الانحراف والفساد ليفسد بدوره المجتمع.

تكمن حذاقة الأم وفنها في انتخاب الخطوات التي تتناسب ونمو الطفل وتتفهم احتياجاته في كل مرحلة منها لترفعها وتبذر بذور التربية الصالحة فيه.

الهدف من الهداية:

من المهم في تربية الطفل أن تكون الأم ذات أهداف سامية في الحياة وتعلم إلى أين تريد أن تصل وأيّ مستقبل ترغب أن يؤول إليه؟ وهل تتمنى أن تمنح المجتمع فرداً خلاقاً، حراً، ذا ذهن وقّاد، مفكّراً، فعّالاً ومثقفاً، أم إنساناً جامداً لا يختلف عن الآلة في شيء، فبدون الهدفية لا يمكن لنَا أن نربيّ وإلاّ فستأتي النتائج مخيبة للآمال.

سنوات تقبل الهداية:

يكون الطفل منذ ولادته تحت توجيه الأم ومستسلماً لإرادتها في سنته الأولى، وتبدأ عنده علامات التفكير والاستفادة من العقل في حدود السنة الثانية، فيسعى في حلّ مشاكله بنفسه فمثلاً يصعد السلالم، يفتح غطاء العُلب، ويحبو إلى ما يحبُّ من الأطعمة، ولكن الذي يمكن أن نسمّيه تفكير الطفل يبدأ في السنة الثالثةِ من العمر فيصبحُ لدى الطفل في هذه السنّ نوع من التفكير المحدود والغير متنوع وليس له أبعاد، فيجب أن يبرز عنده بهداية الأم ليأخذ شكله ويتميّز عن غيره. وتبدأ في هذه السن أيضاً الأسئلة المتنوعة لديه ويُكوّن لنفسه دنيا خاصة به إما جميلة وإما قبيحة بما يشاهده من تصرفات المحيطين به وبما يحصل عليه من أجوبة على أسئلته تلك، وسيكون في هذه المرحلة ليس قادراً على التحليل والتمييز بين الأمور وسيقلّد فقط لذا يجب على الأم توخي الحذر والاحتياط في التربية.

أنواع الهداية:

يتحيّر الطفل بما يحيط به من آراء وتصورات فلديه رغبات وميول متنوعة ومتعددة ولهذا فهو لا يحدد ما الّذي يحبهُ أكثر من غيره؟! وأي طريق ينتخب؟ فتقع على الأم مسؤولية ذلك وإنارة طريقه، وقيادته فكرياً، ثقافياً،

اجتماعياً، أخلاقياً ودينياً.

سنشير إلى بعضها فيما يلي:

١ ـ القيادة الفكرية:

تعتبر القيادة الفكرية مسؤولية حساسة وخطيرة ذلك لأن الأم لا يمكنها أن تطمئنّ دائماً إلى صحة التشخيص لديها وإلى سلامة الأسلوب الذي تنتقيه ولهذا فعليها الدقة والحذر الشديد في ذلك، فالمهم في القيادة الفكرية أن تضع الأم طفلها على المسار الصحيح بشكل يستطيع فيه أن يعرف نفسهُ ويخطو خطوات محسوبة وراسخة في الحياة ويبتعد عن التخبط والعشوائية، ويتبع الحكمة والعقل في أعماله، وعليها شحنهُ بالمعنويات تدريجياً وتعلّمه بأن جمال الإنسان ليس بظاهره بل بفكره وعقله، وأن الإنسانية والشرف تكسبه جمالاً وإن خانتهُ الملابس والرتوش.

ولتسعَ الأم في الهداية الفكرية أن تحطم القيود الفكرية التي تكبّل ذهن الطفل، وتعطيه أفقاً يسرح فيه الفكر، وتعلّمه أن ليس للإنسان إلاّ ما سعى فلا يصل إلى غاياته إلاّ بالجد والاجتهاد وتمنحه القدرة للتغلب على مشاكله بدون خوف من الإحباط والفشل، وتستطيع كذلك أن توجه ذهنه إلى مسؤوليته مثال المجتمع، وأن ليس له الحق بالتقوقع وهجر المجتمع والانكفاء على الذات. وعليها أن تهذّب عقله من الخرافات، وسوء التفكير، والاستدلال غير المنطقي ولا تلوم حُبَّ الاستطلاع لديه وإن ألح في الأسئلة، ولا تستهين بفكره وذهنه وإن كان محدوداً وضيقاً.

الهداية الثقافية:

يتعلم الطفل أولى الكلمات من مرشده يعني الأم، ويتعلّم منها اللغة التي تعتبر وسيلة للتفاهم وتبادل الآراء، ويكتسب منها الثقافة والتجارب، ويتعرف من خلالها على التراث الثقافي والأدبي، والأصالة ويتفهم بواسطتها قيمة الأعمال. ولهذا يجب أن تأخذ جانب الحيطة والحذر من ذلك.

الهداية الاجتماعية:

تسعى الأم لتعليم الطفل العلاقات الاجتماعية ونوعية التعامل في المجتمع وكذلك القواعد والأصول الحاكمة فيه وتعلّمه خصوصيات المجتمع

الإنساني وكيفية التعامل مع أمه وأبيه، اخته أو أخيه، الجيران ونظائره في الخلق، وأن يكون باحثاً دائماً عن الحقيقة لا الخدع وأن يكون واقعياً لا حالماً في الحياة.

الهداية الأخلاقية:

يؤثر أسلوب الأم في تربية الجوانب الأخلاقية للطفل، لأنه سيتعلّم منها كيف يكذب على الآخرين، وكيف ينشر غسيل عيوبهم على الحبال، وكيف يتحايل لكي يتملص من المعاقبة، وأية ضوابط وأصول كان يجب عليه اتباعها والالتزام بها. وهل يكون حراً أو عبداً متملقاً، أميناً أو خائناً و. . . الخ.

القيادة الدينية:

يسمع الطفل أولى الكلمات الدينية من الأم ويقتبس منها أوّل وسيلة للارتباط بخالقه، لأنها أوّل قدوة يتعامل معها وستقوده إلى الدين بسلوكياتها، عبادتها، دعائها، صلاتها، وأعمالها الحسنة، وسيكون تأثير الأم عليه أوقع عند الجواب على السؤال التالي هل سينشأ الطفل خرافياً أم واقعياً؟! وهل سيكون سطحياً أم متعمقاً؟. . . والخ.

طريقة القيادة:

يجب أن تكون هداية الطفل بصورة لامباشرة وباستخدام الأساليب التالية:

١ ـ عن طريق السؤال:

يسأل الطفل ويستفسر دائماً عندما يتعلّم الكلام وليس معنى هذا أنه فضولي ولكن إرادة الاطلاع والتعليم لديه تدفعه لذلك، فيجب على الأم أن تجيبه على أسئلته أجوبة وافية ومحسوبة وفكرية، ويمكن لها أحياناً أن تلقنه السؤال بصورة غير مباشرة ومن ثم تجيبه عليه.

٢ ـ حثه على الاستطلاع:

يتهرب الطفل عادةً من الأعمال الفكرية ويأخذ الأمور على عواهنها، الأم أن تقوم بتقوية الجانب الفكري لديه، ولحسن الحظ فإن الطفل يتمتع

بحس كبير للاستطلاع ولا يحتاج إلاّ إلى حثه عليها قليلاً وإجباره على التفكير ليكتشف العالم من حوله ويفسّر حوادثه.

٣ ـ الهداية بالعمل:

تسهل هداية الطفل بالعمل فليس من الضروري أن تقول شيئاً له بل بإمكانك القيام بالعمل أمامه ليتعلم منك ذلك. ويعتبر هذا من الأصول الأساسية في علم التربية.

٤ ـ عن طريق إيقاد ذهنه:

يكون فكر الطفل كالجنبذة المغلقة غير المتفتحة، فعلى الأم أن تقوم بكسر القيود وتحرير عقله منها وتهيئته للتفكير. وللوصول إلى هذا الهدف يجب أن تُمرّن قدرة الملاحظة لديه وتجبره على النظر بدقّة، ويفهم العلاقات التي تربط الأشياء بعضها ببعض، ويركز في المسائل ويتعمق بها ويكون التعلّم، التدبّر، والتفكّر مهماً لديه.

ستنكشف في ظل هذه الهداية مسائل قد تكون خافية على الأم ذاتها، ففي تلاقح العلاقات تنشأ علاقات جديدة لا يعلم أحدٌ منها شيئاً وقد تؤدي إلى الابتكار والاختراع.

الفصل الرابع

الأم مهندسة شخصية الطفل

توضع في البيت اللبنات الأولى لأسس البناء الأخلاقي لشخصية الطفل وتبدأ منه، فيتعلم المعايير والملاكات عن طريق أوامر ونواهي الوالدين وتصرفاتهما، وسيحيا على ذلك الأساس وينظر إلى الحياة بمنظارها.

أهمية دور الأم:

تكون علاقة الطفل بأمه مُميّزة وخاصة وتكتسب الأم أهمية خاصة في تربيته نتيجة لذلك، فعليها أن تضع اللبنات الأساسية في بناء شخصية الطفل المستقبلية وأن لا تقصّر في أداء الرسالة الملقاة على عاتقها وإلاّ فستوجه ضربة قاسية للمجتمع، وقد يكمن السرّ في عدم تشجيع الأمهات على الأعمال الوظيفية في ذلك.

الهدف من بناء شخصية الطفل:

نطرح في البدء السؤال التالي، كيف نريد أن نربي الطفل؟ هل نريده إنساناً خاملاً وجامداً كالآلة؟! أو نريد أن نبني منه إنساناً متفكراً وفعالاً؟! وهل ان الهدف بناء شخصيةٍ صماء وعمياء ذيلية؟! أو فردٍ مستقلٍ وحرٍ في التفكير؟! فيجب أن تتوضح الأجوبة على تلك الأسئلة عند الأم ولا ننسى **بأنها تستطيع أن تربي نشأ، بنّاءً، شجاعاً، أميناً، صادقاً وتضمن عن هذا الطريق مستقبلاً زاهراً للأُمّة وتحفظ شرفها واستقلالها.**

ضرورة معرفة الطفل:

تلازم الأم طفلها دائماً ولكنها لا تستطيع الإدعاء بأنها تعرفه جيداً، فتستلزم معرفته دقّة وتعمقاً في سلوكه. فلا يمكنها أن تبني شخصيته ما لم تتعرف عليه، وتتم معرفته عن طريق أفعاله ولعبه وكلامه وتظهر ميوله ورغباته من خلالها عندها يمكن للأم انتخاب الطريقة الأمثل لتربيته أو إصلاح اعوجاجه، والمهم هو انتقاء الطريقة التي لا تؤدي إلى إعادة تربيته أو إصلاحه.

بداية بناء الشخصية:

تبدأ شخصية الطفل بالتبلور منذ أول يوم يولد فيه بل وقبل ذلك في عالم الرحم، فلقد لاحظنا أن نوع غذاء الأم في فترة الحمل وتصرفاتها وطريقة تفكيرها يترك آثاره السلبية والإيجابية فيه. ويوضع الحجر الأساس في الجوانب الأخلاقية والاجتماعية منذ أيام ولادته الأولى وفي فترة رضاعته وعندما لا يزال غير قادرٍ على التكلم وسيؤثر عليه سلوك أمه وطريقة تعاملها معه، ففي هذه السنين وحتى في السنين الأولى لدخوله المدرسة تكون لديه حالة من الانصياع والتسليم الكامل لها فيجب استغلالها بصورة أفضل لتربيته وإصلاحه.

أبعاد الشخصية:

يجب على الأم أن تتناول جميع جوانب شخصية الطفل بالتربية والتهذيب، فتربي جسمه من جانب وتهذّب روحه ونفسه من جانب آخر لأنّ بناء العقل والمخ يلازم البناء الروحي والعاطفي فلا تنتهي مسؤولية الأم عند تهيئة الطعام واللباس والسكن له بل عليها أن تعلمه دروس الشهامة والأخلاق وتجعل منه إنساناً صالحاً مفيداً للمجتمع ولا يخالف حركة التيار الإنساني. ولا ننسى أن أساس الحياة يقوم على الاعتدال والتوازن فيجب أن نربي الطفل متوازناً في جميع جوانب شخصيته العاطفية والجسمية والاجتماعية والفردية.

الجوانب الإيجابية في الشخصية:

لاحظنا أن لشخصية الإنسان أبعاداً وجوانب متعددة ومتشعبة، سنتطرق هنا إلى الجوانب الإيجابية منها.

١ ـ الجانب العاطفي:

يصبح للشخصية قيمة عندما تكون ذات عواطف وليونة، وتتحطم الشخصيات الخالية من العواطف وتنهار بسرعة ولا تفيد المجتمع في شيء فيحتاج المجتمع إلى العواطف والأحاسيس مثلما تلزمه القوانين والمقررات ليكمل أحدهما الآخر.

٢ ـ الجانب الاجتماعي:

يظهر حبُّ الذات والتمحور حول النفس للعيان منذ أوائل حياة الطفل، وسوف تقوىٰ وتترسخ إن لم تشذّب وتحدّد، فيجب على الأم أن تقوي فيه الشعور الجماعي والحياة الاجتماعية عن طريق ربط علاقاته بالأهل والأقارب، ويعتبر اللعب عند الأطفال وسيلة مهمة ومؤثرة في ذلك.

فلا تعلموا الطفل الاهتمام بنفسه وبعائلته فقط وتحقير الآخرين وعدم الاهتمام بهم بل يجب أن يفهم بأنه يعيش في المجتمع ولا بد أن يشاركهم أفراحهم وأتراحهم بشرط أن لا يضيع كيانه ويحترم شخصيته ولا يغفل عنها.

الجانب الأخلاقي:

يجب أن تخلق عند الطفل الشجاعة والشهامة الكافيين لكي يثور ويدافع عن حقّه وأن نربي فيه حريّة الفكر بحيث لا يستسلم لآراء ونظريات الآخرين ويتجرأ على إبداء نظرياته ويدافع عنها ولا يهاب المشاكل ولا ينحاز إلى أحد في أعماله وسلوكه ويكون سليم التفكير وسليم القلب، يعتبر ترسيخ تلك الخصال فيه والحفاظ عليها متوازنة ومتعادلة من واجبات الأم الأولى. ولا بد لها أن تهتم ببناء الجوانب الأخرى لشخصيته مثل: الثقافية، العلمية، الدينية، السياسية، و... الخ.

ملاحظات في بناء الشخصية:

لتحفظ سلامة شخصية الطفل وإنسانيتها يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار الملاحظات التالية:

١ ـ لا تجعلوا حياة الطفل مختبراً للتجارب، بمعنى أن لا تطبقوا رغباتكم عليه بل ما ينفعه.

٢ ـ اسعوا لحفظ تعادل غرائزه الفطرية مثل الغضب والطغيان.

٣ ـ لا تسمحوا للطفل بالاستعلاء والتفاخر على الآخرين بثروة العائلة والغرور.

٤ ـ يتعود الطفل على أحضان الأم ويحتكرها لنفسه فلذا يجب إخراجه من حالة الاحتكار وحب الذات.

٥ ـ يجب أن تكون التربية على أساس جنس الطفل، فتختلف تربية البنت عن تربية الولد.

في ثبات الشخصية:

ليست عملية البناء تطبيق نظرية تربوية معينة على الطفل لتشعر الأم بعد ذلك ببراءة ذمتها لذلك بل القيام بتركيز وترسيخ هذه المفاهيم التربوية فيه لتصبح عادةً له، بحيث لا يشعر الطفل فيها بأنه يلبس قوالب جاهزة ويتصنعها، بل يجب أن يقوم بها بصورة عفوية وبلا تكلّف، وللوصول إلى ذلك يجب تكرار العمل بصورة غير مملة وبحنكة وذكاء. ويلزم أن يحاط ذهن الطفل وضميره بهالة من المفاهيم الدينية والتربوية والأخلاقية لتلعب في حياته دور الشرطي الرادع ويوفّر له الحماية الكافية من الخطأ والزلل فلا يقوم بأي عمل إلاّ على أساس المعايير الأخلاقية وفي إطار ما يسمح به الدين والعقل. ويحتاج الطفل إلى نوع من الرقابة والتحكم بشرط أن لا تتجاوز الحدود المتعارفة ويصير إجباراً، فلقد أثبتت التجارب أن الإجبار والفرض وخاصة على الأطفال الصغار يؤدي إلى تأتأتهم في التكلم ويخلق عندهم الاضطراب والقلق. ويكتسب لحن كلام الأم أهمية في هداية الطفل فيمكن أن يبعث على بهجته ودفعه للأمام أو بالعكس. وعلى أية حالة يجب الاجتناب عن تحقير وتصغير شخصية الطفل قدر الإمكان، فإنه سيؤدي إلى الكآبة والعقد والأمراض النفسية الأخرى.

القسم الثامن

الدور الثقافي للأم

ليس من واجب الأم تهيئة الطعام واللباس وتنظيف الطفل فحسب بل تربية عقله وروحه وتوجيه أفكاره بالصورة التي أشرنا إليها سابقاً. ومن واجباتها أيضاً تهيئة الوسائل اللازمة لديمومة حياته ووضعها في اختياره، تعلّمه النطق تكشف له أسرار العالم من حوله، وتمرّنه على أصول الحياة وآدابها.

سنبحث في هذا القسم كيفية النهوض بهذه المهمة الخطيرة مع رعاية الاختصار.

الفصل الأول

الأم وتعليم النطق

تعتبر الأم أول شخص يتعرف عليه الطفل، ويفتح عينيه برؤيتها، ويتعلم منها أول كلمة ينطق بها. المهم هو ما هي الكلمات التي يتعلمها الطفل منها؟ وكيف ستنسجم لغته بلغتها؟

تعلّم اللغة لها أهمية خاصة لأنها الوسيلة لبيان الأفكار والمشاعر وأداةً لنقل التراث الثقافي، ولا شك أنه كلّما كانت هذه الوسيلة غنية وكاملة ومرتكزة على أسس فكرية فستكون أهميتها أكبر. فالطفل يتعلم اللغة في أحضان أمه وستكون الأداة التي تفسّر له المسائل وتكشف له أسرار الحياة.

الوقت اللازم لتعلّم اللغة:

يستلزم تعلم اللغة صبراً ومثابرة ووقتاً قد يطول، ويحتاج الإنسان إلى أعوام لكي يستطيع أن يسيطر على لغة قوم ويتحدّث بها. نرى بعد مرور أكثر من ٣٠ سنة أن الجميع لا يستوون في درجة تعلّمهم المدارج الثقافية للغة وليسوا قادرين على التعبير عما يختلج في وجدانهم بأسلوب واحد. ولذا يجب أن لا نتوقع من الطفل أن يستعمل العبارات الأدبية والفكرية سريعاً. وثانياً، يجب الاستمرار والمثابرة في تعليم اللغة للطفل لكي تتركز الكلمات واستعمالها الصحيح في ذهنه جيداً وتستوجب هذه المهمة الصبر والأناة الكافيين، فإكراه الطفل علىٰ الكلام له عواقب وخيمة وليس مستبعداً أن يؤدي إلى لكنته وتأتأته فيها.

مراحل التكلم:

يبدأ التكلم عند الطفل في مرحلة الصراخ، بمعنى أنه يستفيد من الصراخ وسيلة للتعبير وبالتدريج تتحول هذه الأصوات إلى تهجّي بعض الكلمات المستندة إلى مخرج معينّ في الفم ولا يزال الطفل في هذه المرحلة ليس قادراً على التعبير، تتحول بعد ذلك هذه التهجيات إلى كلمات بسيطة من حرفين أو ثلاثة حروف يستعملها الطفل بدلاً من عبارات طويلة أو قصيرة للتعبير عن احتياجاته وبالتالي يصل إلى مرحلة الاستفادة من العبارات صحيحة كانت أو مغلوطة ولا يستطيع جميع الأطفال تعلّم اللغة بنفس السرعة والمدة.

السنين المهمة:

تعتبر مرحلة الطفولة من المراحل المناسبة لتعلّم اللغة وتكون بالنسبة للطفل في مراحلها الأولىٰ نوعاً من اللعب، وتأخذ طابعها العادي بالتدريج حيث يحاكي الطفل أصوات الآخرين ويشعر بالسرور لذلك إلى أن يبدأ بمرحلة محاكاة صوته، فيجب التعامل مع هذه المرحلة بحذر شديد.

للعمر من ١ ـ ٣ سنوات أهمية بالغة لتعلّم اللغة فهي من السنين التي يبدأ فيها الطفل محاكاة أصوات الآخرين، فيحاكي ويكرر كل ما يقوله الكبار فيجب التكلّم معه بتؤدة ووضوح كاملين واستعمال الكلمات والعبارات البسيطة في تركيبها والسهلة في مضامينها.

إنّ تصحيح الأخطاء اللفظية للطفل له أهمية خاصة في هذه السنين من عمره، ولكن لا يجب الإلحاح والإصرار في ذلك، لأنه سيؤدي إلى نتائج عكسية وسيبدأ الطفل بأداء الكلمات بصورة ناقصة غير تامة مما يعتبر نقصاً وعيباً له.

من المهم في تعليم اللغة هو أن يدرك الطفل سريعاً معاني الكلمات ودلالاتها كي تكون عاملاً مشجعاً له على متابعتها وتعلمها. يساعد الاستعمال المكرر للكلمات على تركيزها في ذهن الطفل، ويبحث هو عن مثل هذا الوضع يعني تصيده للكلمات وإصراره على معرفة كل ما يدور حوله.

الدقة في تعليم اللغة:

يجب على الأم أن تراعي النقاط التالية في تعليم اللغة للطفل.

١ ـ تبدأ بتعليم الكلمات السهلة ثم الصعبة، يعني تعليم الكلمات المتألفة من حروف قليلة ومن ثم الكلمات التي تتألف من حروف أكثر.

٢ ـ تتكلم مع الطفل بلغة سهلة قابلة للفهم وتبتعد عن الاصطلاحات العلمية الصعبة وهذا لا يتنافى مع استعمال الأم الكلمات الصحيحة والكاملة.

٣ ـ تستعمل الكلمات التي يحتاجها الطفل أكثر من غيرها ورعاية الأهم فالمهم في ذلك.

٤ ـ عدم أداء العبارات بسرعة بحيث لا يتمكن الطفل من استيعابها أو يستشكل عليه فهمها.

٥ ـ يجب عدم الاستفادة من الُجمل الطويلة للتعبير عن مسألة معيّنة لأن عقل الطفل يواجه صعوبة بالغة لفهمها، وسيكون ذلك ممكناً بالتدريج.

٦ ـ تصحيح الأخطاء اللفظية للطفل يجب أن يتّم بليونة ولطف لا بالاستهزاء والزجر والإجبار لأنه يُتعب ذهنه ويبعث على اشمئزازه.

٧ ـ يعتبر السعي في تصحيح أخطاء الطفل اللفظية من الأمور الحسنة ولكن الإصرار في أدائها طبقاً لقواعد اللغة يبعث على تردده والتلكؤ في سرعة تعلمه، فأساساً تعلّم قواعد اللغة من الأمور الصعبة.

٨ ـ يجب تصحيح الألفاظ من الوقت الذي يبدأ فيه الطفل تمييز أصوات الحروف.

٩ ـ عدم تلفّظ أية كلمة بصورة مغلوطة ومثلما يتلفظها الطفل فذلك يؤدي إلى التعلّم الخاطىء لألفاظ الكلمات، فتقليد طريقة أدائه للكلمات يضر بتعلّمه إيّاها.

١٠ ـ لتعليم الطفل اسم معين يجب تلفظه بصورة صحيحة وكاملة بالشكل الذي سيحتاجه عندما يكبر، فاستعمال كلمة «خروف» للتعبير عن ذلك الحيوان أفضل من استعمال لفظة بع بع وكلمة القط أفضل من «ميو ميو»

فسوء التعلّم يستوجب التعليم مرةً أخرى.

١١ ـ استعملوا الكلمات التي يستطيع الطفل أن يفهمها وتجنبوا الكلمات الصعبة والغير مفهومة «لدى البعض آراء أخرى في الموضوع».

١٢ ـ استخدموا اللغة السلسة للتعليم بمعنى صياغة الكلمات بصورة سهلة واستخدامها في مكانها ومفهومها الموضوعة لها.

١٣ ـ يتعلم الطفل الكلمات التي يحتاج إليها أسرع ولهذا فإن رعاية الأهم فالمهم في تعليمها ضروري جداً.

١٤ ـ استفيدوا من وسائل الإيضاح المرئية والمسموعة إن أردتم سرعة تعلم الطفل.

العوامل المساعدة في تعليم اللغة:

١ ـ يعتبر اللعب بالحروف والكلمات وأَداء أصواتها، والنكتة، وحكاية القصص من العوامل المؤثرة في التعليم ويمكن بهذا الأسلوب تصحيح أخطاء الطفل اللفظية.

٢ ـ ينسى الأطفال الكلمات الجديدة فيجب التكرار لكي تتركز وتتجذر في أذهانهم ويفهموا معانيها ودلالاتها العريضة فعلى الأم أن تصبر على ثرثرة الأطفال ولا تخرج عن طورها.

٣ ـ تعليم الشعر والأناشيد السهلة التي تقولب الألفاظ للطفل.

٤ ـ إنّ تشجيع الطفل على التحدث مهم في التعليم ويجب أن لا نجعله يشعر بعدم جدوائيته.

٥ ـ يجب منح الطفل ثقة بنفسه وإعطاؤه القدرة على التكلّم حتى إذا أخطأ. فإذا أخطأ يجب تصحيح خطئه.

٦ ـ امتنعوا عن التوبيخ القاسي للطفل وعدم التدقيق في كلامه وعدم التدخل في تقاريره، والاجتناب عن جعله يشعر بأنه غير لائق، لأن لذلك تأثير مهم في تعليمه.

رعاية أخلاقية اللغة:

تعكس اللغات الحالة الثقافية، الروحية، والأخلاقية للمجتمعات، وعلى هذا الأساس تجب مراعاة الدقة العالية فيها والابتعاد عن الألفاظ العامية «النابية» عند تعليمها، وعدم التكلم بلغة الأطفال واجتناب الكلمات الهزلية، السب والشتم، والكلمات الركيكة عند تعليم الطفل ووضع كلمة أرجوك أو من فضلك عندما يطلب شيئاً، والشكر عند إسداء خدمة إليه، والاعتذار عن الخطل في القول وفي الفعل. إنّ الرعاية الكاملة للمواضيع أعلاه تعطي الأرضية المناسبة لتربية الأخلاق الفاضلة لدى الطفل.

الفصل الثاني

دور الأم في كشف العالم الخارجي للطفل

يولد الطفل غريباً عن الدنيا حوله ومحصوراً بذهنياته، ويعيش في دنيا محدودة ومقفلة، متعلقاً بقريب وحيد يعني أمه، يتعرف عليها وعن طريق حواسه بصره، سمعه، ملامسه، ويبدأ بالمقارنات، وعند مساعدة أمه يتحرر ذهنه من القيود والمحدودية.

يكون الطفل دائماً في حالة تعلّم ويسعى لجمع المعلومات عن أطراف وأكناف الدنيا حوله. ولا شك أنه سيستعين بأول شخص قريب منه، يعني أمه، ليكتشف ويتعرف على ما يدور حوله.

أهمية التعلّم للطفل:

يتعطش الطفل لكشف الدنيا المحيطة به ولديه حب الاستطلاع والسعي لاقتباس المعلومات والاطلاع، مما يشكل أهمية لحياته المستقبلية، فيجب تمكين الطفل التعرف على الدنيا حوله لكي يستطيع أن يخطو الخطوات المناسبة في جميع جوانب حياته.

يكتسب الطفل بالتأكيد الصفات والملكات وتترسخ فيه عندما يكون في شهره الأول وحتى الثالثة من عمره والتي يتلقنها من أمه مباشرةً. ولقد أثبت «اللورد بروكام» عن طريق التجربة أن ما يتعلمه الطفل في الفترة من الشهر ١٨ وحتى الثالثة عن الدنيا حوله وعن استعداداته الذاتية والطبيعية وسائر

الأجرام والأشياء أكثر مما يتعلمه في طول حياته[1].

الأم كاشفة العالم الخارجي:

يكتسب الطفل عادة عن طريق أمه ثقافة مجتمعه وعنها يفهم الحياة وفلسفتها الاجتماعية، فهي أول شخص يتعرف عليه ومنها يتعلم كافة الأشياء بدءاً من كيفية غسل اليدين والوجه وآداب المعاشرة والتعامل مع الناس وانتهاءً بمعرفة الله والأصول والفروع. وهي التي تعرف له العالم والحوادث الواقعة فيه وتفسرها وتوجهه فيها. تكشف له حقائق المجتمع وتلقنه عاداته، تقاليده، طريقة تفكيره الاقتصادي والاجتماعي، مثالياته وقيمه وآماله. ويرتبط تعلم الجوانب الدينية والأخلاقية وحتى الفنية «الذوقية» ارتباطاً وثيقاً بالأم.

فتخطىء الأم حينما تتصور أن تربية الطفل الثقافية تنحصر بالمدرسة والمجتمع فقط. لا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن للمدرسة دوراً مهماً في تلقين الطفل تراث مجتمعه الثقافي ولكن دور الأم هنا أهم وأعمق وبالأخص ذلك النوع من التراث الذي يتعلق بالعادات والتقاليد. فتنتقل أغلب الأساطير والخرافات، الحكايات، الأسرار، المسائل الاجتماعية، وتحولات أحوال المجتمع عن طريقها إليه.

ما الذي تعلّمه الأم للطفل؟

يمكن للأم أن تعلم طفلها مسائل كثيرة ومتنوعة، سنذكر في ما يلي أهمها والملّح منها.

يجب على الأم أن تعلّمه ما يلي:

المفاهيم الأساسية، تنظيم المعلومات وبرمجتها، التعرف على العالم وفهم العلاقات بين أجزاء الوجود، تعريف الواجبات والحقوق، الجوانب الاقتصادية، إدارة البلاد، مفاهيم عن الاتّحاد والتعاون، تقارن القوى الاجتماعية، الجوانب العسكرية، الجوانب القانونية، المؤسسات، الحركات والأحزاب، النُظُم الاجتماعية، مفاهيم الزمان والمكان من الشهر والسنة

---

(١) الأخلاق ص ٤٨ صاموئيل اسمايلز.

والأسبوع والأيام وعالم الكم والكيف ومن الموقع الجغرافي والوقائع المحلية، الأدب والفن، فوائد الأشياء وأضرارها، الهيكلية الإدارية، القضايا الداخلية للبلد، نظام الحكم، التنظيم في المعامل والمصانع، العمل في المحال التجارية، العسكرية، الدينية، الطبية، ومفاهيم الفقر والغنى، المرض والموت، العلاقات السببية، دور الرجل والمرأة و. . . الخ.

يحصل الطفل على كل تلك المعلومات عن طريق المطالعة، الصور، الرسوم، والأفلام.

خلق الحالة الاستفهامية لدى الطفل:

ليتعرف الطفل أكثر على العالم من حوله يمكن الاستفادة من الأرضية الاستفهامية لديه، قد لا يطرح الطفل أية أسئلة عن مواضيع مهمّة وضرورية فيأتي عند ذلك دور الأم والأب في تهيئة الاستفهامات وإلقائها في ذهنه ومن ثم تشجيعه على تعلمها واستيعابها.

قد لا تستطيع الأم أن تجيب على جميع الأسئلة التي يطرحها الطفل ولكن عدم إجابته وإهماله ليس صحيحاً تربوياً، بل يجب تقوية الروح الفكرية والعلمية عنده والحفاظ عليها حية ثرية ولا نقتل الرغبة للتعلّم لديه، فإن زجر الطفل وعدم الإجابة على أسئلته تجعله ينطوي على نفسه ولن يجرؤ على السؤال، ويمكن أن يقرَّ قراره في تعلم ما يريد ويستفهم الآخرين عنها وسيحصل على أجوبتها ومن هنا تبدأ التربية السيئة. نريد القول ان الهروب من أسئلة الطفل له عواقب وخيمة، فعلى الأم أن تجيب على آلاف الأسئلة التي تدور في خلد الطفل وتخفف ثقل وطأتها عليه فزجر الطفل يبعث على اللاابالية وكذلك قول لا أدري أو الأجوبة المجملة، وتقتل عنده حب الاستطلاع جملات «ان الأمر لا يعنيك وستفهم الموضوع عندما تكبر و. . . الخ».

لا تبدي أية خشونة أو قسوة عند الإجابة على أسئلة الطفل ولا تجعلي حب الاستطلاع لديه يبقى بلا نتائج.

ملاحظات في تعريف العالم:

يمكن أن نتطرق هنا إلى مسائل متعددة، أهمها ما يلي:

١ ـ عند تعليم الطفل موضوعاً معيناً علينا مراعاة خلفيات الطفل وتوافر الشروط اللازمة لديه. ويجب أن يكون التعليم مطابقاً ومتزامناً لمقتضيات نموه العقلي.

٢ ـ يجب أن يكون ما يتعلمه الطفل واضحاً وثابتاً لكي لا يحتاج إلى التعليم ثانية لأنه يستلزم الهدم والبناء وإعادة النظر في ما تعلمه مما يشكل صعوبة فائقة للمعلم.

٣ ـ لا ينحصر طريق التربية في التعليم بالتقبيل والملاطفة والحنان بل يجب الاستفادة من بعض الحيَل التربوية وفرض المعلومات عليه وتعريفه بالمسائل والمشاكل القائمة.

٤ ـ علّموا الطفل المعلومات الضرورية له بصراحة لأنه سيتعلمها من الشارع شئنا أم أبينا وستؤثر سلباً على حياته عندما يتعلمها من الآخرين.

٥ ـ لا تلجأوا إلى القسوة وتوخوا الهدوء والطمأنينة عند تعليم الطفل لما يدور حوله وعدم فقد الأعصاب والوعيد بالصراخ عند إجابته عن أسئلته اللجوجة فإن له عواقب وخيمة في نفسه وروحه.

ضرورة التأكيد على البنت:

تزداد أهمية تعرف البنت على العالم والحياة لكونها ستصبح أماً في المستقبل وثانياً لأنها ليست كالولد في علاقاته الاجتماعية الواسعة لكي تكتسب المعلومات الضرورية، فإن لم تقم الأم بتعليمها فستتعلم ما يضرها من الآخرين لذا يجب على الأم أن تشرح لابنتها الشؤون التي تتعلق بالمرأة وتبين لها وظائفها الحالية والمستقبلية فهي مكمن أسرارها.

الفصل الثالث

الأم وتعليم أصول الحياة الفردية والاجتماعية

يولد الطفل وذهنه صفحة بيضاء خالية من أي شيء له علاقة بثقافة العالم فيتعلم التقاليد والعادات وطريقة الحياة من خلال معاشرته للأم والأهل والأقارب وجميع أفراد مجتمعه.

تعتبر تربية الطفل الحلقة الأهم في حياة الأم، طبعاً الأم التي تشعر وتلمس أهمية التربية ودورها في صياغة التاريخ. ترتبط الأم بولدها بأقوى علاقة ورابطة وهي رابطة التعليم ومنها تستطيع أن تنجح في تلقين التراث الثقافي للجيل الجديد وتهيئه للحياة المستقبلية. وللقيام بهذه المهمة نسترعي انتباه الأم إلى أن كل ما تلقنه للطفل وخاصةً في سنين حياته الأولى يعتبر وحيٌ منزل لا يمكنه العدول عنه، لذا يجب مراعاة الدقة والتعمق الكافيين في تربية الطفل.

تختلف وظائف الأم عن واجبات الأب قليلاً تجاه الطفل وبالأخص في السنين الأولى من عمره، فوظيفة الأم هي تربية جسمه وروحه وأما واجب الأب فينحصر غالباً بالجانب المادي ولذلك فإن جهل الأم أو تجاهلها له عواقب سيئة على الطفل أكثر من جهل الأب. فما أكثر الأمهات اللاتي بسبب جهلهن بقواعد التربية الصحيحة ينشئنَ الطفل تعيساً، مستجدياً لا يقدر على شيء، ويتربّى إنساناً ضعيفاً وكَلاً على كاهل المجتمع.

أهمية تعليم العلاقات الإنسانية:

يحتاج الطفل في مراحل الطفولة وعند الكبر إلى التربية الأصولية،

ويطرح أهم أصل في التربية نفسه وهو جانب العلاقات الإنسانية.

فيجب على الأم تعليمه كافة العلاقات، آداب المعاشرة، الأخلاق، كيفية التعامل مع أفراد المجتمع والوالدين، الجيران، الأخوة، الأخوات، والمعلمين. . . الخ.

التربية الفردية والاجتماعية:

تبنى الحياة الطفولية على أساس التجارب المكتسبة لتلك المرحلة لذا فعلى الطفل أن يكوّن صورة له عن نفسه، ويجب أن يعرف أنه إنسان عادي، شاطر، منتبه ومتيقظ أو أبله، ويبدأ بعد ذلك في القيام بواجباته تجاه نفسه، ويحتاج من الجانب الآخر إلى التربية والتوجيه الاجتماعي لكي يستطيع أن يرسم علاقته مع نفسه والآخرين بالشروط والمقاييس اللازمة وإلاّ فإن حياته ستكون خبطاً عشوائياً.

التعليم بالعمل:

يتعلم الطفل على مدى سنين طفولته التي يقضي معظمها في البيت الآداب والحياة بواسطة النظر، واللمس، ومسك الأشياء والاستفادة منها، الجلوس والقيام، المشي والكلام. أريد القول ان الأم لا تعلّم الطفل بلسانها فقط وإنما يقتبس الطفل تجسم الحياة بما يشاهده من حركاتها وسلوكها.

يؤدي أسلوب الأم إلى تعلّمه طريقة الكلام والمشي وآداب الحياة ويلقنه احترام القانون، ويهيىء الأرضية المناسبة للتكامل الإنساني، يعلمه كيف يسيطر على ميوله ورغباته وبالتالي يخلق عنده الثقة بالنفس. فالأم التي تلعن طالعها وتشكي حظها باستمرار أمام الطفل سوف تترك آثاراً سلبية على نفسيته وروحه ويصح عكس ذلك.

مع أخذ الأمور أعلاه بنظر الاعتبار نستطيع القول بأن الأم الموظفة والمشغولة خارج المنزل لا يمكن لها أن تكون أماً مثالية، فكيف تستطيع أن تكون مثالاً فكرياً وهادياً للطفل، الأم التي تعود من عملها تعبة الأعصاب ومرهقة النفس؟! فيلزمها من يُسليها وينفض غبار التعب والإرهاق عنها ويهدىء أعصابها.

الجوانب التي يجب أن يتعلمها الطفل:

يجب أن يتعلم الطفل في البيت أصول الحياة الفردية والاجتماعية والتي لا يمكن له بالطبع أن يتعلمها من خارجه أمثال العصامية، الهمة العالية، النظافة الشخصية، آداب النوم والاستراحة وسائر تقاليد الحياة الفردية، أصول المعاشرة مع أفراد المجتمع و. . غيرها. سنوردها فيما يلي حسب ترتيبها الأهم فالمهم:

١ ـ أصول المعاشرة، تحمل وتقبل المسؤوليات وتنظيم الأمور. . . الخ.

٢ ـ يجب أن يتعلم من المنزل في جانب المعاشرة أصول احترام الآخرين، حسن الخلق، آداب الحياة الجماعية، أصول التخاطب والكلام والامتناع عن المشاكسة.

٣ ـ يتمرّن في جانب تقبل المسؤوليات على تحمل العمل والسعي في النشاطات الأسرية، وتحميله مسؤوليات على مقتضى سنه وطاقته، الثبات والسعي في العمل، وبالتالي تربية الاستعداد لديه لتحمل وتقبل مسؤوليات المجتمع.

٤ ـ في جانب تنظيم الأمور، يتعلم رعاية التتالي والأولويات، ينظم ساعات عمله ولعبه واستراحته، نومه يقظته، اتخاذ القرار والقيام بالأعمال بعد التفكير، والتفحص، المقارنة والقياس و. . .الخ.

٥ ـ من الأمور التي يجب أن يتعلمها الطفل هو رعاية الأصول التي لا تلحق ضرراً به ولا بالآخرين ولا تستوجب الإساءة لنفسه ولا للآخرين، الدفاع عن المظلوم، منع الظلم، رعاية الحق والإنصاف في جميع الأمور، الاتكال على النفس في الأمور الشخصية مثل النظافة، الاستحمام والنوم والاستراحة كي لا يحتاج فيها إلى مساعدة الآخرين ولا يكون كَلٌّ عليهم.

اتساع العلاقات:

تتسع دائرة علاقات الطفل الاجتماعية بالتدريج كلما كبر وعليه فإن رعاية الأصول والضوابط اللازمة لحياته تصبح أكثر ضرورة. ويتعرف الطفل شيئاً فشيئاً على عالم الآخرين أترابه وأقرانه، معلمه، مديره، إيابهم وذهابهم،

وسيطلع على معلومات إضافية عن طريق القراءة والمطالعة. فكلما كثرت اطلاعاته وعلاقاته كلما ازدادت الحاجة إلى تعلمه الأصول التي تنظمها، فيجب على الأم أن تتماشى معه خطوة بخطوة وتمنحها أهمية خاصة وتضعها في أولوياتها.

ملاحظات هامة في تعليم أصول الحياة:

تجب الإشارة هنا إلى نقاط عديدة أهمها:

١ ـ يجب التدرج في تعليم أصول الحياة للطفل وفقاً لسنّه وحاجته إليها فليس من المنطقي أن يحشئ عقله بمفاهيم وأصول هو في غنى عنها ويمكن أن تؤدي إلى نتائج عكسية.

٢ ـ لا يمكن تلقين الطفل الآداب، السنن والقواعد بالقوة ثم نطالبه أن يطبقها عن طيب خاطر ورغبة. فعن طريق الحب والحنان يمكن تعليمه أصول الحياة وإجباره على رعايتها في أعماله.

٣ ـ يجب إلقاء الأصول والضوابط في عقل الطفل بصورة غير مباشرة ثم انتزاعها من فمه والقيام بشيء يجعل الطفل يُصلح نفسه طبقاً للقواعد والأصول لأن ذلك سيفيده في حياته.

٤ ـ ضعوا مدى استعداد الطفل وقابليته العقلية نصب أعينكم عندما تعلمونه أصول وقواعد الحياة وإلاّ فإنه سيبعث على تخبطه وضياعه وامتنعوا عن تعليمه الأصول والقواعد غير المفهومة لديه.

٥ ـ لا تقيسوا الطفل بأنفسكم فإنه يضحك بلا دليل عقلي ويتكلم بدون سبب، فالتعامل معه كالكبار ومنعه من حركاته الطفولية يشكل ضغطاً نفسياً وروحياً عليه، فيجب ملاحظة عمره ومرحلته.

٦ ـ سيساعد ضرب الأمثال وقص القصص المناسبة للطفل على تلقيه المعلومات بشرط أن تكون قابلة للفهم والإدراك.

القسم التاسع

الدور المعنوي للأم

تستطيع أي أم أن تقوم بالوظائف التي ترتبط بالجانب المادي للطفل، بينما لا يمكن القيام بالجانب المعنوي المهم له إلاّ الأمهات المثقفات والمسلمات. ولا تمكن التربية إلاّ إذا زكّت الأم نفسها أولاً. ليس بالكلام فقط بل بتقواها وعبادتها فإن لها تأثيراً كبيراً في أسلوب التربية والبناء. وتستطيع أن تؤثر إيجاباً في سلوك الطفل بالاستفادة من ثقافتها، تقواها وعبادتها وتهتم بتربية الجوانب الدينية والأخلاقية لديه، وتصنع المجتمع الإنساني المتقي والأنموذج.

نتناول في هذا القسم الجوانب المذكورة أعلاه بشيء من الاختصار.

الفصل الأول

تقوى الأم وتأثيره

تبنى أسس المجتمع الإسلامي على مقومات الشرف، الفضيلة والتقوى، وسيكون ممكناً إذا قمنا ببرمجة التربية على تلك الأسس والمقومات، وهذا لا يمكن إلاّ باضطلاع أمهات نقيات ومتقيات لمسؤولية التربية. فالأم هي أول شخص يبذر بذور التربية الصحيحة في روح الطفل ونفسه وتسقي نبتته. ويؤثر سلوكها وأسلوب تربيتها وحتى طريقة تفكيرها كثيراً على صياغة الطفل وتنشئته النشأة الإسلامية.

جيل المستقبل:

قبل أن نبدأ عملية التربية علينا أن نحدد نوع الجيل الذي نسعى لصياغته وأيّ نوع من الأفراد نريد بناءهم؟!

لا شك أننا نريد أن نربي إنساناً يستطيع تحت ظل إيمانه بالله أن يقوّم أعماله وسلوكه وجيل طاهر يتمتع بالحياء، بعيد عن الذنوب والجرائم والشيطان، نشطٌ وفعال عند الشدة والرخاء، يكظم غيظه ويؤدي وظائفه الاجتماعية على أحسن ما يرام.

سيكون الوصول إلى تلك الغايات ممكناً إذا عمل الأولياء والمربون بما يقولون وبالأخص الأم فيجب أن يطابق عملها وسلوكها أقوالها وتراعي الإيمان والتقوى وتنتبه بدقة لامتناهية إلى ذلك.

أسس التقوى:

نتوخى من التقوى صيانة النفس من الذنوب والمحرمات والشبهات، ونريد من الأم أن تصل إلى درجة من التقوى يمكنها أن تصون نفسها وتتوقى ارتكاب المعاصي والانحراف وتجعل الله نصب عينيها في جميع أعمالها وتشعر بوجوده معها أين ما كانت، فتأخذ نصيبها من حلال الدنيا ولا تجيز لنفسها الشبهات، فإذا سلّمنا بما يقوله العلم من تأثير العامل الوراثي النفسي، علينا القبول بأن دور الأم في ذلك مهم وخطير.

ضرورة التقوى للأم:

إذا سلّمنا بأن ملكة التقوى والفضيلة ضرورية للمربي ومؤثرة في التربية سنتيقن بأن الأم يجب أن تكون طاهرة ومتقية تقوى حقيقياً لا مصطنعاً فسينكشف التصنع لأنه ليس متجذراً في النفس. وتحتاج الأم إلى صيانة نفسها من جميع المعاصي والانحرافات وتقوّي الحالة العصامية فيها. تبرز ضرورة ذلك لأن الأم ـ ومن أجل تربية الطفل تربية صالحة ـ يجب أن تستطيع التحكم بشهوات النفس وميولها وتتغلب على الجنوح إلى الباطل فتحفظ حقوق الناس وتتجنب التعدّي عليها. وإلاّ فإن النصائح والتوجيهات التي تقدمها للطفل سوف لا تترك آثارها عليه.

الدور الوراثي للتقوى:

تعتبر التقوى الأساس في بناء التربية الإسلامية ومن أفضل الأعمال التي يحبها الله هو أن تسير الأم على هذا الطريق وتصبغ فكرها وشخصيتها بصبغته. يمكن أن يتصور البعض بأن سعي الأم ليس مجدياً في شحن التقوى لتربية الجيل الصاعد. ولكن العلم ينفي ذلك، فلقد أثبتت التجارب أن الخيانة، المعصية، العداوات، والاعتداء... الخ وكذلك الدقة في الفكر والعمل والقول ورعاية حقوق الآخرين وفي الكل الاجتناب عن المعاصي والخوف من الله في جميع الأمور له تأثيره السلبي والإيجابي في الطفل. ففي الوقت الذي تؤثر التغذية على تكوين جسم الجنين في بطن أمه، فكيف لا تؤثر الغيبة والحسد والنميمة وسائر الرذائل الأخلاقية في الجنين؟ ويمنع التقوى الأم من جانب آخر ارتكاب المعاصي والانحراف مما سيبعث على أن تكون

الأم وخاصة في مراحل الحمل والرضاع بحالة نفسية هادئة وبعيدة عن الاضطراب والقلق ومن الطبيعي سيحفظ الهدوء النفسي سلامة الطفل والجنين الروحية لأن القلق والاضطراب سيترك نتائجه السيئة في نشأة الطفل الروحية والنفسية.

يؤثر نوع غذاء الأم كما نعلم في مراحل الحمل والرضاع في تكوين الطفل المادي والنفسي لذا فعلى الأم تجنب الغذاء المشبوه والحرام وملء البطن مما تشتهي وخاصة في فترة الحمل، وبالمجموع فإن طهارة الأم وسلامة سيرتها له تأثيره في تربية الجيل الجديد وكلما كانت صالحة وحسنة السيرة فسوف يمكنها أن تمنح المجتمع أفراداً صالحين وبأقل جهد وسوف لا يذهب سعيها في نشر الفضيلة والتقوى سُدى.

الآثار التربوية:

يخلق تقوى الأم الخصال الإنسانية والأخلاقية والفضائل عند الطفل، وتجعل شخصيته مستقلة وبعيدة عن جميع أنواع الفساد والانحراف والنفاق، وسوف لا يبيع الطفل شرفه وضميره لا الآن ولا في المستقبل عندما تكون أمه طاهرة ونقية، لأن تقواها يعطيها زخماً وقدرةً على تحمل المشاكل ومواجهة الصعاب، ومن الطبيعي فإن الأطفال الذي يتربون في مثل هذه البيئة سيتمتعون بقدرات نفسية خارقة ولا ينهارون أمام المشاكل.

وإذا كانت الأم هي الأنموذج والقدوة للطفل فمن الضروري أن تكون متقية بعيدة عن الحيلة، الخداع، الرياء، الكذب، العُجب، الغرور، وتحس بمشاكل الآخرين، أفراحهم وأتراحهم، لا تخادع ولا تغش، لا يُسمع منها السب وبذاءة اللسان، لا تستغيب ولا تحسد، ولا تلوّن حياتها وحياة الآخرين بالمجاملات المصطنعة والكاذبة، عندها ستتركز وتتجذر جميع تلك الصفات والخصال في وجدان الطفل وضميره.

ستفيد الطفل من جانب آخر القواعد والضوابط الحياتية إذا كانت ممزوجة بالخوف من الله فإنها تصون الطفل داخلياً وتهذب سلوكه.

فإن لم تخف الأم من الله كيف سيمكنها زرع هذا الوازع الداخلي عند

الطفل؟ فالمربي يوقظ وينبه الطهر والصدق واجتناب المعاصي ويوجهه الوجهة الصحيحة ويحرّك عنده إرادة الخير والصلاح.

إذا فقدت التقوى:

تشكل المعاصي والفجور سداً ومانعاً كبيراً يعرقل تطوّر المجتمعات ورقيها. وتمزق لجامَ المجتمع الميولُ الشيطانية وعدمُ التحكم بالشهوات وتسوقه نحو الحيوانية والهبوط والتحلل. فلا يعلم الإنسان في هذه الظروف ما هو تكليفه وما الذي عليه أن يفعل، فسوف يؤدي إلى ضياع الجيل الجديد وتخبطه باللامبالاة والتحرر والانطلاق من القيود والالتزامات الدينية.

صور من التقوى:

تتجلى آثار التقوى في أعمال الفرد وفي حياته الشخصية والاجتماعية وتنعكس على سلوكه. تتحكم الأم بالتقوى بحيث تسيطر على لسانها، سمعها وبصرها، وتكون خطواتها محسوبة ولا تستعمل جوارحها التي منحها الله إياها لتمضية شؤونها في أذية الآخرين، ولا ترتكب المعاصي وأنْ تسيطر على جوفها فلا تملأ بطنها من مأكولات الشبهة والحرام. وأنْ تضبط أعصابها وتكظم غيظها في مقابل أخطاء طفلها وتسعى بالتي هي أحسن إلى إصلاحه، تحافظ على نقاء روحها بالتقوى، لا تعصي ولا تخلط الفرح والسرور بالحرام والمعصية، وأنْ تتجنب زخرف القول، وتحفظ جسمها من لوث الشهوات، وتحفظ ضميرها حيّاً، وأنْ يخلو ذهنها من سوء الظن. ولا تستسيغ الأم المتقية اللقاءات والاجتماعات التي تكدّر صفو العيش والعلاقات المشبوهة التي تبعث على زَلّ القدم، وتبتعد عن مجالس السوء في المجتمع. والخلاصة: يكمن سر نجاح الرجال العظام في تربيتهم في أحضان أمهات طاهرات نقيات، استطعن بنقاء روحهن أن يُنشِئنَ جيلاً صالحاً يفيد المستقبل.

الفصل الثاني

عبادة الأم

تعتبر الأمومة مهمة خطيرة ومحفوفة بالصعاب ولها مشاكلها الخاصة، تحتاج الأم إلى الشجاعة والصبر لتقاوم المشاكل التي سوف تواجهها في مراحل تربية الطفل المتعددة. فلا يمكن لها على هذا الأساس وبدون الارتباط الدائم بالله ذلك القادر المتعال أن تقوم بواجبها على أحسن وجه ولا تستطيع أن تُنهي هذه المهمة الصعبة بسلام ونجاح. فالعبادة هي عبارة عن ربط علاقة مع الله وتوفر للأم فرصة لاستعادة الأنفاس والاستمرار بقدرة وسعي جديرين بمهمتها الصعبة.

الأم وضرورة العبادة:

ألمحنا سابقاً أن العبادة ضرورية جداً للأم وبدونها فإن عملها يعتبر ناقصاً. ومن جانب آخر يجب أن تكون خيراً مطلقاً وأن لا تنتظر الأجر والثواب من الطفل على عملها في المستقبل. وتخلص في أعمالها لوجه الله تعالى ولا تطلب الأجر والثواب إلاّ منه تعالى ولا تفعل إلاّ الخير. والجانب الثالث فإن الأم هي القدوة والنموذج للطفل فليس لها إلاّ أن تؤمن بالله وتعود نفسها على العبادة دائماً إن أرادت أن تمنح المجتمع جيلاً صالحاً مسلماً. وأن تبتعد عن الحرص والطمع والعداوة والبغضاء والغرور ولا تزلّ لها قدم ولا تنحرف عن السراط السوي وتكون خيراً وسعادة مطلقة لأطفالها. وعندما تكون علاقة الأم بخالقها وثيقة فستجسّم الجمال والطهر وستبعث على النشاط والحيوية في الحياة، والابتعاد عن الكسل وحب الذات وسحق المنافع الذاتية

وتقديم مصالح الطفل على مصالحها. وعلى أية حال إذا أمعنت الأم بعلاقتها مع الله فستصطبغ الحياة بلون آخر وتتجه اتجاهاً سليماً وبالتالي سينشأ طفلها نشأةً أخرى.

أهداف العبادة:

نقصد من عبادة الأم الاتصال الوثيق بالله بشكل ترى ما دونه هباءً وفراغاً وأن تجعله نصب عينيها في عملية التربية وتوجيه الطفل وفي أعمالها وأفعالها اليومية ويكون إيمانها بالخالق المطلق أساس القيام بواجباتها ومساعيها، تطلب منه الأجر والثواب والمهم في هذا النوع من العبادة هو الإتصال الوثيق والمستمر وحب الله وذكره بالقلب بصورة تتجلى في أعمالها وحياتها للعيان.

أسرار العبادة:

يكمن سر العبادة في منح القدرة للعابد، لإحساسه بالاتصال الوثيق وتعلقه بقدرة أزلية لامتناهية وخالق لكل القدرات. يتعلق الإنسان عن طريق العبادة بعزّة الله ويطلب التوفيق منه، يلجأ إليه هرباً من الذنوب، ويوجه وجهه شطره ليوصل كيانه بوجوده عند ذلك يشعر بالقوة والاقتدار ولهذا سيبتعد عن الهوى والهوس.

طريقة العبادة:

ليس المهم في عبادة الأم إحياء الليالي والسهر بذكر الأوراد والدعاء والتسبيحات أو قراءة القرآن والصلاة والصوم (ولو انها عبادة) بل المهم هو الجانب العملي في العبادة وإعطاؤها بعداً حياتياً في جميع شؤونها. وبعبارة أبسط فالمقصود من العبادة هو العيش في أجواء القرآن، فيجب أن تتلخص عبادتها في مجال معرفة الله وتطبيق أوامره بشكل يجعل كل جوانب حياتها تحت ظل الله، أعمالها، أفكارها، سلوكها تتلون بلونه ويكون قلبها كمرآة صافية تتجلى فيه الحقيقة الكبرى. فالعمل والسلوك مهمان في العبادة فلا تؤثر في الطفل منه كلمة حول العبادة بمقدار ذرّة من عمل لا يستغرق إلاّ لحظات. ولا تعادل مئات البحوث عن الصلاة صلاةً واحدة، فيجب غرس الروح الدينية في الطفل عن طريق العمل لا القول، فلا مناص للأم إنْ أرادت أن

تربي جيلاً خاضعاً وخاشعاً لله إلاّ أن تكون هي النموذج العملي للخضوع والخشوع في الحضرة الإلهية ويكون سلوكها وسيرتها قرآنياً وتراعي كافة الشؤون الإسلامية.

تأثير العبادة في التربية:

يترك روح الأخلاق والخضوع للأم حين العبادة وتضرعها، سهرها وإحياؤها الليالي وبالتالي عملها وسلوكها الإسلامي آثاره الإيجابية على الطفل. وتحصل في ظل عبادتها على شخصية قوية ثابتة لا تتزلزل وإيمان لا يتزعزع وتبتعد عن الرذيلة والسقوط. تؤثر كل هذه الخصائص في الطفل وتنشئه عليها. فعندما تسقي طفلها اللبن ممزوجاً بذكر الله ولا تغفل عن ذكره مدة حملها، ويكون ورد لسانها في حياتها اليومية وتلقنه طفلها فسوف لا ينشأ وليدها منحرفاً منحطاً ولا يبيع القيم الإنسانية لمنفعة خاصة.

تأثير العبادة في نمو الروح المعنوية:

نعلم أن الطفل محاكٍ جيداً فكل شيء يراه من الأم يقوم بمحاكاته، يسجد محاكاةً لها، يحاكي أباه في الآذان، ويؤدي حركات الصلاة، فيجب الاستفادة من هذه الغريزة عنده ونستغلها لتقوية الروح الدينية لديه فكم سيكون مؤثراً ترنم الأم بالأناشيد الدينية والآيات القرآنية وذكر آلاء الرحمن وثنائه عندما تنوّم طفلها. تبقى آثار النشاطات العبادية للأم في ذهن الطفل أبداً وحتى بعد موتها، يقول الإمام الحسن السبط في حق أمّه «إنها كانت تحيي الليل كله في محراب عبادتها مشغولة بالدعاء وأول من تدعو له هم الجيران».

وخلاصة البحث يوذّي ترنم الأم الديني إلى نشأة الطفل متديناً. كما تؤدي سائر الترنمات إلى نشأته نشأة أخرى. وما أجمل أن تندمج العبادة مع كل مراحل تربية الطفل منذ انعقاد نطفته وحتى آخر مراحلها في البيت، في طور النطفة والعلقة وفي أيام رضاعه وبقية مراحل تربيته تكون كلها بذكر الله ولذلك لا يمكن تصنع العبادة بصورة مؤقتة بل يجب على الأم أن تكون عابدةً في كل شؤون حياتها ولا تقتصر على لحظات خلوتها مع الله في الصلاة أو

الصوم بل تمزجها بحياتها اليومية بشكل لا تغفل فيه عن ذكر الله حتى لحظة واحدة.

علامات العبادة:

يجب على الأم طبقاً للأسس التي رسمناها سابقاً أن تكون طاهرة نقية في خلوتها وحضورها تراقب سلوكها وأقوالها، وتسعى لتهذيب نفسها من الرذائل الأخلاقية والبخل، تقاوم إغراء القيم المزيفة، وتبحث عن القيم الأصيلة تسلك طريق الله، لا تخلط القيم المزيفة بقيم الله، وتصبغ فكرها وعملها بالفضيلة والصبغةِ الإلهية وبالتالي يجب أن تختلف طريقة حياتها ومفاهيمها عن الغاوين ومفاهيمهم عن الحياة.

الفصل الثالث

الأم وسلوك الطفل

تعتبر الأخلاق المفتاح لدخول عالم السعادة والوسيلة للتحكم والسيطرة على أهواء النفس وكبح جماحها، ويمكن بالأخلاق حل الكثير من المشاكل والملابسات. يتحكم الإنسان في ظل الأخلاق بنفسه ويسيطر على ميوله الشيطانية ويحصل بها على الزاد الكافي في طريق حياته لينال في النهاية الطمأنينة والهدوء النفسي. فالإنسان يتكل بالأخلاق السامية على القدرة اللامتناهية لله العالم الحكيم، والمستحق للعبادة، ويطوي طريقه في ظل ذلك التوكل وبالإرادة القوية التي تتكون لديه ليصل إلى ساحة الأمن والنجاة.

الأم وأخلاق الطفل:

إن أحضان الأم أول مدرسة وقاعدة للتربية، حيث يتعلم الطفل في هذه المدرسة الأخلاق والدين ومن خصوصياتها أن ما يتعلمه الطفل فيها سيبقى معه إلى الأبد، حين يفتح الطفل عينيه على الحياة يكون ضعيفاً ولا يعلم شيئاً ويعتمد على أمه في جميع شؤونه وعلى هذا الأساس فإن لم تَصُنْ الأم نفسها من عوامل الفساد الأخلاقي والرذيلة فلا يمكنها أن تأمل حياة طيبة وطبيعية للطفل. تؤثر الأم في أخلاق الطفل إلى درجة تجعلنا نقرر بأنَّ الآداب والأخلاق التي سيتحلّ بها في المستقبل هي الامتداد الطبيعي لما تعلمه منها في صغره.

تأثير الأسوة:

يتعلم الطفل أشياء كثيرة أثناء مراحل رشده عن طريق سمعه وبصره ولكن مشاهداته من الجوانب الأخلاقية تنفذ إليه أسرع وتؤثر فيه أكثر. فلا تؤثر فيه آلاف النصائح التي يتلقاها عن طريق سمعه مثلما يؤثر فيه مشهد أمه وهي ترتكب ذنباً. لأن ما يراه الطفل يشكل جزءاً من تركيبته الأخلاقية. ولذلك يمكننا القول ان أفضل وسيلة لتربية الطفل هي تقديم القدوة العملية له، وتعتبر الأم أهم قدوة متجسدة أمام عينيه، فما تقوم به الأم من أخلاقياتها وسلوكها ينطبع فيه، فلا يمكن له عندما يرى أمّه تكذب وتقلب الحقائق لأبيه وتتوسل بالحيلة والمراوغة، وقاسية القلب أنْ ينشأ على عكس ذلك. أما إذا كان يرى أمه رؤوفة، أمينة، مخلصة وذات قلب سليم فسينشأ مثلها على الأقوى. ولذا فعلى الأمهات أن يتحلّين بالأخلاق الحميدة، ويكنَّ طاهرات ومهذّبات، يحدّدنَ سلوكهن وفق المعايير الإسلامية، ويَمزجْنَ حياتهنّ بالفضيلة والأدب الإنساني، ويَسعَينَ إلى التكامل الأخلاقي.

يجب أن يثق الطفل بأمه:

يتربى الطفل على ما يشاهده من الوضع الظاهري لأمه وأبيه. وسيكون من الصعب تربيته عندما يكون أسلوبهما وطريقتهما ـ وبالأخص الأم ـ سطحية غوغائية ولا ينفذ ما يشاهده منهما إلى قلبه. فيجب على الأم أن تكسب ثقة طفلها لأن ما سيستحسنه من أمه ينبثق من هذه الثقة لديه. يضيع الأب أو الأم وقته عندما ينشغل بإسداء النصائح كراراً ويغرق في بحر من الجهل والغرور ويجعل الطفل لا يشمئز منه فحسب بل من كل ما اسمه نصيحة وعنوانه الموعظة.

فلتنتبه الأم على أن لا تكدّر حياة طفلها وتخلق عنده إحساساً بالريبة والخوف وتَسلُب منه ثقتهُ بها بسبب جهالتها وحقدها. تستطيع الأم العاقلة وذات التدبير أن تنقذ طفلها وأسرتها من الحيرة والضلال الناشىء عن الجهل وتمنع طفلها عن الانحراف.

كيف نمنع سوء التربية؟

يؤدي الكثير من سلوكيات الأم وحتى العفوية منها إلى سوء تربية الطفل

وستبقى متركزة في ذهنه لمدة قد تطول من الزمن. فيمكن للأم أن تتكلم معه بشكل يتعلّم من خلاله السب، والشتم وبذاءة اللسان. أو بصورة يكتسب فيها الأدب والذوق. فيجب على الذي يتصدى لهداية الطفل من الناحية الأخلاقية والانضباطية أن يكون قدوةً فيها ويتّبع ما يأمر به ويتوقعه من الآخرين. وسيؤثر كسل الأم وضجرها واتباعها الهوى بشكل ما في الطفل وعند الدوام عليها وتكرارها فستصير عادة أخلاقية لديه.

العادات الأخلاقية:

يعتبر خلق وإيجاد العادات الأخلاقية من القضايا المهمة في علم التربية، لا نقصد بذلك العفوية واللاإرادية وبدون تخطيط بل سلوكاً يرتكز على أسس فكرية وأخلاقاً محسوبة إرادياً. لا شك أن الأخلاق التي تستند إلى العادات ولا ترتكز على أسس فكرية وثقافية أسوأ بكثير من سوء الأخلاق، ولذا يجب توخي الاحتياط اللازم والدقة الكافية عند إيجاد وبناء العادات الأخلاقية. وعليه يجب على الأم أن تقوّي الميل عن طريق التمرين والتشجيع لتقبل الأصول الأخلاقية وهذا يتطلب التحريك الدائم.

متى نعلّم الأصول الأساسية للسلوك؟

يكون الطفل تحت سيطرة ونفوذ حركات وسكنات الأم منذ الشهر الأول لولادته، فهو موجود منفعل وتحت تأثير ولي أمره ولكن سلوكه لا يثبت ولا تستقر أخلاقه على حال حتى نهاية السنين الثلاثة الأولى من عمره. يبدأ بعد ذلك برسم معالم شخصيته وتحديد أبعادها شيئاً فشيئاً. تتكون عند الطفل في الثالثة من عمره حالة من التمرّد والعصيان نتيجة لسعيه نحو الاستقلالية، يجب السيطرة على هذه الحالة من التمرّد والعصيان والتحكم فيها من أجل تقويمها. فالسنين الثلاثة الأولى من العمر لها أهمية قصوى في هذا الجانب على أية حال وعندما يكبر وفي السنين القادمة يجب شرح أسباب كثيرة من الأوامر والنواهي والقواعد التربوية في السلوك والتعليم حيث تكمن في هذه الأوامر والنواهي مصلحته.

حرية الطفل واستقلاله:

يصر الطفل على أن يمتلك حرية مطلقة بلا حدود أو قيود، يريد أن

يحصل على ما يشاء وأن يلبّوا له رغباته، ليست هذه المطاليب في مصلحة المربي ولا تنفع الطفل فستجعله في حال الاستجابة لها طفلاً مغروراً، لجوجاً، يفعل ما يشاء بلا وازع ويفقد الوالدان والمربي من الناحية الأخرى لدورهم كعامل للسيطرة والتحكم له تأثيره وفاعليته.

يحتاج الطفل من أجل ديمومة حياته وإصلاح سلوكه إلى تحكّم قوي، ويجب توجيه الطفل وتعديل ميوله فإنَّ لديه حباً شديداً للسيطرة فإذا أطلق له العنان فسوف يصبح سلوكه استبدادياً يسلب الآخرين راحتهم وأمنهم.

لذا يستحسن السيطرة والتحكم في سلوكه ولكن ليس إلى حد التدخّل في شؤونه الخاصة بحيث يفقد الطفل شخصيته واستقلاله. فتلزمه الحرية والاستقلالية النسبيتان لكي يستطيع بهما أن يتغلّب على مشاكله ويحتاج هذا إلى التجربة والممارسة القبلية.

دور الصبر في التربية:

تزرع الأم بذرة الأخلاق في نفس الطفل وتصحح له فكره وتوجه سلوكه. ولكن ذلك لا يتم بسرعة أو باستخدام القسوة، حيث يعتبر السلوك الهادىء والتدريجي للأم أفضل ضمان لتعادل الطفل الأخلاقي والعاطفي والكشف التدريجي لأصول وضوابط الأخلاق. يلزمها في ذلك، الصبر والأناة والمثابرة الجدّية وتتحذّر من السلوك العدائي الخشن وتهيء الأجواء المناسبة بسلوكها المناسب لتعاطف الطفل معها ولا تجرح شعوره وتؤذيه أو تستهزىء به... الخ لأنها تعتبر من عوامل سوء التربية وتؤثر سلباً على مستقبله.

الفصل الرابع

الأم والتربية الدينية للطفل

يعتبر الدين والمذهب من أهم منابع التربية في العائلة وتقوم كل النشاطات وسلوكيات العائلة على نعاليمه ويرتبط دليل أغلب الأمور في العائلة المسلمة بمبادئه.

تسعى العوائل الإسلامية في برمجة حياتها طبقاً للأوامر الدينية وتعتقد بأنه القوة المتحكمة التي تستطيع تهذيب شهوات الإنسان وميوله الهدّامة وتهيء الأرضية المناسبة للاستفادة من العقل.

يقدم المذهب للإنسان المثاليات ويخلصه من الأوهام والخرافات ويصلح فكره ويصنع منه الإنسان المتكامل والسامي.

يعطي الدين للكلمة قدرة سحرية تمكّن الإنسان ـ بالاستفادة من قدرته على التسامي التي أودعها الله فيه ـ أنْ يرتفع عن حالته الحيوانية ليصل إلى مصاف الملائكة ويعبّىء فيه كل القوى الخيّرة ليجعل منه موجوداً نابضاً بالحياة وإيجابياً يراعي الاعتدال.

ضرورة التربية الدينية:

تبرز على هذا الأساس والتصور الذي بيناه آنفاً أهمية التربية الدينية كأمرٍ ضروري وحياتي للطفل. يحتاج الطفل في حياته إلى ركن شديد يستند إليه كي لا يتزلزل أو تزل قدمه في طريقه نحو أهدافه. وتشكل العقيدة والإيمان ذلك الركن الشديد، وسيحتاج من جانب آخر إلى من يلملم جراحه عندما ينهزم

في مواجهته لمشاكل الحياة وتضاريسها ويخفف عنه آلامها، وتؤدي العقيدة تلك المهمة.

يعتبر تحقيق تلك الأهداف والعمل بالفرائض الإلهية النتيجة الغائية للتربية الدينية، ويجب أن تبدأ من العائلة فإنها ضرورية للطفل.

الهدف من التربية الدينية:

نهدف من التربية الدينية إيجاد علاقة وثيقة بين الطفل وربه ليستطيع الإنسان بواسطتها أن يكبل كافة نزعاته الشيطانية وميوله اللامشروعة ويصبغ حياته بالصبغة الإلهية ويبرمجها وفق التعاليم السماوية.

نريد من التربية الدينية ربط كل خيوط حياة الإنسان بالله، ليقوم بجميع أعماله على اسم الله ولأجله - حيث يرى الله في أعماله وكافة شؤون حياته، فيتعلم الحلال والحرام ويوجه حياته المادية والروحية طبقاً للأحكام الإلهية.

والخلاصة فإن الهدف من التربية الدينية هو تربية الإنسان الصالح، يعني شخصاً يجعل كافة قواه المادية والمعنوية في طريق الهدف ولا يخطو خطوة في معصية الله.

نسعىٰ في مثل هذه التربية إلى إيجاد تعادل بين المادة والروح ونرعىٰ الاعتدال في النشاطات الحياتية والسلوك ونقضي في ظلها على التشويش والاضطراب والقلق والخوف الذي يعتبر العامل الأساسي لكثير من المفاسد والرذائل الأخلاقية ونمحو التعاسة ونؤالف بين الإنسان وحياته.

دور الأم في التربية الدينية:

يُلازم الطفل أمّه أكثر من غيرها، فيقتبس منها المفاهيم الدينية والأخلاقية، ويجعلها أسوة في حياته ولهذا فإن تربية الطفل الدينية والأخلاقية من أولى واجباتها.

تضع الأم لبنات هذه التربية في السنين الأولى لحياة الطفل عندما يكون غضاً، تنطقه بكلمة التوحيد وتعوّد سمعه على الكلمات الدينية. فستبقىٰ عند ذلك في خاطرهم خالدةً إلى الأبد. وقبل أن يشوش الآخرون ذهن الطفل

ويلوثوه، على الأم أن تعلمه مفاهيم الخير والشر وتجذّرها في ذهنه، وتغرس في قلبه بذور العقيدة وتوجه أخلاقه وسلوكه وفق السنن الإلهية.

الأم وطريقة التربية الدينية:

يتعرف الطفل على العالم من حوله عن طريق حواسه، اللامسة، السامعة، الباصرة، الذائقة، والشامة لذا يجب تعميق الإيمان عنده في هذه المرحلة يؤمن بالله ويعتقد به عن طريق ما يتعرف عليه من عالم الوجود تكون بعد ذلك مرحلة إدراك المجردات والإستدلال عليها في السنين القادمة.

تستطيع الأم وبلغة سهلة أن تعلّم الطفل بأن الله يراه ويراقب أعماله الصالحة والطالحة وأنه لا يخفى عليه شيء. وبيده ثواب وعقاب العالمين. المهم في ذلك هو إيجاد علاقة متينة بين الطفل وخالقه بشكل يتقبل حلال الله ويتجنب محرماته في حياته.

بداية التربية الدينية:

يجب أن تبدأ التربية الدينية منذ نعومة أظافر الطفل وعندما يكون ذهنه صافياً وغير ملوّث بالعوامل السلبية حوله. ويتقبل الحقائق مثل الجمال، الخير، المحبة، ويعتبر دور الطفولة من أفضل الأدوار التي يمكن فيها ذلك ويحقق أهدافه. يمكن للأم في هذه السنين أن تبذر في روح الطفل بذور التقوى والشرف وحب الله وعبادته، وتوجهه إليه بلغة سهلة. سيمكن تحقيق ذلك عن طريق برامج الأم العبادية وسرد القصص وشرح كيفية خلق عالم الوجود.

الطريق إلى معرفة الله:

يحتل مفهوم «الله» مكانه في ذهن الطفل ويدرك أن لهذا الكون خالقاً. ولكن السؤال الذي نطرحه هو كيف نعرّف الله للطفل؟!

تستطيع الأم أن تعرّف الله بأنه منبع الخير، القوة، الرحمة، والحب للطفل وتهيىء ذهنه لقبول لطفه ورحمته أو تعرّفه بأنه قوي وشديد العقاب. لذا يجب عدم تخويف الطفل من الله وتجب الإشارة دائماً إلى رحمته، رأفته، وحبه للخلق، عطائه وجماله لأن الرب الرؤوف الرحيم أفضل للطفل من ربّ

منتقم جبّار. الرب الذي يصوره المربّون بجهلهم للطفل عنوان الخوف والرعب يبقى أثره في ذهن أطفالهم إلى الأبد رَبّاً شديداً، منتقماً، جباراً لا يغفر خطيئة وسيعاقبه لا محالة. لذا فسيفرّ ويشمئز من هكذا إله. إن على الأم أن تبذر بذور الرحمة وتحيي الأمل في قلب طفلها وتعلمه أن اليأس من الكبائر. تستطيع الأم أن تعلم طفلها أن بإمكانه أن يكلّم ربّه ويضعه محل سرّه ويرتبط معه بشكل يجعل منتهى أمله أن يرضى عنه، ويتبع أوامره وينتهي عن نواهيه.

ملاحظات في التربية الدينية:

يجب أن نبحث مع الطفل حتى حدود السنة السابعة من عمره دائماً عن رحمة الله ولطفه والجوانب الإيجابية لذلك مثل خلق السماوات والأرض، الشمس والقمر، النجوم، الفواكه، الخضر، الجمال، والأم والأب الرحيمين و...الخ. ونبدأ من السابعة فما فوق بتحسيس الطفل الخوف من الله ونلقي ذلك في قلبه ونصدع سمعه بضرورة العقوبة للذنوب ونفهمه أن الله رؤوف رحيم مع الخيّرين شديد العقاب للمذنبين وتبدأ في هذه السن تعليم الطفل الأحكام والفرائض الدينية مثل الصلاة وعلى الأم السعي كي تعلم الطفل حركات الركوع والسجود بلا إكراه. ومن البديهي أن ذلك يشكل بالنسبة للطفل نوعاً من اللعب واللهو ولكن الاستمرار والدوام عليه يؤدي إلى تعود الطفل لا يشعر بالملل منه وسيمارسه تطوعاً عندما يكبر. يستمر ذلك حتى العاشرة من العمر ويشجع عليها دائماً ولكن بعد سن العاشرة إن امتنع الطفل عن أداء فرائضه الدينية فيجب أن يؤدب عليها. ويجب في سائر الفرائض الدينية مثل الصوم ملاحظة قدرة الطفل واستطاعته عليه حتى بلوغه السن الشرعي، ولو ان هناك روايات تؤكد على إيقاظ الطفل لتناول طعام السحور من سنه السادسة.

القسم العاشر

الأم وطريقة إصلاح الطفل

تفوق أهمية التربية بالنسبة للطفل غذاءه اليومي المادي ذلك لأنها تشكل الغذاء الروحي والمعنوي له. فإن لم توفر الأم له ذلك عليها أن تعترف بأنها لم تفعل له شيئاً حيث تحفظ التربية الصالحة الطفل من الآفات الاجتماعية وتكون الأرضية لنشاطاته الفكرية.

ليس الطفل كما يتصور البعض كشمع العسل يصنع منه المربي ما يشاء، فإنه سيقاوم إرادة الأبوين وخاصة في حدود الثالثة من عمره ويرتبط بالعالم من حوله لسبب نموه ويتعلم منها التربية السيئة. يجب على الأم في هذه الحالة وبالاستفادة من الأساليب التربوية الناجحة أن تعيده إلى الحظيرة وتهتم بتربيته. تتشعب طرق إصلاح الطفل في التربية والتعليم وتتنوع، ويكون قسم منها عبارة عن المحبة والتشجيع، اللعب مع الطفل، التذكير والتلقين، سرد القصص، العقوبة و... الخ. سنبحث في الفصول القادمة تلك السُبل باختصار.

الفصل الأول

الإصلاح عن طريق المحبة والتشجيع

لا تمكن التربية ولا تثمر إلاّ بصباحة الوجه والمحبة، وإنْ أمكنت بغيرها فليست لصالح حياة الفرد والمجتمع لأنها ستربيّ الطفل قاسياً خشناً وتؤدي إلى طغيانه وتمرّده في الكبر. بينما يُهيىء السلوك النشيط الإيجابي والحيوي الأرضية المناسبة للطفل ليؤدي الأعمال الإيجابية وينجح فيها. نستطيع عن طريق المحبة أن نخلق في داخل الطفل الإحساس والاهتمام بقضايا الآخرين ونحركها في ضميره.

تتعاظم أهمية الأجواء الأسرية المفعمة بالحب ودورها في إصلاح الطفل وتكامله فلا تجد مسألة لا يمكن حلّها عن هذا الطريق.

ينتخب الطفل أمه كأوّل شخص يحبه ويرتبط معه بعلاقات حسنة، فسيؤدي عطفها ورحمتها، وفي بعض الأحيان عقوبتها وعفوها أو غضّ طرفها عنه إلى صياغته وصقله بصورة أفضل.

تأثير الرحمة في التربية:

تجرّ الأحاسيس الشديدة الكامنة في المحبة والتشجيع الأشخاص نحو الطُهر والصلاح، ويؤدي العطف والملاطفة منَ الناحية النفسية إلى إطفاء نار الغضب أكثر من الخشونة والتسلط لأن ذلك يستوجب عناد الطفل وانحرافه ويعود به إلى ارتكاب الخطيئة ثانية.

ينشأ الانحراف عند الأطفال وحتى الكبار عن العجز في خلقِ علاقةٍ

وديةٍ وعاطفية بين الطفل وأمه ويدلّل على حرمانه من التكامل العاطفي، وإيجازاً سيدرك الطفل العالم من حوله أجمل وأطرىٰ بالحب والحنان والتشجيع.

الأم مثال العاطفة:

تكون حياة الأم المليئة بالحب والدفء، حياةً تذوبُ عندها المصاعب والمشاكل، ويتحول فيها الانحراف والاعوجاج إلى استقامة وصلاح بسهولة ويسر، تلهم محبة الأم وتشجيعها النفس وتبني الروح، وتكون كالدواء يعالج الاعوجاج، ويمكن عن طريقها تحطيم مقاومة الطفل وعناده، وتبعث فيه روح الإبداع وتحيي ضميره وتبني شخصيته.

فعندما تقدم الأم نصائحها ممزوجة بالعواطف والأحاسيس الحارة والإصرار وعندما تنبهه على أخطائه بنظرة حنونة وابتسامة تطفيء جذوة الشر في نفسه فيستسلم لأوامرها ونواهيها، وستذوب كل الانحرافات بابتسامة منها له، وإبداء حبها له، بتشجيعه واحتضانه وحتى بنظرة عادية منها.

نستشعر ذلك أكثر في السنين الأولى من حياة الطفل لأن الأم في تلك الفترة تكون سلوته الوحيدة ولكن تَفتر محبته وعاطفته عندما ينضج وتأخذ حالة عقلية يضعف فيها الجانب العاطفي.

نجني من المحبة والعاطفة فائدة ثانية وهي شعور الطفل بأن له دوراً في حياة أمه مقبولاً لديها، يلقي هذا في روحه الطمأنينة ويجعل حياته وكل جوانب وجوده في قبضتها ويعتبر تأثير عواطف الأم وتشجيعها كبيراً لإصلاح الطفل ولشعوره بحماية الأم ودفاعها عنه دور أكبر في ذلك.

فوائد التشجيع:

يفرّح الحب والتشجيع الطفل كما شرحنا سابقاً إلى درجة وكأن الدنيا قد منحناها له ويشعر بالرغبة على تكراره، ويعتبر في السنين الثلاثة الأولى من عمره أهم وأكثر تأثيراً. لأنها سنين انفعالية بالنسبة له وسيترك الحب والتشجيع آثاره السحرية في إصلاحه ورقّيه وحتى في طبائعه.

لغة التشجيع:

تبعث العواطف والمحبة في بعض الأحيان على سوء التربية، وكما تكون إيجابية ومفيدة قد تصبح قوة محطِّمة تقتل شخصية الإنسان وتهدم فيه الثقة بالنفس. فما أكثر الأطفال الذين تغيرت أخلاقهم بعد تشجيعهم بوقت قصير وتصرفوا بصورة غير عادية وشاذة.

يدعى التشجيع الذي يؤدي إلى خروج الطفل عن طوره وشذوذ تصرفاته بالتشجيع الهدام أو السلبي ويجب الامتناع عنه.

تجب ملاحظة النقاط التالية للامتناع عن التشجيعات والعواطف الهدامة.

ملاحظات في التشجيع:

نطرح هنا عدة ملاحظات ونبحثها وأهمّها:

١ـ **يجب أن يكون التمجيد للعمل لا للشخص**: لا تحمدوا الطفل على أعماله الجيدة بل يجب تمجيد العمل الجيد لأن ذلك سيؤدي إلى تعميمه والهدف من ذلك هو أن عمل الإنسان أهم من شكله وظاهره وعلى هذا الأساس فإن أي شخص يقوم بهذا العمل يستحق الشكر والاحترام فلو ان طفلاً انصاع إلى أوامر أمه فإن عمله يجب أنْ يشكر عليه.

٢ ـ **التشجيع بشرط الاستحقاق**: يشكك الطفل في عقل المربّي وذكائه عندما يقدم له كثير من المكافآت التي لا يستحقها ولا يستسيغها لنفسه ولذلك يجب أن لا يُشَجّع الطفل أو تُقَدَّمُ له مكافأة عند عدم استحقاقه لها.

٣ ـ **مقدار المكافأة**: تقديم المكافأة للطفل والعطف عليه من الأمور المستحسنة بشرط أن لا يبالغ فيها وتكون بمقدار ما يقوم الطفل به من عمل، لأن المبالغة والإغراق في المدح والذم من علامات البلاهة. وعن الإمام علي (ع): «الثناءُ بأكثر من الاستحقاق ملقٌ والتقصيرُ عن الاستحقاق عَيٌّ أو حَسَدٌ»[1].

٤ ـ **يجب أن يكون التشجيع في محله**: تؤثر هذه المسألة عميقاً في الطفل

---

(١) عن النواص، «من كان عنده صبي فليتصابىٰ له» وسائل الشيعة ص ٢٠٣ [المترجم].

بشكل يمكن أن تغيّر مجرى حياته وتزرع في قلبه الأمل وتشجعه على الاستمرار والثبات في الطريق.

٥ ـ **لا تتحول المكافأة إلى رشوة**: يعتبر إعطاء الوعود للطفل من أجل أداء واجباته من الأخطاء التربوية. مثلاً نعطيه وعداً بشراء لعبة أو منحه مبلغاً من المال في مقابل قيامه بالعمل الكذائي، تأخذ هذه الوعود بالتدريج شكل التعامل والشرط وتخرج عن طبيعتها كواجب على الطفل، ومن جانب آخر فإن الأم التي تعد طفلها بقطعة حلوى إن لم يؤذِ أخاه الصغير فقد لقنته بصورة غير مباشرة بأنه محق في أذيّة أخيه ان لم تقدم له قطعة الحلوى. يسعىٰ الأطفال عموماً ولتحقيق أغراضهم إلىٰ التوسل بالعناد والمخالفة أو التظاهر بها على الأقل وهذا بعيد عن الصواب في التربية ويستوجب التعب والمشقة اللاحقتين.

٦ ـ **المكافأة غير المباشرة**: تكون المكافأة المباشرة في أكثر الأحيان صعبة وتثير عند الطفل الإحساس بالمطالبة والانتظار، لذا يجب على الأم أن تعكس رضاها عنه بواسطة حركاتها وعلامات وجهها وتحكي له القصص التي تتضمن رضاها بصورة غير مباشرة.

٧ ـ **المكافأة المعنوية**: يجب أن لا تكون المكافأة دائماً بصورة نقدية، أو جنسية قدر الإمكان ويجب أن يفهم الطفل بأن مكافأة الأعمال ليس رضىٰ الآخرين فقط بل راحة الضمير أيضاً، فتكسب الطفل وتمنحه دفئاً حتى نظرة رضىٰ بسيطة قبل إعطائه الجائزة.

٨ ـ **ملاحظة قدر فهم الطفل للمكافأة**: يجب الاستفادة من الألفاظ والكلمات التي يفهمها الطفل ويهضمها عند إسداء المحبة والثناء والتشجيع فإن كان ممكنا ترتيب الكلمات حسب معانيها فيجب أن تكون من الدرجة التي يستطيع الطفل إدراكها وتخلق عنده تصورات عن مفاهيمها.

الفصل الثاني

الأم ولعب الطفل

يمارس الطفل اللعب كحالة طبيعية وشيّقة لديه. وتدخل كافة أنواع نشاطاته وأعماله التي يقوم بها في هذا الباب ويعتبر الوسيلة الناجعة لإصلاح انحرافاته ويشكل حاجةً بدنية وروحية له ووسيلةً لبنائه وصياغته، فليس من المنطقي منعه وإبعاده عنه وسوف لا يمكننا ذلك.

فوائد اللعب:

يكون اللعب بالنسبة للطفل، لعباً، فناً، وعملاً، وأشياءَ أخرى، فيقوم بجميع النشاطات والفعاليات الحركية باسم اللعب مما يخلق عنده التعادل البدني، يفيدُ الركض والعَدوْ، القفز، المشي، وسائر المهارات الرياضية في تربية جسمه وفكره وروحه. ويتعلم الطفل في ظل اللعب التنظيم، الاختلاط بالآخرين، والاستنتاج، الاختراع والإبداع. ويستطيع أثنائه حل وكشف بعض الأسرار ويتعرف على مدى نجاحه أو فشله ويحقق الانسجام المطلوب بين حركات أعضائه وتبرز مهاراته وقدراته.

أهمية اللعب:

يكتسب اللعب على أساس القاعدة التي وضحناها كوسيلة لها أهميتها في التربية البدنية، والفكرية والروحية. ولا يمكن للطفل أن يبتعد أو ينعزل عنه، فلو أراد الطفل الانعزال فيجب منعه وعدم السماح له بعدم الاشتراك في ملاعب الأطفال واتّخاذ دور المتفرج.

معرفة الطفل من خلال اللعب:

نكتشف مشاعر الطفل وأحاسيسه من خلال لعبه، والتي سيظهرها لاشعورياً عندما ينشغل به حبه، كراهيته، رغباته ومنها سنتعرف على شخصيته ونفسيته وستبرز ملكاته الروحية مثل ضبط النفس، العداوات، والقدرات الكامنة فيه مما سيسهل عند ذلك علينا عملية بنائه وإعادة صياغته.

اللعب وعملية البناء:

يمكن أن يكون اللعب وسيلة لبناء الطفل وهدايته إلى الطريق الصحيح، وتستطيع الأم من خلاله أن تعلمه كيف يخطط ويبدع، وتحرك عنده قدرة الخيال والابتكار وكيف يستغني عن الآخرين لقضاء أموره وتصريفها... والخ.

ويمكن أن تلقنه عن هذا الطريق أسرار وفنون الحياة واحترام الأصول والقواعد وتشركه حتى في صياغتها وتهيئتها ليستفيد من خلاقياته وابتكاراته في تحقيق أهدافه والوصول إليها.

نستنتج من ذلك أن للعب دوراً مهماً في صياغة شخصية الطفل وتهذيبها وخلق الاستعداد لديه للمسؤوليات. ويحرك غرائزه الذاتية مثل، المحاكاة، حب الاستطلاع، والاكتساب، ويعلمه متى يقاوم وكيف يستسلم ولماذا ينسحب ويتراجع. وسيكون وسيلة لتقوية وتذكية حواسه الخمس السامعة، الباصرة، اللامسة، الذائقة والشامة، ويرهف إحساسه الذي يؤدي إلى بلوغه الاجتماعي الحركي، والذهني ويُنضجه لتشخيص الأمور وتقديرها.

اللعب وإعادة بناء الشخصية:

تستطيع الأم إصلاح الطفل وإزالة جميع سلبياته عن طريق اللعب وتؤثر إيجابياً في أخلاقه حيث يتوصل الطفل باللعب إلى عمق مفاهيم العدوان، الخوف، الأحاسيس والمشاعر، العشوائية، الخيانة، الحرمان، الخير والشر و...الخ. وسيضطر إلى الانصياع للقواعد والأصول الاجتماعية في الحياة لينقذ نفسه من وضعها المأساوي. ويجعله نشيطاً ويجبره على إصلاح أخطائه، يتغافل أحياناً عن زلاّت أصدقائه ولا يصرّ على ما يريد.

إيجاد العادات الحميدة:

تكلّف الهزيمة الطفل الذي تعوّد الحصول على مطاليبه دائماً ثمناً باهظاً. ويثقل عليه أن يتحمل مسألةً لا تناسب شخصيته ولا تقوم على أساس تفكيره. ولكن تصبح تلك الأمور عادية وتتلون لديه بشكل آخر بتأثير اللعب، والتمرين والإعادة والاستمرار. وسينشغل عادة بالعمل والنشاط عن طريق مشاهدته لسلوك الآخرين وبالطبع ستظهر لديه عادات مفيدة له.

اللعب وسعة أفق الطفل:

تشرح الأم حقائق الحياة الخفية للطفل عن طريق اللعب وتمكّنه من المشاهدة والقياس وتمنحه القدرة على التشخيص، وسيدرك الطفل لذلك النظم الحاكمة في المجتمع، وماذا عليه أن يفعل وما الذي يمتنع عنه وسيفهم كذلك المسؤوليات والأعمال الموجودة في المجتمع وما هي القوة والضعف وما تعني الأبوّة والأمومة، ما هي الهزيمة وكيف النجاح وما هو التفوق. . . الخ. سيكون ذلك ضرورياً لتوجيه ذهن الطفل وأفكاره الفتية.

الانسجام الاجتماعي واللعب:

تنشأ غالباً من أحضان الأم ردود فعل خاصة عند الطفل بالنسبة للمجتمع فيكون من الضروري إزالتها لينسجم مع القوالب الفكرية الحاكمة في المجتمع. ويخلق اللعب توازناً وتعادلاً روحياً لديه وتستطيع الأم من خلاله أن تجعله ينسجم مع المجتمع ويأنس إلى القواعد والأطر الاجتماعية وتقوده إلى شاطىء الأمان والمحبة.

توجد عند الطفل حالة لا إرادية من التقليد ومحاكاة أعمال الكبار ويسعى دائماً لفهم وتعلّم الآداب والتقاليد ويطبقها على نفسه فيمكن للأم أن تساعده وتأخذ بيديه لتُسهّل عليه ذلك.

وستخلق الأجواء المناسبة لتربيته الاجتماعية وتخرجه من حالة الانزواء والوحدة والفردية عندما تسمح له باللعب مع الأطفال الألعاب الجماعية والمتعارف عليها في المجتمع.

اللعب وتهذيب النفس:

يعاني أغلب الأطفال من الفقر المعنوي، فيشعرون بالقلق والخوف ويفتقرون إلى الطمأنينة ويفتقدون الشجاعة والجرأة اللازمة للقيام بأي عمل ويتهيبون منه، ويستهينون ببعضها أحياناً وليست لهم القدرة الكافية للقيام. وللتغلب على هذه الحالة يعتبر اللعب أفضل وسيلة لذلك. فيستطيع الطفل الذي يخشى الظلام أن يتغلب على هذه المشكلة من خلال اللعب، ويمكن للأم أن تقضي على خوفه وتزيل قلقه اللاداعي له بواسطته أيضاً. ومن واجب الأم أن تعلّمه المسائل المتنوعة عن طريق الملاحظة الدقيقة وتساعده في كشف المجاهيل باللعب الذي يعتبر إحدى الوسائل الناجعة لتحقيق ذلك.

أنواع ملاعب الأطفال:

تسعى الأم بلعبها مع الطفل وتعريف اللعبة وشرحها له أن تُكسبه التجارب الكافية بترغيبه، وتحرك قواه الفكرية والعقلية، تهيىء الأجواء المناسبة لإزالة معايبه ونواقصه، وتكون عاملاً لنشاطه اجتماعياً، وتشحذ همّته للإبداع والابتكار.

يجب أن تكون ممارسات اللعب وسيلة غير مباشرة للتعرف على عالمه الذي يحيط به ويكتسب فيه المعلومات الواقعية عمّا يدور حوله، ويكون لها دور مهم في تربيته.

تنتخب الأم له اللُعبة المناسبة وعليها توجيهه فيها حيث يبعث ذلك على تحريك قواه العقلية ويهيىء الأرضية المناسبة لحل مشاكله ويبعث عنده النشاط والحركة.

يقضي الطفل ساعات طويلة من اللعب واللهو بأدوات لعبه فيجب أن يحصل نتيجة ذلك على الانضباط، القواعد والأصول، يتعرف على العالم الخارجي، وزيادة تجاربه الشخصية حيث يرتبط ذلك ارتباطاً وثيقاً بنوع اللعبة التي يمارسها. فتعتبر ألعاب السباق مفيدة له بشرط أن لا يكون الخاسر فيها دائماً.

ملاحظة مهمة:

يعتبر اللعب ضرورة ملحة للطفل بشرط أن لا يتجاوز الحدود ليصبح همه الأول والأخير ويملأ عليه جميع جوانب حياته فيشكّل خطراً عليه، ولا يسلب منه عقله وروحه لأنه سيحتاج إلى العمل والجد والتعوّد عليه في حياته الشخصية والاجتماعية، لذا يجب أن يكون اللعب والجد متوازيين في حياته فليس صحيحاً اللعب بلا جد في الحياة ولا يصح عكس ذلك.

الفصل الثالث

الأم والتحذير والتذكير

يعتبر طريق التذكير والتحذير من الطرق التربوية المهمة لإصلاح الطفل ويُستفاد منه كثيراً خاصة في التربية الإسلامية حيث يمتلىء القرآن من أوله إلى آخره ويطفح بالتحذيرات والنصائح والتوجيهات، تارةً من قبله عزّ وجل وأخرى على لسان أنبيائه وتارةً من قبل أعاظم الشخصيات الإنسانية مثل لقمان الحكيم. فلا يمكننا في ظل التحذير تقويم الاعوجاج والانحراف فحسب بل نستطيع كذلك أن نعلم الطفل الضوابط والموازين والتقاليد الاجتماعية ونؤثر على عقله وضميره أيضاً.

تأثير التحذير:

يتأثر الإنسان لاإرادياً بكلام الآخرين ويغيّر سلوكه طبقاً لذلك. ويترك التذكير آثاره الإيجابية على الإنسان لأنه مجبول بالفطرة على حب الخير والسعي إليه. ولكنه يتأثر بالنصائح الفردية بشكل ينجلي فيها الغبار المتراكم على فطرته تحت تأثير المحيط لتنتفض وتستعيد شفافيتها وإشراقها. يمكننا على هذا الأساس القول بأن للتذكير التربوي دوراً في إحياء الضمير وتهذيب الفطرة، ننفذ عن طريقه إلى روح الطفل وضميره الباطني ونؤثر عليه إيجابياً. يبلغ تأثير التذكير في التربية إلى درجة يصبح ناقوساً ويدق في وجدانه طيلة العمر ويخلق عنده تحولاً وانعطافاً عجيباً.

تذكيرات الأم وتأثيره:

يترك التذكير وتأثيره على الآخرين نوعاً ما ولكنّ تأثيره سيكون أكبر عندما تقوم الأم بتذكير الطفل لملازمتها إياه واستئناسها بوجوده. وتبعث نصائحها وتحذيراتها على إصلاحه أو على الأقل ستكون مقدمةً لتقويمه، ويجب أن تأخذ طابعاً آخراً عندما لا يستسيغها الطفل مثل سرد القصص والحكايات أو المعاقبة إذا اضطرت، فسوف تؤثر تلقينات الأم غير المباشرة في نفس الطفل، كمدح الخيرين وذم الأشرار والمسيئين، وتسوقه نحو الأهداف المرسومة إليه وتستطيع الأم عن طريق الإيحاء والتلقين أن تخلق عند الطفل الجرأة والشجاعة بشكل لا يستسلم معها للمشاكل والمصاعب التي ستواجهه بل سيصمد ويتغلب عليها بنفس واثقة وأعصاب هادئة.

أشكال التذكير:

نذكّر ابتداءً أنّ هناك فرقاً بين التذكير والسيطرة، ولا ندّعي أن لا وجود للسيطرة والتحكم في علم التربية ولكننا نقول انها تأتي في المراحل التالية وعندما لا تفيد السُبل التربوية المستخدمة المباشرة منها والغير مباشرة. لأننا نعلم أن السيطرة والتحكم تجعلان الطفل عنيداً مشاكساً لا ينصاع للأوامر ولا يستسيغها ويكون تأثيرها في نفس الطفل ضعيفاً ويقاومها غالباً ومن الممكن أن يطيع أوامر البعض ولكنها طاعة سببها الخوف وليست نابعة عن رغبته الداخلية.

ويجب من جانب آخر أن تأخذ تذكيرات الأم طابع النصيحة وليس الأمر، ويفهّم الطفل بأن هذه الأوامر من أجل مصلحته والهدف منها سعادته ولا تعود بنفع على الأب أو الأم.

نريد القول بأن التذكير والنصيحة يجب أن تأخذ طابع الشعور بآلامه ومعاناته ونشترك معه في أحاسيسه، وعلى الأم أن تجعل طفلها يفهم بأنها تتحرّق عليه ويتمزق قلبها على مستقبله ولا تريد له أن يشقىٰ ويتعس في الحياة. وفي الحقيقة سيلمس الطفل ويستشعر دور الأم كقدوة إذا كان متزامناً مع النصيحة والتذكير والهدفية في المشاعر وسيكون مقنعاً له.

عندما لا تؤثر النصائح:

لاحظنا أن كلّ نصيحة لا تأخذ موقعها في الطفل ولا تؤثر عليه. فكم من النصائح التي تبعث على تحريك الشعور بالمقاومة والعناد لديه أو يضحك منها في داخله. من باب المثال فإن الوالدين اللذين يقضيان أغلب أوقاتهما في البيت بالشجار والعراك إذا نصحا أو قاما بتذكير الأبناء، نعلم بديهياً ماذا سيدور في خلد الطفل وكيف سيستقبل مثل تلك النصائح. فمن الطبيعي أن لا تؤثر هذه النصائح فيه لسبب بسيط وهو أن الأم والأب لا يمتثلان إليها. والنموذج الثاني الذي لا تؤثر فيه النصيحة عندما لا يكون للطفل فيها لا ناقة ولا جمل، ولا تمسه لا من قريب ولا من بعيد وليس له دخل فيها، فلا يسمعها ويكون لها وقع عليه. فالنصائح التي تهم الآخرين وخاصة في المواضيع التي ليس لها علاقة به، لذا يجب تذكير ونصيحة الطفل في المواضيع التي تهمه وتخصه وله موقع فيها.

ملاحظاتٌ في التذكير:

تطرح مواضيع متنوعة نفسها هنا سنتطرق إلى أهمها فيما يلي:

١ ـ لا بدّ أن تكون النصائح التي تسدى للطفل هادئة وبلطف لا ممزوجةً بالقسوة واستعمال الشدة، فلا تزيل الرذائل النفسية في هذه الحالة ولا تنفذ إلى قلبه.

٢ ـ يجب أن تكون النصائح متناسبة مع المستوى الفكري والرشد العقلي للطفل، فلا جدوى من التفلسف له في الثالثة أو الرابعة من عمره، لذا يجب الامتناع عن المباحث الجدلية والفلسفية والابتعاد عنها.

٣ ـ لا شك أن النصائح يجب أن تكون مع الأمر والنهي في بعض الأحيان لكي تترك تأثيرها في الطفل ولكن المبالغة فيها يؤدي إلى تحقير الطفل وتحطيم شخصيته.

٤ ـ نعلم أن للنصيحة والتذكير تأثيراً مؤقتاً فلا تتصور الأم بأنها قد أدت ما عليها بنصيحة الطفل مرة احدة وانتهت عملية الإصلاح، بل عليها الإعادة والتكرار بشرط عدم الإفراط ورعاية الاعتدال.

٥ ـ لا تقيسوا الطفل بأقرانه أبداً عند تذكيره أو إسداء النصائح إليه فستخلق حالة من المقاومة والعناد في روحه ويثير عصبيته ويمكن أن يبعث على الكراهية والنفور وحتى العداء لأمه.

٦ ـ لا تسيئوا إلى أي من الأطفال عندما تتوسطون لفض النزاع والعراك بينهم ولا تميلوا إلى أي منهما ـ مثلاً تأخذوا جانب الصغير وتجرحوا شعور الأكبر ـ.

٧ ـ يمكن الاستفادة من لغة الأطفال واستدلالاتهم في مجال إصلاح الطفل وإسداء النصائح إليه، فلقد أثبتت التجارب تأثيرها الكبير، فمثلاً عندما يؤذي طفلٌ حيواناً معيناً يمكننا أن نستدلّ بأن ذلك يؤلمه كما تتألم، وسيكون تأثيره أوقع فيه مما لو نهيناه بخشونة عن فعلته.

٨ ـ لا تستمروا بالنصيحة والتذكير عندما تشعروا بقناعة الطفل وتأثره لأنه سيؤدي إلى شعوره باليأس والخيبة.

٩ ـ تكون النصيحة والتذكير أحياناً لوناً من النقد والاعتراض على أفعال الطفل. دلّت التحقيقات أنّ تأثيرها سيكون أوقع إذا حفظت شخصية الطفل وكرامته.

١٠ ـ تجب النصيحة والتذكير أحياناً قبل ارتكاب الفعل وإلاّ فستكون بعد القيام به أقل تأثيراً. من باب المثال إذا كانت الأم تنتظر مولوداً جديداً فعليها أن تهيىء الأجواء للطفل مسبقاً بنصائحها وتذكيراتها لاستقبال الوليد الجديد وتجعله ينتظره وتُفهّمه بأنه يتعلق به أيضاً، حيث تخفف هذه المسألة من شعوره بالحسد مما لو قامت به بعد الولادة.

النصائح التي لا وقع لها:

مثلما تكون النصيحة والتذكير في محَلّه ضرورية ومؤثرة في نفس الطفل وتؤدي دورها في صياغة الطفل وتكوينه، تكون النصائح التي ليست في محلها سبباً لفقدانه الثقة بالنفس وتحطم شخصيته وتبعث على تحقيره. يجب أن لا يكون إسداء النصائح بصورة مكرّرة ويومية ويجب التوقف عنها عندما تتكرّر أخطاء الطفل والبحث عن العوامل والأسباب التي أدّت إليه فسيكون له تأثير أكبر في إصلاحه من تكرارها وإعادتها.

الفصل الرابع

الأم.. وسرد القصص والحكايات

ستجذب الأم الطفل إليها بسرد القصص الجميلة والحكايات الشيقة، تتملّك القصص والحكايات الجذّابة حواسه وتسيطر على فكره بشكل ينسيْ معه لعبه ولهوه ليصغي إليها. وسيتحول كلّه إلى أذن صاغية ويستمع بشوق ولهفة عندما تقص الأم حكاياتها عليه ويغفل عن كل شيء حوله. وستخلق عنده روح متسامية عظيمة عندما تحشو حكاياتها وقصصها بالملاحظات والالتفاتات التي تقوي البنية الأخلاقية والإيمانية لديه.

تأثير القصة:

تتلاعب القصص بروح ونفس الإنسان وتأخذ محلها في قلبه ومشاعره ويبقى تأثيرها فاعلاً إلى الأبد. تسيطر على العواطف والأحاسيس وتجعل الطفل يعيش وكأنه أحد أبطالها.

تكتسب القصة هذا التأثير السحري لأن في الطفل روح التقليد والمحاكاة وحب البطولة فتسلب الشخصيات المثيرة في القصة منه الإرادة وتشده نحوها وسيسعى إلى محاكاتها ويتفاعل من جانب آخر ضمير الإنسان مع أحداث القصة وتسلسلها إلى درجة تتحول القصة لديه إلى واقع معاش وتترسخ في ذهنه.

والسبب الثالث في تأثير القصة هو أنها تعكس وبصورة غير مباشرة رغبات وميول الطفل وتهذبه وتقنعه بالاستماع إليها وسيجد الأسباب الباعثة على ترك أو الاستمرار في ميوله ورغباته.

فوائد القصة:

يمكن عن طريق القصة أن نربي روح ونفس الطفل ونمحو المتناقضات الموجودة في ذهنه. وترسيخ المفاهيم الإنسانية عن طريقها في عقله مثل العدالة، عشق الحقيقة، الإيمان، العقيدة، الاستقامة، حب الجمال، فضح الأعمال الشريرة، سقوط الإنسان وانحطاطه، تعاليه وتقدمه... الخ ونزرع الفضائل الأخلاقية بواسطتها فيه ونخلق فيه الإحساس المرهف بالأمور أو اللامبالاة اتجاهها. وتبّين القصص للإنسان نقاط ضعفه وقوته وتهيىء الأرضية للتمرّن عليها، تكسب التجارب، تجبر ضعفه وتقوي فيه الجوانب التي نتوخاها.

أضرار القصة:

تأخذ القصة أحياناً دوراً هداماً بدلاً من أن تكون للبناء، فلو ملأنا مثلاً ذهن الطفل بالخرافات التي لا أول لها ولا آخر وبدلاً من القضايا النافعة والمفيدة نلقي في عقله التفاهات ونصبغه بالفراغ فسنعلم بديهياً أيّ ضرر وسوء قد ألحقناه به، فعقل الطفل كنز ثمين فلا تودعوا فيه إلاّ ما غلا وعلت قيمته.

تؤثر القصص الخيالية إيجابياً في بناء الطفل ولكنها إذا تجاوزت الحدود المنطقية فستبعده عن الواقعية وسيتصور شخصياتها واقعية ويسعى ليتمثلها ويبحث عنها في الواقع وسينتهي عندها سعيه إلى الفراغ.

انتخاب القصة:

نظراً لأهمية القصة ودورها في حياة الطفل يجب على الأم أن تنتقي أفضلها وتقدمها إليه.

ولكن أية قصة ننتخب؟!

يرتبط هذا بنوع الأهداف التي تبغيها الأم من القصة.

لا شك أن قصص الجن، الغيلان، إنسان الغابة، والسحالى الرهيبة يجب أن تُرمى في سلة النفايات، ليس هدفنا أن لا وجود للجن والملائكة بل نقول انه يجب عدم انتقاء مثل هذه القصص للطفل لأنها لا تناسبه وتلقي الرعب في روعه وتقطع شهيته عن الطعام وتخلق عنده كابوساً يزامنه الأرق الدائم.

يجب أن ترسم القصص للطفل لوحات عن صراع الحق والباطل التي ينتصر الحق فيها غالباً أو على الأقل التي تزرع فيه روح الأمل والنشاط.

يجب على القصص أن تعرّف الطفل المكانة العالية والمقام السامي للإنسان وتبين له الأدب الإنساني التربوي وتعرض له الحقائق الخالدة والتي يُعبّر عنها بالسُنَن الإلهية وتلزمه اتباعها.

يجب على القصص أن تقوّي روح الإبداع عند الطفل، وتقتل في نفسه الأنانية وروح العداء والكراهية، تُعلّمه دروس الأخلاق وتهديه طريق الإنسانية.

ويجب على القصة أن لا تخلق عنده البلاهة والسذاجة ولا تعطيه صورة مشوهة عن الحياة والمجتمع الذي يعيش فيه.

فسرد القصص عن الشجاعة والإقدام أفضل للأطفال الجبناء وسرد القصص التي تهذب الطفل وتعلمه السلوك الصحيح للأطفال المنحرفين سلوكياً، وعلى أية حال يجب أن تناسب القصة المقام وتتوجه إلى الجوانب المتوخاة منها.

قص القصص والحكايات الحزينة لصغار الأطفال تصيبهم بالكآبة والملل وتخلق عندهم قساوة في القلب. يجب على القصة أن تقوي الثقة بالنفس في الطفل وتمنحه الطمأنينة والهدوء النفسي وتبعده عن اليأس وتحذره منه ولا تخدّره وتسرق عقله وذهنه بل تحيي عنده النشاط والحيوية وتكتسب طابعاً إرشادياً واعظاً ووازعاً.

يجب أنْ تقدّم القصة الأهداف الإنسانية والدينية ولا تخدم الشيطان ووسوسته.

ويجب أن تعلم الإنسان الحياة الشريفة والنزيهة لا الملوثة والفاسدة والموبوءة. وبالتالي إذا تناولت القصة الجوانب الملموسة ترسم على الأقل صوراً واقعية يمكن مشاهدتها على الواقع حيث تؤثر أفضل وأكثر في روح الطفل ونفسه.

أبطال القصة:

يجب أن يكون أبطال القصة التي تروى للطفل نزيهين وبعيدين عن أي نوع من الانحراف ويخلو سلوكهم من الخطل الذي يؤدي إلى سوء تربيته. واجتناب القصص التي يعلّم أبطالها الشخص التفاهة والفراغ ويسوقه نحو الانحراف أو لا يهتم بالإنسانية والشرف والأصالة ويخلق عنده أهدافاً وغايات لاإنسانية. تعتبر قصص الحيوان دائماً من أفضل القصص للطفل بشرط أن تعرض الأسوة والنموذج المطلوب.

نتائج القصة:

يجب أن تحتوي القصة على نتائج يتلخص فيها الهدف والغاية التربوية منها. مثلاً تُبيّن القصة أن الخيانة بذيئة ولها عواقب وخيمة وأن هناك جزاءً للأعمال يحيط بالشخص ولا مفرَّ منه. وتشرح القصة صراع الحق والباطل وانتصار الحق ولو انهزم لفترة ظاهرياً، وأنّ الباطل زهوق حتى لو تغلّب في الظاهر وبالتالي فإن نتيجة القصة يجب أن تُصاغ بصورة تقرّب إلى ذهن الطفل الحقائق والواقعيات بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

القصص المؤثرة:

تؤثر القصص القصيرة والمتنوعة في مضامينها والقابلة للمس والتحسس في ذهن الطفل أكثر من غيرها والتي تبين الأهداف بوضوح وجلاء لا التباس فيه. تستطيع أم أنْ تؤلف مثل هذه القصص وتحكيها، فليس من الضروري أن تكون جاهزة دائماً، ويشكل وقت النوم أفضل الأوقات لسرد القصة حينما يكون الطفل مستلقياً في فراشه فسوف تؤثر فيه أكثر وتعتبر نوعاً من الدغدغة والمناغاة لتنويمه.

الفصل الخامس

الأم ومعاقبة الطفل

الأسرة ومعاقبة الطفل:

ليست العقوبة الوسيلة الوحيدة لتربية الطفل ويمكن تربيته بدونها ولكن القليل من الأسر تنجح في ذلك حيث يستلزم الوصول إليها اطلاعاً ثقافياً واسعاً، فلا تستخدم الأسر المثقفة والواعية العقوبة عادةً، في حين لا يمكن لكثير من العوائل والأسر الاستمرار بالحياة والعيش بدونها.

منع العقوبة:

تمنع أكثر النظم التربوية الجديدة الاستفادة من العقوبة وتدّعي إمكان النجاح في عملية التربية وإصلاح سلوك الأطفال الأعوج بدونها. ظهر نتيجة لتلك النظرية جيل مغرور لا يعترف بالقيود ولديه شعور بالانطلاق ولا يقيم وزناً للأعراف. لذا لا تثمر التربية بدون المعاقبة والامتناع عنها إطلاقاً ولكننا نضيف انه كلّما كان المربي متيقظاً حازماً وحاذقاً كلّما كانت العقوبة عنده أقل. ويجب أن يسعى المربي إلى الامتناع عن المعاقبة الغير موزونة والتي تؤثر سلباً في تربية الطفل وإصلاحه.

الأم ومعاقبة الطفل:

ليس من المنطقي للأم التسامح والتغافل في التربية فالعطف ورقة القلب إذا تجاوزت حدودها وبولغ فيها فستُبعث على الإساءة لتربية الطفل، وليس معنى العقوبة من جانب آخر عدم إظهار المحبة والعطف عليه بل من الأفضل

للأم أن لا تتوسل بالضرب ولا تستخدم العقوبة كمبدأ في التربية. ويجب على الأم أن تنزع الخوف من الأب - مظهر الانضباط - في قلب الطفل وتتصرف بشكل تربي فيه الحياء العقلي والاحترام للأب. لا تخرج الأمومة في الواقع عن طورها لطبيعتها اللطيفة والعاطفية وتكون عادةً رحيمة بالطفل لأن العصبية تؤثر في تقليل اللبن وتؤدي إلى تغيير الوضع المزاجي للطفل. ويجب عليها أن تكتفي بأقل حد من المعاقبة إذا اضطرت إليها وتضمنها توضيح الأسباب والعوامل له. ويجب أن لا ننسى أن الطفل بحاجة إلى درجة من الفوضوية واللاإنضباط فلا نجري عليه كل الضوابط بصرامة شديدة. ونمنع الخطأ قبل وقوعه فلا ننتظر منه ارتكاب الخطأ لننتقم منه، فعندما يقع الخطأ فما فائدة التدابير؟!

ويستحسن أن تقوم معاقبة الطفل على أساس مصلحته ولكن مع رعاية الاحتياط والمواساة وحب الخير له.

فوائد المعاقبة:

إذا نظرنا إلى المعاقبة بمفهومها الدارج اليوم سنرى أن لها تأثيراً وقتياً، بمعنى أنها رادعة عن الخطأ لفترة زمنية معينة ولموضوع معين ولا تقوّم العمل على المدى البعيد، فعندما يزول الخوف سيتكرر الخطأ نفسه. ولكن إذا نظرنا إلى المعاقبة بمفهومها التربوي والعلمي فإن لها دور البناء والإصلاح. فليس من الضروري في هذه الحالة أن تأخذ شكل الضرب أو الشتم فيكفي أحياناً السكوت وأخرى النظرات ذات المعنى لتعطي معنىً أبلغ حتى من الضرب الموجع.

أضرار المعاقبة:

تؤثر المعاقبة سلباً على علاقة الطفل بأمه وتزلزل مكانتها واعتبارها في قلبه، ويتنفر منها بسبب المعاقبة أحياناً وتولّد عنده الشعور باليأس وبالأخص عندما يشعر بالمظلومية وخطأ الأم في معاقبته، فسيُسيء الظن في هذه الحالة بالجميع ويشعر بأنها عدوة له يجب الاحتراز منه. وتؤدي المعاقبة في بعض الأحيان إلى ثورة الطفل ومقاومته لأمه بالأخص عند شعوره بالإهانة أثناء معاقبته أمام زملائه.

مواقع المعاقبة:

لا تستوجب المعاقبة كل الأخطاء والاشتباهات، ولا تجب عليه ردود الفعل السريعة لما يرتكبه الطفل من أخطاء. فمثلاً لا نُعاقبه إذا سقط قدحٌ من يده وانكسر أو نقيم الدنيا ولا نقعدها لذلك لأنه قد يصدر مثل هذا الاشتباه من الأم أيضاً ويجب مراعاة الحالة أعلاه أي عدم معاقبته عندما تسقط من يده أشياءٌ ثمينة وتتحطّم وبالأخص عندما لا يعرف مدى قيمتها أو لم يكن مقصراً في سقوطها. وتجوز معاقبته عندما يرتكب الخطأ عن عمدٍ عارفاً ما تنتظره من العقوبة أو إذا أصاب الآخرين بأضرار جسمية أو روحية بسبب اللامبالاة أو حينما يرتكب المعاصي الكبيرة مع علمه المسبق بها.

مراحل ما قبل العقوبة:

لا يستحق كل خطأ يقوم به الطفل المعاقبة الفورية بل تصبح المعاقبة ضرورية عندما لا يجدي استعمال الوسائل التربوية السالفة نفعاً.

فمن باب المثال ننتقد الطفل أولاً قبل معاقبته على عمل معين، انتقاداً ينبهه على خطئه وتجب بعدها النصيحة والإرشاد عندما يكرر الخطأ، فإذا عاد إليه مرة أخرى فنستعمل النصيحة والتخويف والوعيد وبعدها ننذره إنذاراً شديداً فإن لم تُجدِ جميعها نقوم عندئذٍ بمعاقبته، لذا يكون استخدام المعاقبة بعد أن تقطع جميع السُبل التربوية على المربي ولا يَجِدُ أية وسيلة مُجدية لإصلاح الطفل.

أنواع المعاقبة:

يمكن للمعاقبة أن تكون جسمية أو نفسية، فالاستهزاء، التحقير، السب والشتم، الإهانة واللوم، كلها من العقوبات النفسية التي ليست في صالح الطفل حسبَ رأي علماء التربية. ولو أنّ أغلب الأطفال لا يعتبرون الضرب عملاً شهماً ولا مناسباً ولكن ضرب الطفل على مؤخرته يعتبر أقل أنواع العقوبات ضرراً بشرط أن لا تؤدي إلى الديّة.

العقوبة المضاعفة:

يخطىء المربون عندما يقومون بالمعاقبة المضاعفة، بمعنى أنهم بالإضافة

إلى الضرب يشتمون، يهينون، يستهزؤون، يرعبون، يتوعّدون ويستعملون الكلمات الركيكة والنابية.

فقول جملة: هل أنت أعمى؟ أبكم؟ هل بعثت من القبر؟ مالك من أي غابة جئت؟ و. . .الخ تشكل لوحدها معاقبة شديدة وتحرك حس الانتقام عند الطفل فيجب أن لا نرفقه بالضرب أيضاً وعلى رؤوس الأشهاد.

تؤدي هذه الأنواع من المعاقبة إلى سوء تربية الطفل وتحيي عنده روح العداء والتجاوز وتجعله لا يرضى ولا يقتنع بحظه في الكبر ويصبح شريراً.

ملاحظات في سوء التربية:

طرحنا خلال البحث بعض المسائل عن المعاقبة ونضيف هنا ما يلي:

١ ـ يجب أن نفرّق بين النظام داخل البيت وخارجه، فلا يمكن للأم أن تكون شرطياً في بيتها، لأنها في نفس الوقت الذي تريد السيطرة والتحكم في طفلها عليها أن تدرك أن الطفل بحاجة إلى نوع من الحرية، فلا تسمح لنفسها باستخدام العقوبة للسيطرة على حريات الطفل.

٢ ـ لا بد من تحمّل التصرفات غير المتوقعة للطفل، ولا تتصوروا أن أخطاء الطفل ذنوب لا تغتفر وتستحق المعاقبة بل تعاملوا معه بشيءٍ من التغافل وغض الطرف والتسامح.

٣ ـ لا يجوز ترويع الطفل عند العقوبة فذلك يخالف الأسس التربوية الصحيحة ويلحق به مستقبلاً أضراراً لا يُحمد عقباها. فتجب الدقة والحذر الشديدين وبالأخص منذ العام الثالث من عمره.

٣ ـ يجب عند المعاقبة ذم العمل السيء للطفل، وليدرك انه تعرّض للّوم لما ارتكبه من الخطأ.

٥ ـ يجب أن لا تؤدي المعاقبة إلى سوء التربية فاستخدام كلمات السب والشتم وبذاءة اللسان تبعث على يأس الطفل من الحياة.

٦ ـ إما أن لا نعاقب أو إذا عاقبنا فيجب أن لا يكون سطحياً وعشوائياً

بل أساسياً وعميقاً (ليس بمعنى الشدة والقسوة والانتقام وإنما وفق الخطة والبرنامج التربوي).

٧ ـ تجب مراعاة حال الطفل من القوة والضعف لدى معاقبته.

٨ ـ لا بد أن تكون العقوبة على مقدار الذنب، فلا تصح العقوبة الشديدة لخطأ صغير والعكس ليس صحيحاً أيضاً.

٩ ـ عدم المبالغة والإفراط في المعاقبة لأنها تؤدي إلى زعزعة حب العدالة عند الطفل.

١٠ ـ تجنبوا الأحاسيس لدى ممارسة العقوبة ولا تفكروا بمحاكاة الآخرين.

١١ ـ تجنبوا القسوة والوحشية لدى معاقبة الطفل، فليس من الإنسانية الضرب، العض والقرص في آن واحد.

١٢ ـ يجب أن تكون العقوبة بشكل لا نضطر بعدها إلى تدليل الطفل.

١٣ ـ عليكم بالمعاقبة في حينها وعندما تكون القضية ساخنة فإذا انقضى أجلها فالأفضل أن لا نعاقب.

١٤ ـ من الضروري السيطرة على الأعصاب في كل حال فلا تمارسوا العقوبة عند فقدها لأن ذلك قد يؤدي إلى ما يندم عليه.

١٥ ـ يجب أن تقوم حياة الطفل بين الخوف والرجاء. تثقل فيها كفّة الرجاء فلا تكفي العقوبة لوحدها بل لا بد أن يكافأ الطفل على أعماله الإيجابية أيضاً.

١٦ ـ لا تجبروا الطفل على الاعتذار إليكم والنيل من كبريائه بعد معاقبته وجرح مشاعره. مثلاً تفرضوا عليه تقبيل أيديكم أو لفظ كلمات معينة وغير ذلك.

القسم الحادي عشر

الأدوار الثانوية للأم

أشرنا إلى أن عمل الأم لا يتلخص بالحمل، الولادة، الرضاع، ومنح العواطف بل عليها بالإضافة إلى ذلك واجبات أخرى لا يمكن أن نقول انها أوّلية. فعندما يفقد الطفل أباه لسبب ما، ويقصر المعلم في تربيته وإصلاحه أو يُحرم من الاختلاط مع أقرانه والمجتمع حوله، ستتحمل الأم واجبات أخرى والتي نسميها الأدوار الثانوية.

تقع المسؤولية الأخرى من هذا النوع على عاتق الأم هي تعليم الطفل العمل وتقبل المسؤوليات فعندما يغفل الأب عن تعليمه هذه الأمور أو يقصر فيها يجب أن تقوم الأم بذلك كاملاً أو تكمّل ما كان ناقصاً منها.

سنسعى في هذا القسم إلى شرح هذه المسؤوليات والأدوار ومهمة الأم فيها.

الفصل الأول

الأم في دور الأب

يطلق على الطفل الذي يفقد أبويه أو أحدهما كما هو معروف لفظة يتيم. ولكن ليس ذلك يتيماً فقط من وجهة نظر العلم وإنما أي طفل يفقد حنان أبويه واهتمامهما به ويحرم الاتصال المستمر بهما يكون يتيماً أيضاً.

فسيكون يتيماً على هذا الأساس أي طفل لديه أم أو أب لاإباليان، فاسدان، مشغولان ولاهيان، ويصبح أولاد الأمهات أو الآباء الذين لا يجدون فرصة للاهتمام بشؤون أطفالهم يتامى، فالطفل الذي لا يرى أباه صباحاً ومساءً لأنه يذهب مبكراً لعمله ويعود متأخراً أو الطفل الذي انفصل أبواه ولا يسألون عنه فإنه يعتبر يتيماً ويشعر الطفل اليتيم لأي سبب كان بالغربة والعذاب ويكون مضطرباً وكئيباً ويبرز آلامه وما يختلج في صدره على شكل عناد وانزواء ولجاجة.

مسؤولية الأم الصعبة:

تكبر مسؤولية الأم وتصبح صعبة ومعقدة في مقابل الطفل اليتيم. وتستطيع أن تنقذه من محنته وتخلصه من المشاكل، وستعظم همومه وآلامه عندما تجعله يتعذب منها أيضاً. تتحمل الأم في هذه الحالة نوعين من المسؤوليات، يتعلق القسم الأول بها كأم وقدوة ومثال للمحبة والعاطفة، ويشمل القسم الثاني مسؤوليات الأبوة في جوانب الانضباط التربوي وجدية الأوامر والنواهي. يعتبر تركيب العاطفة والانضباط والتوالف بينهما مهمّة

معقدة ودقيقة. وسيكون لها طبقاً لذلك شخصيتان متفاوتتان في مقابل الطفل وستحتاج إلى جهد عظيم لمزج الشخصيتين في شخصية واحدة.

فقدان الأب:

لا شك أن أي طفل سيحزن ويتألم لموت أبيه وفقده ولكن السؤال هو ماذا ستفعل الأم عند ذلك وكيف ستخبر الطفل بموت أبيه؟

تختلف الآراء والطرق العملية في ذلك حيث يطرح بعضهم موضوع سفر الأب، والآخر ذهابه إلى المستشفى و... من هذا القبيل تستطيع الأم أن تطرح موضوع موت الأب بصراحة للأطفال الذين تجاوزوا السابعة من العمر مع التأكيد له بأنها ستسعى لتربيته وسوف لا تدخر جهداً لذلك حتى يكبر ويقف على قدميه. فإن اختلاق المعاذير والتبرير للطفل عند موت أبيه سيبعث على أن يفقد ثقته بأمه ويتصور الموت غولاً رهيباً في ذهنه وسيعتقد أن أمّه كذّابة ومراوغة. فيجب أن يعلم الطفل في هذا العمر ما هو الموت وما هي الحياة؟

يكون إدراك قضية الموت للأطفال دون السابعة مسألة مستعصية ولكن عاطفة الأم وحنانها سيملآن الفراغ الناشىء عن موت الأب بسهولة ويسر مما يجعله يتحمل المصيبة.

تقوية معنويات الطفل:

تقع على عاتق الأم مسؤولية مهمّة أخرىٰ بحق الطفل وهي تقوية معنوياته وشحنه بالأمل وتوجهه بأنه قد كبر ويستطيع بمساعدتها أن يدير شؤونه ويقوم بواجباته.

يمكن للأم تسكين اضطراب قلب الطفل بصبرها وجلدها وتزيل خوفه وتطمئنه بحمايتها له وتعلمه بتصرفاتها دروس الصبر وتلقنه الصلابة والاستقامة، وستقوي معنوياته بمواساتها له وستشحن بالأمل. يجب على الأم بعد وفاة زوجها أن تعرّف الطفل على أقاربه الرجال أمثال أخواله وأعمامه وتُهيّء المجال لاتصاله المستمر بهم وتخلق جواً عادياً وفرحاً يبعث على الاطمئنان.

الامتناع عن الإفراط في المحبة:

يحتاج الطفل في الوقت ذاته إلى المحبة والعاطفة كما يحتاج إلى القواعد والمقررات لتكون الأساس للسيطرة والتحكم به والتي كان الأب سينفذها ويطبقها عندما كان على قيد الحياة فيجب الآن، وقد فُقِدَ على الأم أن تقوم بدوره، وعليها أن تعلم جيداً أن الإفراط في المحبة يُفلت زمام الأمور من يدها ويهيء الأجواء لجرّ الطفل نحو الانفراط واللاإنضباط.

تنفيذ البرامج الانضباطية:

يشعر الطفل الذي فقد أباه بالتحرر من القيود ويسعى إلى إلقاء مسؤولياته وواجباته جانباً. فسينفرط الطفل ويتحلل إذا لم تنفذ الأم البرامج الانضباطية للسيطرة عليه.

يستلزم تنفيذ البرامج الانضباطية الدقة والموازنة فالتصعب الحاد أو السلاسة فيها سيجعل التقدم في عملية التربية للوصول إلى الهدف صعباً بل مستحيلاً. ويمكن أن يؤدي إلى خلق روح العناد والتصلّب عند الطفل في مقابل الأم أو سينجم عنها تكوّن روح اللامبالاة وعدم الاعتناء لديه. لا بأس بالاستدلال وبيان العلل عند تنفيذ البرامج الانضباطية ولكن لا ضرورة لذلك دائماً فليس منطقياً منع الطفل بالاستدلال وبيان الأسباب عندما يقوم بعمل تحفّه المخاطر فسيعود عليه بالضرر الفادح بل المنطقي والعملي هو احتضانه وحمله بعيداً عن منطقة الخطر.

يمكن أن تحل الأم محل الأب وتلعب دوره كمثال وأسوة للانضباط ولكن عليها أن لا تغفل عند تنفيذ البرامج الانضباطية عن المشاعر والعواطف المرهفة له.

فلا بأس بتحديده وتقييده ولكن ليس إلى درجة تجرح فيها مشاعره وعليها أن لا تحقّره وتستصغره ولا تسمح لنفسها بالضحك والاستهزاء به عند تطبيق البرامج الانضباطية فلا يتوقع الطفل منها ذلك. ويجب الامتناع عن العصبية المفرطة حين معاقبته، لا نعني التساهل معه طبعاً. فيرفض علم التربية المهادنة وعدم الانتقاد في التربية فيجب تنفيذ البرامج التربوية والقواعد ولا تقع تحت تأثير عواطف الأمومة ورأفتها وتشجع على العمل الإيجابي وتنهي عن

السلبيات ولا تنسى في نفس الوقت أن تغض الطرف عن بعض الخطلات والأخطاء وبالأخص عندما تكون خطأته الأولى.

تعيين الوظائف والمسؤوليات:

تعيين واجبات ومسؤوليات الطفل يعتبر من أهم مسؤوليات الأم بالنسبة إليه بعد وفاة والده. فيجب أن تحدد وتعين مسؤوليته في البيت وتطالبه بالقيام بها بطريقة مقبولة ومستساغة إليه لينفذها باعتزاز وشوق، ولا شك فإن تشجيعه عليها سيترك آثاره الإيجابية عليه.

التحكم في تنفيذ المسؤوليات:

يعتبر مراجعة الواجبات المدرسية للطفل من مسؤوليات الأم، حيث تستمر على ذلك للفترة التي لا يشعر فيها الطفل بوظائفه فلا ضرورة للتدخل فيها عندما يبدأ بالاهتمام بواجباته ويقوم بها.

استقلالية الطفل:

ليس صحيحاً ولا منطقياً المحدوديات والقيود الشديدة والغير محسوبة عند تطبيق البرامج الانضباطية لأنها ستؤدي إلى تحطيم شخصية الطفل، ولكن الحدود والقيود القائمة على أساس التعاليم الدينية ستكون إيجابية وبنّاءة. فلا بأس باحترام استقلالية الطفل ونزعته إليها ما دامت لا تؤثر سلباً عليه أو على الآخرين ولا تنفي القواعد الانضباطية، وذلك ما يجب أن يراعى حين تفويض المسؤوليات إليه، يجب على الأم أن تفوّض إليه المسؤوليات وتمنحه الحرية الكافية للقيام بها ولا تحدده إلاّ حينما تُحيط الأخطار به أو بمن حوله. ويجب احترام هذه الحرية والاستقلالية حتى في مسألة مصروفه الجيبي وكيفية صرفه فلا تأمر ولا تمنع ولكن توجهه وتعلّمه وتراقبه في كيفية التصرف بنقوده.

الفصل الثاني

دور الأم كمعلمة

يكمُن سر نجاح المعلم في إدارة الصف وتربية الطفل في التعرف عليه وتشخيص أحاسيسه وعواطفه وفهم ميوله وأفكاره ورؤاه. ليس المراد من ذلك أن يطابق المعلم نفسه عليه وإنما جذبه وهدايته إلى سواء السبيل. فيجب على الأم أن تتحدث بلغته، وتوافقه في تفكيره، وتتملك عقله وقلبه وتستصحبه معها. لا يمكن لأي معلم أن يقوم بهذا ولذلك يفرّ كثير من الأطفال من المعلم والمدرسة منذ أوّل يوم لدراستهم.

وعندما يُسأل الأطفال عن الأسباب التي دعت إلى فرارهم من المدرسة، يعلّلون ذلك وبلغتهم الطفولية إلى عدم الاهتمام بميولهم وأذواقهم الذاتية وليس إلى عدم صلاحية التدريس في المدارس. فليس مهماً للطفل سعة اطلاع المعلم على مختلف العلوم وخاصة في سنين دراسته الأولى بل المهم هو بأي وسيلة أخلاقية يستطيع المعلم أن يكسبه ويجعله يميل إليه ويحبه، نلاحظ على أية حال أن هناك أطفالاً يفرّون من المعلم والمدرسة ولا يستقرون في مقاعد دراستهم ولا يحبون حتى رؤيته.

الأم كمعلمة:

تعتبر الأم معلماً قيماً يتميز بطريقته وأسلوبه الخاص الذي يختلف عن أساليب باقي المعلمين وإنْ لم تستطع بيانه أو تدوينه على الورق. فتعبّد وتسهّل معرفتُها لشخصية الطفل الممزوجة بالعاطفة وحنان الأمومة طريق النجاح والموفقية الدراسية له.

فستكون أفضل معلم له إذا تصرفت بدقة وبصبر وتغلبت على عواطفها وأحاسيسها، تستطيع أن تعلمه ما لا يمكن للمعلم أن يعلمه إيّاه. يمكننا أن نقول في الحقيقة أنّ الأم المثالية أفضل من مائة معلم.

تستمع الأم وتصغي بدقة وتأمل إلى ما يقوله الطفل ويعانيه، فتهتم بمشاكله وتبحث عن الدواعي والأسباب لهروبه من المدرسة وتقوم بحلها وإزالة أسبابها أو على الأقل تقلّل من آثارها وتستطيع بالتالي أن تحبب إليه المدرسة والكتاب والمعلم وتعبّد طريق حياته.

أسباب تأثير الأم في الطفل:

نشير أولاً إلى أنه تستطيع أية أم أنْ تؤثر في تعليم الطفل بدقة وتحلّ محل المعلّم، وقد تنجح الأمهات في القيام بدور المعلّم لأطفالهن عندما يتوفّر فيهنّ ثلاثة شروط:

١ ـ الاطلاع والاستعداد الكافي لبرامج التدريس.

٢ ـ تعرف طفلها جيداً أفكاره وذهنياته، تصوراته، توقعاته، وميوله.

٣ ـ تسعى حقيقياً إلى توفير السعادة للطفل، تحبه وتعطف عليه، وتعتبره جزءاً من وجودها وحياتها، وعندما يصدر منه خطأً ما تتعامل معه كمريض وتشرع بعلاجه.

تنبعث من تركيب الخصال الثلاثة أعلاه القدرة على كسب الطفل وترويضه ليهتدي ويتأدب في النهاية بتأثيرها.

حضن الأم ودوره البنّاء:

تعتبر أحضان الأم مجالاً يستأنس به الطفل ومحيطاً مناسباً لبنائه، فالمتانة والليونة، والمحبة والعاطفة، ومحاكاة الطفل في أفكاره ولغته للأم، يشكل الأرضية المناسبة لأي نوع من التغيير والتحول في الطفل ويشجعه على اعتناق أفكارها ويتعلق بها.

تحرك الأم المثالية عواطف طفلها وتكسب ثقته بها مما يشكل جواً مناسباً لتعليم الطفل، حيث يشعر الطفل بأن أفكاره ونظرياته محترمة عندما تصغي

الأم لكلامه وحديثه بعناية. يعتبر تشجيع الطفل ورعاية عزّة نفسه من العوامل المؤثرة في التربية والإصلاح وتوجهه إلى الجهة التي نتوخاها.

تمتلك الأم لذلك السُبل المؤثرة في التربية مما يجعلها تطمئن بنجاحها في عملها خلافاً للمعلم. فقد اكتسبت تجارب سنين طويلة عن طفلها وتستطيع بخبرتها واطلاعها عنه أن تنتزع من لسانه ما تريد وتلقنه ما تبغي وتلقي في ذهنه ما تفكر فيه بشكل تجعله يفكر كما تفكر.

تستطيع الأم الواعية أن تحصل على رضىٰ الطفل أكثر من المعلّم وتهديه لانتخاب طريقه في الحياة وعندما يتعلل في واجباته المدرسية فإنها قادرة على أن تجرّه إليها وتغيّر نظرياته كمعلمة واعية مجرّبة وتنقذه من الضياع والتحلل.

الهاربون من المدارس:

يحدثنا التاريخ عن كثير من الأطفال الذين قبلوا في المدارس أو الذين هربوا منها الذين كان يجب أن نتصور مصيرهم كمصير غيرهم من الأميين ولكن بعضهم قد وجد نفسه ثانية تحت رعاية أمهات مثقفات وخلقت منهم شخصيات تاريخية وعلمية على صعيد عالمي. فيمكن أن يحتضن المجتمع الهاربين من رحاب المدارس بشرط أن يكون لهم أمهات ترعاهم وترسمن لهم مدارج النجاح والموفقية ليتدرجوا فيها.

دور الإرشاد:

يتذرع بعض الأطفال في سني دراستهم بأسباب وأعذار واهية كي لا يقوموا بواجباتهم أو تكاليفهم المدرسية أو يقوموا بها ناقصة وبشكل غير مطلوب، ليفروا من معاقبة المعلّم بعدها يتذرعوا بأمور لكي يهربوا من المعلم والمدرسة. تقوم بعض الأمهات ولعلاج هذا الداء بكتابة واجباتهم المدرسية وأداء تكاليفهم حيث يعتبر عمل الأمهات ذلك من الأساليب المغلوطة في علم التربية، فماذا سيكون مستقبل مثل هؤلاء الأطفال؟ فهل ان الأم ستكون في قاعة الامتحان بدل الطفل؟ وهل سيتعلم مثل هذا الطفل شيئاً؟!

يجب على الأم إذا أرادت أن تساعد طفلها حقاً أن تقف على رأسه، تُرشده وتهديه وتشجعه كي يقوم هو بأداء واجباته المدرسية، وتقف إلى جانبه

عندما لا يقدر على عمل ما وتساعده ولا تحلُ محله، تعلّمه ما يجهل، تمسك يده ليكتب واجباته كأقصى مساعدة تقدمها له.

تصعّب المعلم:

يُسبب الأسلوب الاستبدادي لبعض المعلمين هروب الأطفال من المدرسة، حيث يفرضون الواجبات الصعبة ويقومون بالعقوبات الجماعية ويغرمون الأطفال ضرائب ثقيلة. فمثلاً يجبرون الطفل على كتابة صفحتين من الكتاب عشر مرات أو كتابة من الواحد للألف عشر مرات... والخ لا يفكرون كم سيستغرق ذلك من الوقت وكم سيتطلب من الورق وهل تستطيع أيدي الطفل الناعمة القيام بذلك؟!

يجب على الأم في هذه الحالة أن تكون حامية للطفل ومدافعة عنه لا عاملاً لتثبيطه. فلا شك أنه لا يستطيع أن يفرض كلامه المنطقي على المعلم ولا يجد مفراً منه. وسيشعر بالضياع إن لم تقم الأم بحمايته أو إذا أجبرته على القيام بواجباته العقوبية. وستثبط عزائمه وييأس من الدراسة والحياة، فيجب عليها تهدئته ومواساته بأن عمله كثير وعليه أن يكتب ما في وسعه ويترك الباقي وستذهب هي باكراً إلى المعلم وتكلّمه في ذلك.

الواجب التعليمي:

يجب على الأم التي تقوم بالواجب التعليمي للطفل بأن تنزع عنها إلى حد ما ثوب الأمومة ورقتها وعاطفتها وتتخذ أسلوباً انضباطياً وحالةً جدّية. وفي نفس الوقت عليها أن لا تعطي الأوامر والواجبات بصورة التهديد والوعيد والمعاقبة الإفراطية. وتسعى على أية حال أن تلاحظ طاقات الطفل وقدراته وتطالبه بصبر وأناة القيام بواجباته.

الفصل الثالث

دور الأم كأقران الطفل

يميل الطفل في مراحل نموه إلى إبراز نفسه واختبار قدراته وممارستها. ويحبُّ في جميع مراحله أن يغتنم الفرص ليختبر نفسه يزهو بكفاءاته في حال نجاحه ويقوي في نفسه الثقة والإقدام ويجبر نقاط ضعفه ويعالجها عند ظهورها. لا يمكن التعبير عن هذه الحالة بالكلمات ولكنها أحاسيس تتفاعل في عقل الطفل وضميره.

الحاجة إلى الأتراب:

يهيىء محيط الأتراب أفضل الأجواء التي يمكن للطفل فيها اختبار نفسه وتقييم قدراته وإمكاناته. يلعب مع هذه الفئة ويُطفىء من خلال الضحك، والقفز، والركض، والثرثرة، نار عطشه الروحي والنفسي ويجد ثانياً المجال المناسب لصرف طاقته الإضافية والتي تنتج من العمل المنظم لأجهزة بدنه الداخلية وثالثاً يقوم باختبار وتقييم نفسه ويعطي لرشده ونموه زخماً وتألقاً وسرعة.

يحتاج الأطفال في جميع أدوار حياتهم إلى فئة من الأتراب تشكل المجتمع الخاص بهم. تبرز هذه الحاجة عندهم بصورة تدريجية في المرحلة من سنةٍ إلى ثلاث سنوات.

يتلذذ الطفل بمشاهدة لعب الآخرين ومحاكاة حركاتهم ويودّ أن يكون بينهم.

ضرورة الأقران لنمو الطفل:

تغذي الحياة بجانب الأطفال والأفراد في نفس مستواه العقلي والثقافي الحاجة النفسية للطفل وتكون ضرورية لنموه البدني، النفسي والاجتماعي، ويوفّق الطفل عن طريق الاشتراك في نشاطاتهم لفهم العلاقات الاجتماعية ويتعلم مفاهيم مثل التعاون، التكاتف، الدفاع عن الحقوق، التخطيط، البرمجة، الدفاع، الهجوم، النصر والهزيمة و. . .الخ.

نعلم من الناحية البدنية ضرورة الركض والحركة في تقوية العضلات وضرورتها لحفظ التوازن والتعادل الجسمي للطفل. ويجد من جانب آخر الفرصة المناسبة لإظهار وتفريغ حالاته العصبية والإحساسية مما يسبب شعوره بالرضىٰ والهدوء النفسي. يكون الطفل في الواقع محتاجاً للّعب مع أقران أقوياء ويتلذذ بذلك وسيخلق عنده النظرة الواقعية للحياة.

والخلاصة سينضج الطفل اجتماعياً وجسمياً أسرع عندما يكون بين أقرانه وأترابه ولا يمكن للأم مهما كانت واعية ومثقفة وأعمالها محسوبة حساباً دقيقاً وموفقةً في التربية أن تملأ فراغ الأقران وتؤدي دورهم. وستعلم على هذا الأساس ان اضطرت يوماً أن تلعب دورهم مدى المصاعب والمشاكل التي ستواجهها.

الأم وانتخاب الأقران:

يكون تأثير فئة الأقران والأصدقاء وروحهم الاجتماعية في الطفل بنّاءً وإيجابياً ويمكن أحياناً أن يلعب دوراً هدّاماً في حياته ولذا فعلى الأم أن تساعده في انتقاء أصدقائه وتتدخل بصورة غير مباشرة في انتخابهم. فما أكثر الأطفال الذين يجرون الطفل بصحبتهم نحو الفساد والضياع ولا يكون نتيجة معرفتهم إلاّ التعاسة والبؤس والشقاء.

فيجب على الأم أن تمنع من هذه الصداقات. وتدعو أصدقاءه إلى المنزل من أجل التعرف عليهم وانتخاب الأفضل منهم، والاتصال بهم ومراقبتهم وإصلاح سلوكهم وتصرفاتهم، ولو أن هذه العملية تستلزم صرفاً للوقت والجهد المضاعفين ولكن الفوائد التي تعود منها تَرَجَح علىٰ المصاعب وما تصرفه من وقت وجهد فيها.

الأم في دور الأقران:

عندما لا ترغب الأم أن يتصل الطفل ويتجانس مع المحيط الذي ليس له فيه صديق، أو المحيط الملوث والموبوء ولا تراه في مصلحة تربيته، فسيكون الطفل محروماً ويحتاج إلى العون والمساعدة أكثر، وتصبح مهمة الأم في مثل هذه الأوضاع صعبة ومعقدة وبالأخص إذا لم يكن في المنزل طفل آخر يلعب ويلهو معه، فعليها أن تملأ هذا الفراغ وتحل محل الأصدقاء. وكما ذكرنا سابقاً يحتاج الطفل إلى مقايسة نفسه بالآخرين ليمكنه عن هذا الطريق تقييمها والتعرف عليها. فمن واجب الأم أن تلعب دور الطفل أحياناً وتكون إلى جانبه لبعض الوقت، تلعب معه وتقص له القصص وتملأ الفراغ حوله وتجعله يشعر بالرضىٰ.

ولعلّ ذلك هو السرّ في بعض وصايا الإسلام للوالدين في أن يتصابا عند اللعب مع أطفالهم[1].

الفوائد من تصابي الأم:

تقدم الأم في تصابيها ولعبها مع الطفل فوائد عظيمة إليه ذلك لأن الأم سوف تلعب معه بهدفية وبعقل وتفكير. وتستطيع أن تجعل ألعاب الطفل ونشاطاته هادفة وموجّهة، توازن عنده الروح العدائية وتهذبها، تعطي لمساعيه معنى وتجعلها مفيدة، وتبعث على أن يفهم الحياة بصورة أفضل بل ويكتشف بعض الأشياء، تستطيع الأم من جانب آخر أن تمنح الهدفية لألعابة أن تقطع جذور الانحراف عنده وتذوّب النزعات الشيطانية في نفسه.

الأضرار من تصابي الأم:

لا تستطيع الأم ومهما تكن حاذقة وبأيّ درجة تتصابى فيها أن تقوم بدور الطفل بصورة كاملة ذلك لأن مسألة العمر موضوع له أهمية كبيرة في التربية، انها ومهما هبطت في مستواها الفكري والسلوكي ففي النهاية لا

---

(١) **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾** القرآن.

يمكن لها أن تصبح طفلاً. وحتى إذا وفّقت إلى ذلك فإن حجمها وتقاسيم وجهها ليست طفولية ولا تقنع الطفل. ومن جانب آخر فإن الأم شخص واحد وهو يحتاج إلى شخصيات متنوعة بعاداتها وتصرفاتها ولهجاتها لُيشبع نَهَم حُب الاستطلاع لديه، ولذا سيضطر الطفل الذي يعيش مع أمه فقط على هذا الأساس إلى أن يترك أخلاقه الطفولية ويتكابر وسيؤدي ذلك إلى أضرارٍ أخرى.

واجب الأم للقيام بهذا الدور:

تضطر الأم في مثل هذا الوضع الصعب والحساس أن تسلك أسلوباً يرضي بعض مطاليب الطفل وتجعله يبرز انفعالاته وإحساساته، عليها أن تبحث عن ما يحبّه وما عنده من الرغبات والأماني وماذا سينتج من ألعابه، وما هي الألعاب التي يحبها، وما هو السلوك الأفضل الذي يبعث فيه النشاط والحيوية، و. . . الخ.

على الأم أن تتجنب في اللعب مع الطفل أن تكون هي الفائز الوحيد دائماً وتسعى ليفوز هو أحياناً عليها كي يتذوق طعم النصر. وتأخذ بنظر الاعتبار مستواه الفكري وسطح فهمه في الكلمات والاصطلاحات التي تستعملها. لأن استنتاجاتها من المسائل مهمة له. وبعبارة أخرى يجب أن تعيش عالَمه وتفكر بعقله وتفكيره. تتفاوت ألعاب الأطفال بتفاوت أعمارهم فمثلاً لعبة إخفاء الوجه بمنديل أو باليد بصورة متناوبة تكون ممتعة جداً للطفل في سنته الثانية وسيفهم منها أن بإمكانه إزالة المنديل، وعلى أية حال فإن نجاحه ورضاه مهم لحياته وليس رغبة الأم ووجهة نظرها الخاصة.

الفصل الرابع

الأم وتعليم الطفل تحمل المسؤولية

تكون التربية في دور الطفولة كبذرة زرعت في أرض متناسبة نبتت وتعمقت جذورها واستوى سوقها فسيقوىٰ ويستقيم كل أساس وضعت لبناته في مراحل الطفولة إلى الأبد إلاّ إذا زعزعته أعاصير الحوادث وهزّته الزلازل.

ضرورة تفويض المسؤولية للطفل:

من المسائل التي يجب وضع لبناتها الأولى في مرحلة الطفولة هي العمل وروح تحمّل المسؤولية في الطفل. فالعمل والمسؤولية هما أساس الحياة الشريفة للبشر. يُربّى هذا الجانب فيه على أساس أنه جزء يرتبط بالأسرة وفي الوقت الذي يتمتع بشخصية مستقلة وسيضطر إلى تحمل مسؤولياته من النجاح والإحباط في الحياة، فيجب أن يتعود على العمل ويكون صلباً لا يتزعزع في تحمل المسؤولية بشكل يصبح ذلك عنده في السنين ١٣ ـ ١٤ ملكة وعادة ثانوية.

ويجب على الأم بكونها المسؤول الأول في هذه القضية أن تشحن فيه هذه الروح المعنوية وتفوض إليه الأعمال وتعطيه المسؤوليات التي تناسبه وتشركه في النشاطات الأسرية كي لا يستصعب المشاكل التي تواجهَهُ في المستقبل، وتنقذه من حالة الاسترخاء والدلال والميوعة.

يجب التدرّب على المسؤولية:

يفتح الطفل عينيه على الحياة ويضع قدمه فيها ولديه الإحساس بتحمل

المسؤولية، ليس بمفهومها المادي على الأقل. فيجب أن يتدرب على ممارستها، وسيشعر بها أثناء نموه عن طريق مشاهدته لمسؤوليات الآخرين وعن طريق أوامر الوالدين.

يتعلم الطفل المسؤولية ويتقبلها بالتدريج فعلى المربي أن يتمتع بالصبر والنفس الطويل من أجل ذلك.

الأم وتحمّل المسؤولية عند الطفل:

يكتسب الطفل من الأسرة أُولى تجاربه في تحمّل المسؤولية، وسيتعلم ذلك من أمه لأن اتصاله أكثر ما يكون بها وسيتجذر بواسطتها عنده. إن عليها بكونها قدوة من جانب أنْ تُهيِّئه عن طريق الأوامر والنواهي من جانب آخر لتحمل المسؤوليات. تُخطىء بعض الأمهات عندما يمتنعن عن إعطاء المسؤوليات للطفل بحجة الترحم والعطف. فسيكبر الطفل شئنا أم أبينا ويجب أن يتهيأ لمواجهة عالمه في الغد وستواجهه مصاعب جمة في المستقبل إذا لم يأخذ الإحساس بالمسؤولية مكانه في قلبه منذ الصِغر. ويجب على الأم أنْ تكون الأنموذج والقدوة في تعليم وتدريب الطفل على تحمل المسؤولية، فلا تفرض عليه عملاً لسبب تعبها أو لشعورها بالكسل.

من أين تبدأ المسؤولية؟

يبدأ تعليم الطفل تحمل المسؤولية منذ سنيه الأولى وفي الوقت الذي يجد للحياة معنى ويدرك نوعاً ما قيمتها حيث ندرّبه على تحمل المسؤولية عندما يفهم أنّ الحياة أفضل من الموت، ويسعى إلى أن يعمّر أطول ويعيش أفضل. تستطيع الأم في هذه الحال أن تمنحه القدرة على الانتخاب وإبداء الرأي وتسعى لتقوية هذه الخصلة لديه.

ويمكن للأم أنْ توكل للطفل مع مراحل رشده ونموه في حدود استطاعته بعض المسؤوليات في المنزل مثل، سقي الورود، تنظيم وترتيب الكتب أو وسائل اللعب، إطعام الحيوانات، والاهتمام بشؤون أخته أو أخيه الصغيرين. وتمتنع عن تحميله ما لا يطيقه لئلا يؤدي ذلك إلى إهماله وضجره فيترك الحابل على النابل.

نوع المسؤوليات:

تتفاوت أنواع المسؤوليات التي توكل إلى الطفل بتفاوت عمره، ذكرنا بعضها آنفاً، ونستطيع أن نذكر من أنواعها الأخرى، تنظيف الشبابيك، ترتيب الآنية، وضع سفرة الطعام، تنظيف وغسل الأطباق، صبغ الأحذية، تزيين الغرفة، الردّ على التلفون، الكنس، والعمل بالآلات والأدوات مثل المطرقة، المنشار، والمفك. . . الخ.

وسيتوسع من الطبيعي مجال عمله ونشاطه في سنوات المدرسة وسيتقبل مسؤوليات أكبر في واجباتها المدرسية. فيمكن توسيع دائرة مسؤولياته لتشمل القيام ببعض التصليحات الجزئية للأدوات والأجهزة المنزلية.

المسؤولية وفق الجنس:

يسعى العالم الصناعي اليوم أنْ يعطي مسؤوليات متساوية للجنسين، ونرى مع ذلك أنّ هناك تفاوتاً في المسؤوليات والوظائف التي تعطى لكلٍّ من المرأة والرجل، فيقوم على هذا الأساس كلا الجنسين بوظائفهما الخاصة بهما. ويكون هذا التفاوت على أقل حدوده في الوظائف الطبيعية والفطرية لكل منهما. فيجب لذلك رعاية مصلحتهما في أنواع المسؤوليات والأعمال التي يقومان بها. من باب المثال الأعمال التي ترتبط بأمور المنزل مثل رعاية الأطفال، التنظيف، والترتيب تكون مهمة البنت وعلى الولد القيام بالأعمال الأصعب في المجال الاقتصادي والميكانيكي.

بدء المسؤولية:

يجب أن تحول للطفل بعض الأعمال في أولى الأيام التي يبدأ فيها بالمشي وفهم الأشياء فمثلاً نعطيه مسؤولية ترتيب أقداح الماء في سفرة الغداء، والملاعق، أو الممالح ونطالبه عندما يكبر بجمع فراش نومه، غسل أوانيه، غسل جواربه، وكي بعض ملابسه. . . والخ.

تزداد علاقة الطفل في تحمل المسؤوليات في مرحلة الابتدائية وتوجيه سلوكه سعيهُ نحوها بشكل يشمل جميع مسؤولياته وواجباته ويساعده في ذلك ويقوي ويرسخ عنده هذه الملكة هو إعطاؤه المسؤوليات الصغيرة والتي يستطيع القيام بها.

والنقطة الثانية هي تحميله أعماله الخاصة والشخصية، فمن الخطأ جمع فراش نومه إذا كان قادراً عليه لأنه سيبعث على تقوية روح الاتكالية عنده ويجعله كَلاً على الآخرين عندما يكبر وسيفوض أمّه للقيام بأعماله.

طاقة الطفل على المسؤولية:

يجب الأخذ بنظر الاعتبار قدرة الطفل في القيام بالمهام الموكولة إليه. أولاً: تتعب الطفل المسؤوليات الكبيرة وتنفّره منها. ثانياً: يمكن أن تؤثر سلباً عليه بشكل تجعله هارباً وتعباً أبداً منها. فيجب لذلك إعطاؤه المسؤوليات والوظائف التي تدخل في دائرة قدرته واستطاعته بشيء من التسامح وغض الطرف.

ملاحظات حول توكيل المسؤوليات:

١ ـ نعطي حق الانتخاب للطفل في الأعمال التي نريدها منه فمثلاً نخيّره بين كنس الغرفة أو غسل الصحون لينتخب إحداها، يبعث هذا الانتخاب على تقوية روح تحمل المسؤولية لديه.

٢ ـ يجب عدم إجبار الطفل في توكيل المسؤوليات إليه لأن ذلك قد يؤدي إلى تقوية روح العناد والطغيان عنده إلى درجة يتحين الفرص فيها للانتقام والتخريب، فليس توكيل المسؤوليات بالإجبار بل يجب أن تزرع هذه الروح في نفسه بالأساليب التربوية وجعلها خلقاً يتخلق به ويبلغ درجةً يستشعر فيها مسؤولياته.

٣ ـ يعتبر التهديد والوعيد في توكيل المسؤوليات نوعاً من الإجبار للطفل ويؤدي إلى بروز وتجذر روح الطاعة العمياء عنده، ويُفقده الروح الاستقلالية وحرية العمل فيجب أن لا يكون توكيل المسؤولية بالضغط والإجبار لأنه سيؤدي إلى ضجره منها.

٤ ـ تحديد الوظائف والأعمال الموكولة للطفل بشكل صريح ليعلم ماذا عليه أن يعمل وبأية صورة عليه القيام بها، وليس لنا بدون ذلك مطالبته بها.

٥ ـ عدم تثبيط عزائم الطفل عند بروز بعض الأخطاء حال قيامه بالمسؤولية، فمثلاً إذا سقط قدح من يده وانكسر لا يجب توبيخه بل إرشاده

بأن يكون دقيقاً ولا يكرر ذلك. فإن التوبيخ والملامة وأحياناً الضرب سيكون بداية إلى عصيانه وتثبيطه في تحمل مسؤولياته.

٦ ـ يجب أن لا يكون إعطاء المسؤوليات تكرارياً يبعث على التعب والإحساس بالذلّة عند الطفل.

٧ ـ يجب عدم التدخل في أعمال الطفل عندما يقوم بها على أحسن وجه ولكن عندما يخطىء فيجب الإسراع لنجدته وإصلاح أخطائه.

القسم الثاني عشر

تضحية الأم

تعتبر الأمومة وظيفة حساسة ومحفوفة بكثير من دقائق الأمور، يبعث التقصير في واحدة منها على عواقب وخيمة في تربية الطفل. ولا تنسجم مع الغرور، وحب الذات، والتمحور الشخصي. ولا نقول ان على الأم أن تهمل نفسها وتزهد بكل نعم الله في الحياة وتجعل من حياتها جهنماً لا يطاق من أجل الطفل بل نقول ان حساسية مهمتها تستدعي التضحية ببعض الجوانب من أجله.

تضطر الأم إلى التضحية ببعض كماليات الحياة لأجل أن يكون نجاحها في تربية الطفل أبهر. وتتحلى بالصبر والعصامية في مقابل الفقر والحاجة، وتكون أصبر في مقابل زوج متصعب خشن الأخلاق لكي لا يؤثر ذلك سلبياً على تربية الطفل، أو على الأقل المداراة معه عند وجوده.

الفصل الأول

التضحية بالكماليات والترفيهات

إذا كان الزواج من أجل الراحة والمتعة جائزاً فيصبح حراماً بعد أن تصير المرأة أمّاً. يريد البعض من الزواج الوصول إلى غاية اللذّة والمتعة ولا عيب أو بأس في ذلك ولكن بشرط أن لا تكون هذه اللذة والمتعة على حساب الطفل وحياته ولا يؤدي إلى إهماله وهو ثمرة الزواج. وتعني الأمومة أساساً تقبّل القيود والمحدوديات. ليست القيود التي لا تطاق بل القيود الممزوجة بلذّة الحياة، إلاّ اللهم الأمهات اللاتي لا يشعرن بلذّة الأمومة.

يتغير مسار حياة الأم بعد ولادة الطفل ويأخذ شكلاً آخراً، فعليها أن تهمل كثيراً من راحتها ولذائذها من أجل حفظ النوع وستكون مضطرة إلى تقديم تضحيات كبيرة وتحتاج إلى طاقة تحمّل أكبر. فسيلحق أضراراً روحية ونفسية بالإضافة إلى أضراره المادية. إنّ جعل الوصول إلى اللذة والمتعة هدفاً للحياة لا يمكن تدارك أضراره التربوية وتلافيها.

واجبات الأم:

ذكرنا سابقاً أن ولاية أمر الطفل والقيام بشؤونه ليست خدمية ولا مجلبة للتعاسة وليست الأم التي تهتم بأمور ولدها متخلفة أو تعيش في القرون الوسطى، فلَسن أمهات أولئك اللواتي يعتبرن الاهتمام بشؤون الطفل نوعاً من الَخدمية يقيناً حتى إذا أَنجبْنَ أكثر من طفل فلن تنضج الأمومة عندهُنّ ولو تحمّلن آلامَ الحمل والرضاع كِراراً.

فالأمومة تعتبر واجباً مادياً ومعنوياً ومهمةً صعبةً. ويجب أن تنشغل الأم

دائماً بالتفكير والتخطيط والبرمجة لتربية الطفل بشكل أفضل وكيفية السبل الكفيلة بذلك وما هي الأمور التي يجب تعليمها أولاً وما الذي عليها الامتناع عنه لمصلحة الطفل وتربيته.

تعلم الأم الواعية والمسؤولة أنه ليس في دنيا التربية أمرٌ لا أهمية له ولذلك لا تنظر إلى واجبات الأمومة بعين غير مكترثة ولكن تأخذ كل المسائل التربوية بجدّية.

ضرورة الكماليات والترفيه للأم:

يُخطىء من يتصور بأن على الأم أن تهمل حياتها وتزهد في دنياها من أجل الطفل وتصبح كمن نَذر نفسه ووجوده من أجل الآخرين، بل لها الحق في أن تعيش ساعات من النهار أو الليل لنفسها، تفكر بحالها، وتهتم بشؤونها. تحتاج مثل الآخرين إلى الإستراحة والحياة الاجتماعية وهذا من الضروريات في حياتها. فإهمال هذا الجانب له عواقبه الوخيمة عليها. فيعتبر الشخص المنعزل ومن ليست له علاقات اجتماعية مريضاً وعلى أحسن الاحتمالات شخصاً ليس ذا هدف في الحياة وبالتالي يعتبر من الناحية العلمية انعزالياً شاذاً. فيجب أن نعيش مع المجتمع ولا نتلوّن بألوانه والمهم هو عدم إغفال الطفل وعدم نسيان مسائله التربوية.

ضرورة تحديد كماليات الأم:

يشكل تحديد كماليات الأم وملاهيها ضرورة من وجهات متعددة، فمن الوجهة الدينية لا يسمح الشرع المقدس بكثير من أنواع الكماليات والملاهي، ومن الوجهة الاقتصادية لا يتحمل اقتصاد الأسرة أي نوع منها. والناحية الثالثة يقتدي الطفل بالأم لكونها قدوة وأسوة و... الخ.

يكون الترفية والكماليات مقبولاً بشرط أن يسمح به الشرع ولا يؤدي إلى ضياع العمر في التفاهات. يلعب العقل والهوى معاً دوراً في الحياة ولكن يجب أن يتغلب دور العقل على الهوى.

بالنظر إلى الإنسان المسلم يجب أن يعيش من الناحية الاقتصادية حتى وإن كانت أسرته متمكنة ومرفهة اقتصادياً في مستوى متوسط في المجتمع لذا

فليس له الحق أن يحلّق عالياً. وتعتبر مصاريفه إذا تجاوزت الحد المتوسط نوعاً من الإسراف والتبذير.

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار جانب القدوة والأسوة فيجب أن نقول إن في الطفل حالةً من التقليد الأعمى فهو يقلّد كل حركة وسكنة يشاهد الأم تقوم بها فإذا كان فعلاً غير محسوب سيكون من الطبيعي تأثيره السلبي فيه وهذا ما يخالف الأهداف التربوية التي تتوخاها الأم.

والخلاصة، لا بأس بالسفر، والترفيه، والنزهات مع مراعاة الحدود الشرعية. وبدونها ستكون الحياة حزينة ومملّة ولا ننسى في هذا الوسط ثمرة الحياة وتنحرف الأم عن واجباتها الأصلية وسيرها الطبيعي. فإذا أرادت أولاداً فضلاء يجب عليها أن لا تكترث ولا تعير أهمية لكثير من الكماليات والترفيهات وتمنع حتى طفلها عن بعض الملاهي والألعاب.

فن التضحية:

ليس من السهل التضحية بالميول والآمال القلبية وبالأخص للذين لا يقدرون على تحقيقها. فتسحق الأم هواها وتتغلب على نفسها في الوقت الذي تستطيع أن تحققها وتسلك سبل العقل والمنطق حيث يعتبر إنجازاً وفناً عظيماً. تكبل الإنسان القيود العائلية والاجتماعية وآدابها وتقاليدها فلا بد من إرادة قوية للتحرر منها. لا ينقاد الإنسان العاقل الواعي إلى الهوى والهوس النفسي مع ما فيها من اللذة الآنية والتي تعقبها الندامة الطويلة. فلا يشري الإنسان العاقل الندامة والحسرات الأبدية بلذّة سويعات قليلة.

يمكن للأم أن تمارس الفنون المفيدة والملذّة وفي نفس الوقت تتكسب بها مثل فن الخياطة، الحياكة، وغيرها من الأعمال التي يمكن القيام بها وهي إلى جانب الطفل مع راحة البال.

أضرار اللهو العشوائي:

تنير الأم وتهدي حياة أعضاء الأسرة وبالأخص الأطفال منهم فلا بد أن تألم لآلامه وتلازمه كروحه التي بين جنبيه. ولكي تنجح في تحقيق آماله وأمنياته الكبيرة عليها أن تتغاضى عن كثير من أمنياتها. فإصرار الأم على

الوصول إلى كافة أمانيها وتحقيق جميع رغباتها يبعث على تثبيط الطفل وحرمانه وتعذيب روحه اللطيفة. فلا يؤدي الانطلاق بلا قيود إلى وخامة العواقب للأسرة فحسب بل إلى ضياع وتيه الشخص نفسه. يرتبط كثير من التحلل الاجتماعي والقسوة وعدم الاكتراث في أفراد المجتمع باللهو الشخصي والعشوائي للأمهات وإغفالهنّ لأطفالهنّ، لتفتح عينيها يوماً على واقع مر لا يمكن إصلاحه وإنْ أمكن فبمصاعب ومشاكل جمّة.

تحتاج الأم أكثر من غيرها إلى ترك عاداتها السيئة والانتباه إلى سلوكها وتهذيبه. وبدورها كمربية للطفل ستجعل الأخلاق السيئة والتعاسة والحيرة تلزمه طيلة حياته.

أخطاء الأمهات:

يحتاج الطفل بالفطرة إلى الحماية والمساعدة، ويفتقر إلى من يعينه ويشد عضديه. فسيتيه إذا فقد الحامي والمساعد. فإن أهملت الأم طفلها من أجل تفاهاتها ولهوها فما معنى الأمومة وما هي التربية؟!

يدفع كثيرٌ من أفراد المجتمع ضريبة تجاهل الأمهات وأخطائهن وبتأثير عدم اهتمامهن بأطفالهن ينشأ هؤلاء كالطحالب والأعشاب الضارة مملوئين بالعقد واللاهدفية في الحياة.

إن محاكاة كثير من الأمهات عادات الأخريات ويقضين أوقاتهن بالتفاهات والسهرات ومجالس اللهو بحجة قضاء يومهن في المعامل أو الدوائر الرسمية ولهن الحق في الترفية عن أنفسهن، يُسِئن مثل هذه الأمهات إلى أطفالهن أبلغ الإساءة من حيث يشعرن أو لا يشعرن.

ليس من شأن الأمهات محاكاة الآخرين بإفراط، وقضاء الأوقات بالسهر والتفاهات، بل هي من خصائص المتحللين والمائعين فلا يليق بمقام الأمومة الشامخ أن تتهافت الأم على آخر الموضات والتفاهات المنحطة والسهرات الماجِنة وأن تتظاهر بالملابس والحلي وتترك طفلها وتهمله، وأن تدع طفلها عند الآخرين لتقضي ليلها بالسهر في السينمات. فإن مسؤولية الأم أسمى من ذلك، فالأمومة تضحية وإيثار ونبذ اللذائذ والرغبات من أجل سعادة الطفل. وبالنهاية فالأمومة حب مطلق وعاشق ذاب في معشوقه وهو الطفل.

خيانة الأم:

ليست أماً تلك التي تهمل طفلها ولا تهتم بشؤونه أو تدعه عند المربيات لتقضي وقتها بالسهرات ومجالس اللهو والمباراة بالملابس والحلي بل هي خائنة تتلبس بالأمومة.

ليست هناك خيانة أكبر من أن تحتضن طفلاً ضيفاً لها ولا تشعر اتجاهه بأية مسؤولية ولا تقيم له وزناً ولا تقوم بواجباتها نحوه. فالمربية والخادمة تعمل من أجل الحصول على المال والتي تكون كذلك لا تستطيع أن تمنح الطفل حنان الأم ولا أن تحلّ محلها. حقاً ماذا سيحتاج هؤلاء الأطفال وهم يستسلمون للنوم في أحضان الخادمة؟! وما هي همومهم؟ وما الذي يتمنونه ولا يستطيعون إبداءه ولا يتحقق لهم؟

يعتبر هؤلاء الأطفال أثناء النوم، الإفاقات المتكررة ليلاً، وسلس البول الليلي في الحقيقة نوعاً من الاعتراض والاحتجاج على مثل تلك الأمهات.

الفصل الثاني

الأم في مواجهة فقر الأسرة

يورّث الفقر مشاكل ومصاعب عديدة للأسرة ويمثل عاملاً هدّاماً للحياة الزوجية وسعادتها.

تأثير الفقر على الطفل:

يتأثر الطفل كثيراً بفقر الأسرة، لأنه يقارن نفسه دائماً بالآخرين من ناحية الملابس، الطعام، والمصروف اليومي، والإمكانات الأخرى. ويشعر بالحقارة ويستصغر نفسه، يخاف، وتضيق أغلب الأحيان نفسه عندما يرى أنه أضعف منهم مادّياً. ويؤثر الفقر سلبياً على شخصية الطفل ويجعله دائماً في حالة من الاضطراب والحزن لعدم تمكنه من تلبية رغباته واحتياجاته الحياتية، وأقل ما يسببه الفقر هو العقد المركبة عند الطفل حيث يفقد الطراوة والبشاشة لافتقاده أبسط رغباته الخاصة. فعلى الأم ـ على أية حال ـ أنْ تُطمئِن الطفل وتشاركه في حزنه وفرحه وتصوّر الدنيا له جميلة.

ينبع معنى الحرمان من داخل الإنسان وسوف لا يشعر الطفل بالحقارة والهزيمة وسيعيش بمنظار آخر إذا لم تفسر الأم له الفقر بأنه الحرمان والحاجة.

كتمان الفقر:

تأخذ الأسر بنظر الاعتبار عمر الطفل ومدى إدراكه لمسائل الحياة ـ والذي يواجهه فيها ـ لكشف الحقائق له. فيجب أن لا يطرح موضوع فقر الأسرة على الأطفال قبل دخولهم المدرسة وعلى الوالدين أن يُخفيا على الأطفال

مشاكلهم المادية ولا يسمحا له بأن يفهم معنى الفقر والغنى، ولكن لا يطلب منه الإيثار والتضحية من أجل الأسرة أو الاشتراك في تأمين إيرادها. يطلب ذلك من الطفل في السنين ما بعد الثانية عشرة أو حتى الرابعة عشرة.

عواطف الأم ثراء الطفل:

يمكن أن يشعر الطفل بالفقر والحاجة ولكن عاطفة الأم ومحبتها تكتنفه وتملأ عليه حياته بشكل تجعله يغفل عنه. ولقد أثبتت الدراسات العلمية أنّ كثيراً من الأطفال الفقراء الذين كانت لهم أمهات واعيات ومثقفات يتمتعون بعصامية ومعنويات عالية تبعث على التقدير.

الأم ورغبات الطفل المادية:

يجب الاستجابة لرغبات الطفل بشرط أن تهذب وتحدد. فليس صحيحاً تلبية كافة رغبات الطفل في حال الفقر والغنى لأنه يؤدي إلى فساد الطفل من جانب ومن جانب آخر فإن توقعاته ورغباته ليست محدودة بل ينوء بها حتى ذوي السعة والثراء، ولذا فلا خوف من خلق العقد عند الطفل لعدم تلبية احتياجاته في هذه الحالة ويجب أن يفهم بأن تلبية جميع رغباته ليس من مصلحته حتى ولو كنا أثرياء ونقنعه بالاستغناء بمقدار ما نعطيه ويرضى به.

ليس ما تفعله بعض الأسر الثرية في تهيئة الملابس الثمينة وتزيين أطفالهم وجعلهم كالدمئ مهمّاً، بل ما يهم الطفل هو تناسق الملابس ونظافتها. تهتم الأم المثالية بفكر الطفل وهدوئه النفسي وتسعى إلى نشر السعادة في روحه أكثر من ظاهره وملابسه.

كيف تتعامل الأم مع الفقر:

قيل: «تعرف الأمور بأضدادها» فلا معنى للسعادة بدون أن يكون هناك بؤس وشقاء، فيتطلب الحصول على السعادة، الهمَم العالية والصبر ويحتاج إلى التضحية والإيثار. نريد القول بأن موفقية الطفل في تحمّل فقر الأسرة منوط بانتصار الأم على أحاسيسها وتحملها للمشاكل بوعي وسعة صدر.

لا شك في أنّ أفراد المجتمع يتفاوتون في طاقاتهم على تحمل الفقر والحرمان. إنّ البعض يستصعب ويستسهل الآخر حيث يُكره التأفف والضجر

وإظهار العجز على أية حال بالأخص على مرأى ومسمع الطفل.

ولا يبعث على الخجل إذا أُخبر الطفل بأننا نسعى ونكد ولكن دخلنا لا يسدُ حاجتنا. ويجب أن تسعى الأم إلى عدم حرمان الطفل من قضاياه الأساسية والجذرية لأن له عواقب ونتائج خطيرة عليه. وبعبارة أخرى ليس من الضروري أنْ تكون ملابس الطفل ثمينة ولكن الفاجعة عندما يقل غذاء الطفل اليومي.

واجبات الأم الذاتية:

على الأم التي تريد حفظ كرامتها وشرفها في حال فقر الأسرة أنْ ترتب ظواهر أمورها فقط. فارتداء الملابس العادية والزهيدة بعيداً عن الزينة أفضل بكثير من ارتداء الفساتين الغالية الثمن على حساب فقر الطفل وحرمانه. فمن الأنانية أن تلبس الأم فاخر الثياب للمباهاة والغرور وترفل بالعطور والكماليات التجميلية في حين يعاني طفلها من البؤس والشقاء، أو يتأوه حَسْرةً للحصول على دراجة في حين يغفو على صدرها ما غلى من القلادات الذهبية.

الأم والمصروف البيتي:

تتبع الأم، بالقناعة والتقشّف عند الضيق والعسرة، إدارة البيت بشكل لا تفوح منه رائحة الفقر والحاجة وبذلك تحفظ ماء وجه الأسرة عند الطفل.

يمكن للأم أن توفر مقداراً من دخل الأسرة حتىٰ لو كان يسيراً لسد بعض احتياجات الأسرة الأساسية والغير منظورة. على الأسرة التي تعاني من الفقر الامتناع عن الإسراف والكماليات والاعتدال في المخارج والمصاريف والاهتمام بما يحتاجه الطفل أكثر، وتخطىء بعض الأمهات في ملء البيت بالوسائل والأثاث الغالية الثمن وفي عين الوقت كمالية لا حاجة لهم بها. فعليها أن تدرك أن مهمة الأم هي رعاية المنزل والأمومة وليس جعل البيت مخزناً للكماليات التجميلية.

عمل الأم:

نقول ان على الأم رفض الأعمال خارج المنزل من أجل سعادة الطفل،

ولكن لا بأس بالقيام ببعض الأعمال المفيدة داخل المنزل، تُدرّ دخلاً لتلبية قسم من رغبات الطفل واحتياجاته، كخياطة الملابس، والحياكة، والأعمال الفنية، مما يشكل رافداً مالياً يحسن وضع الأسرة والطفل ماديّاً ويخفف العبء المالي لها.

المصروف الجيبي للطفل:

يجب على الأسرة ومهما كانت درجة فقرها أن تعطي الطفل ولو نزراً يسيراً من النقود أسبوعياً أو يومياً لمصروفه الجيبي كي لا يتصرف بها بحرية وفي حدود إرشادات الأم ويقتنع بها. لا شك أننا نستطيع أن نقول للطفل بأنه كان بودّنا أن نعطيك أكثر من ذلك ولكن ميزانية الأسرة لا تسمح بأكثر مما أخذت. ولا بأس بتوضيح ذلك له.

التوفير للطفل:

نعلم أن لدى الطفل رغبات كثيرة مثل دراجة، لعب أطفال و... الخ فالأفضل للأسرة التي لا يمكن لها شراؤها أن تقول للطفل بأن عليه توفير قسم من مصروفه الجيبي وسنضيف عليه كمية من عندنا وعندما يبلغ حدّه فسنشتري لك ما تريد. إن تأميل الطفل بشراء حاجة ما بعد أن يوفر من مصروفه الجيبي وهو مطمئن وإنجاز الوعد على المدى البعيد أفضل بكثير من مواجهته بفقر الأسرة وحاجتها.

ملاحظة مهمة:

يعتبر الأب ومهما كان مسنداً للأسرة والطفل فليس للأم أن تعيّره بالفقر والفاقة أمام الطفل ولا تستهزىء بشغله، ولا تتطرق إلى كلالته ولا تبحث معه القضايا المالية ولا ترجّح زملاءه عليه بالأخص عند حضور الأطفال لأنه يعتبر صنماً بالنسبة للطفل يؤدي تحطيمه إلى عواقب وخيمة.

الفصل الثالث

الأم ونشوز الزوج

يعتبر البيت سكناً ومأمناً للزوجين والأطفال ويقوم أصل الحياة وأساسها عليه ولكي ينعم بالسعادة والمحبة فعلى الزوجين ضبط أعصابهما وكظم غيظهما حتى لا ينخر في حياتهم السأم والملل. لذا تتطلب الحياة الزوجية كثيراً من التضحية والإيثار.

ويبعث أحياناً عدم انسجام الزوجين على بؤس وشقاء الأطفال وسينعكس خلاف ذلك عليهم فيما لو كان محيط الأسرة دافئاً ينبض بالرضىٰ والوفاق. وسيبدأون حياة طيبة تخلو من التشنج والاضطراب.

نشوز الزوج:

يتحول الزوج إلى شخصٍ ناشزٍ لأسباب وعوامل كثيرة منها الخطأ في انتخاب شريك الحياة ويؤدي عيش الزوج في الأوهام والمثاليات إلى شقاء المرأة وتعاستها وكذلك عندما تكون ثقافة الزوج ثقافة غربية وفاقداً لشخصيته وهويته الأخلاقية والسلوكية. فسيجعل حياة زوجته جهنماً لا يطاق بتصرفاته الشاذة، وتوقعاته اللامحدودة وجدابة أخلاقه ويبدّل حلاوة حياتها إلى مرارة لا تُستساغ. يعيش كثيرٌ من الأزواج حياةً مفككة العرى أسوأ بكثير من الطلاق والانفصال. يرتعد أطفالهم خوفاً واضطراباً بينما يكونا دائماً في حالة نزاع ومشاجرة. فلا شك أن تأثير مثل هذه الحياة سيكون سلبياً على الجوانب العاطفية والفكرية للطفل وتجعله في دوّامة من الاضطراب والقلق.

مشكلة الطفل:

يصبح الطفل ضحية لبيئة البيت ومحيطه اللامتجانس الذي يعيش فيه وسوف يحتار إلى أيِّ طرفٍ ينحاز، أيلزَم جانب أمه أم جانب أبيه والمسألة المهمة إلى أيّهم سيلجأ وكيف سيحل المشكلة القائمة؟!

يبعث هذا الوضع على أن يأكل الطفل نفسه ويزداد عذابه الروحي والنفسي.

تأثير المشاجرات على الطفل:

سيجرُّ إلى نشوب المشاجرات والنزاعات العائلية عندما تكون أخلاق الزوج سيئة لا تستطيع الأم أو لا تريد أنْ تتحملها ويسيء ذلك إلى الطفل وسيؤدي إلى قلقه النفسي والروحي.

يرتبط القسم الأعظم من إحساس الطمأنينة عند الطفل بالعلاقة الودّية المتبادلة بين الأبوين ومدى ما يبديه كل منهما من احترام للآخر. إنّ شخصية الطفل تتحطم ولا يشعر بالأمن والهدوء النفسي عندما يشاهد مشاجرات والديه المستمرة. ومن جانب آخر يكتسب الطفل تجاربه الاجتماعية من المنزل وسوف يطبق على المجتمع كل ما يتعلمه من المنازعات والمشاجرات.

أثبتت الدراسات والتحقيقات أن ما يتعلمه الطفل من عراك وشجار الأبوين ينعكس على تصرفاته أثناء اللعب مع أقرانه وحتى مع الدمىٰ.

براءة الطفل:

يقع اللوم في أسباب العراك والمشاجرة على أحد الأبوين أو على كليهما، ليس لنا كلام حول انزعاج الأم من شتائم الأب أو سلوكه الخشن كونها تشعر بنوعٍ من الحرمان، ولكننا نقول ما ذنب الطفل الذي له أبٌ سبّابٌ وأمٌّ لا طاقة تحمّل لديها. وليس بعيداً أن يكون هناك زوج لديه روح عدائية ونزوعٌ إلى التجبر والتسلط وامرأة لا تستطيع أو لا يمكنها عدم إظهار أو إخفاء ذلك عن الطفل.

سر السعادة:

يمكن للأم أن تزيل كثيراً من الاختلافات العائلية بتركها لِخصلة العناد وتحديد توقعاتها ومطاليبها وتحلّ مشاكل الأسرة وتضفي عليها جواً من الصفاء والمودّة. لا شك أن للأزواج أخطاءً كما الزوجات، فَلسنَ عاريات من أي نوع من العيوب والخطأ. فعليها أن تتغافل عن أخطائه كي يتعامل معها الزوج بنفس الطريقة لأن الحياة نوع من الأخذ والعطاء. فلا تتصور الزوجة أبداً أن سلوك وتصرفات زوجها المتعجرف وعاداته السيئة سببٌ لسوء حظها وتعاستها، فقبل أن يكون للتعاسة والسعادة وجودٌ خارجيٌ له مفهوم ينبع من داخل الإنسان. يجب على الأم أن تضحي بكثير من مطاليبها وتوقعاتها من أجل سعادة الطفل وتكون كالفراشة تحوم حول شمعة وجوده.

الدور المهدىء للأم:

يمكن للمرأة بفطرتها وخصوصياتها التي أودعها الله فيها أن تروّض الرجل وتسيطر عليه وتجعله تحت نفوذها وذلك عن طريق المحبة، العاطفة، الإقناع، والدلال في الكلام والأخلاق بحبكة فنّان قدير. فسيهدأ الزوج وتنفتح أسارير وجهه عندما تستقبله الزوجة بعد عناء يوم متعب بوجهٍ صبوح وبشاشة لتزيل آلامه وآلام الأسرة وتمنح البيت دفئاً وحرارة وتملأه صفاءً ومودّة.

توثيق العلاقة بالزوج:

يرفض علماء النفس قبول الأبوة كغريزة ولحدِ ما يقبلون غريزة الأمومة ويصورون علاقة الأب بالأبناء علاقة وظيفية تنبع من القوانين والمقررات الاجتماعية، ولكن ملازمة الطفل المستمرة لأبيه تخلق عنده العاطفة، فمرح الطفل ولعبه ودلاله تحرّك المحبة في قلب الأب وتجعله يشعر بدفء الحياة. تغفل كثير من الأمهات عن هذه الخصوصية ويسعين غالباً إلى تنويم الطفل مبكراً كي يقضينَ وقتاً أطولاً مع الزوج.

لا يسمح علم تربية الطفل بالفصل بين الأب وأبنائه بهذه الطريقة أولاً، وثانياً ستحلق آثار الأضرار الناشئة عن هذا الفصل بصورة غير مباشرة بالمرأة

وحياة الأسرة لأن البيت الذي يخلو من مصادر الدفء المتعدّدة ليس للمرأة فيها أمن ولا ضمان وبالإضافة إلى ذلك يروّح الأب عن نفسه باللعب مع أطفاله ويحل كثيراً من عقده ولا يمكن تحقيق ذلك للفاصلة الموجودة بينه وبين أبنائه. ولكي تكسب الزوجة قلب زوجها فعليها أن تزرع محبة الأطفال في قلبه وتوثق العلاقة بينه وبينهم وتقوّيها، فهي تكتب له الرسائل التي تشرح وضع الطفل، حركاته، سكناته، ضحكه، لعبه، وحلاوة منطقه، عندما يسافر أو يغيب عن البيت لتقوى أواصر العلاقة بصورة غير مباشرة بالكيان الأسري.

تحمّل نشوز الزوج:

يمكن أن لا يتروّض الزوج مع رعاية وتطبيق كل ما ذكرناه فلا يبقىٰ للزوجة إلاّ أحد الحلّين أحلاهما مُرّ، إمّا الطلاق وإما التحمّل على مضض.

يمكن أن يطرح البعض حلاً ثالثاً وهو الزواج الثاني، نعلم جيداً أن المرأة لا يمكن لها أن تتحمّل الضرّة وندري مدى الحسد بينهما.

فما هو الحل؟

لا يمكن لنا أن نطالب المرأة بالصبر وتحمّل الأذى ولكن الذي نعلمه من الأمهات الواعيات والجدّيات في الحياة من الدراية والعقل يجعلنا نتوقع منهنّ أن يصبرنَ ويتحملن من أجل الأطفال أو على الأقل يفكّرنَ بمصير أطفالهن عندما يفقدون حنانهنّ ويقعون تحت سيطرة زيجات الآباء الثانيات، ففي هذه الحالة ماذا ستفعل الأم عند بكاء طفلها ليلاً؟! وكيف تشبع غريزة الأمومة عندها، ووحدتها؟! وبماذا تعالج أرقها الناشىء من تفرّقها خوفاً على الطفل؟!

عدم جرّ الطفل في المعمعة:

يجب على الأم أن لا تثير غضب وكراهية الطفل لأبيه أو تشجعه على مقاومته والوقوف في وجهه بسبب سوء أخلاقه ونشوزه لأن ذلك يبعث على حيرة الطفل ويفقده توازنه فلا يدري ماذا يفعل وإلى أية جبهة يميل، هل يدافع عن أمه؟ هل يحمي أباه؟ وتتراكم السحب السوداء في أفق روحه تلفّه من كل جانب.

تختلق الأم الواعية والمثقفة دائماً من أجل طفلها لتبرير فضاضة أخلاق الأب وخشونة سلوكه لأن شعور الطفل بمظلومية أمه يعذبه أكثر، ويجرح عواطفه ويحطم غروره، ويسحق شخصيته فعندما يتزعزع ثبات الأم بسبب سوء معاملة الزوج لها سيؤدي ذلك إلى شعور الطفل بالحقارة وضعف الشخصية ويهيىء الأجواء المناسبة لكي يقاوم أباه ويقف في وجهه. ويعتبر ذلك من الأخطاء التربوية الفادحة.

القسم الثالث عشر

أخطاء الأم

ليس الإنسان معصوماً من الخطأ فما أكثر الأخطاء التي يرتكبها الإنسان وتلازمه طيلة حياته وتبعده عن طريق الصواب. ولا شك أنه كلما كان التعامل مع الحياة عقلائياً وواعياً كلما قلّت الأخطاء والاشتباهات.

لا يكترث الكثير للأخطاء والاشتباهات التي يرتكبونها وذلك لكثرة شيوعها بين الناس. ويعتبر الخطأ خطأً عندما يعترف الإنسان به ولكن لا يسعى إلى تصحيحه. فلا ينتج عن اتباع الهوى إلاّ الأخطاء وله أضراره العميقة على الجميع وبالأخص الأمهات.

تذنب الأم وتخطىء عندما تمنع الحمل من أجل راحة بالها وحفظ رشاقتها، تخلط الأمور وتجعلها مضطربة، تفعل وتقول ما تشاء بدون رقيب ذاتي، وستؤثر هذه الأمور سلبياً على الأم وعلى الطفل إذا لم تشرع الأم بوقاية نفسها منها وعلاجها.

سنتناول بيان هذا الموضوع وأبعاده وما يتعلق به في هذا القسم مع الاختصار المفيد.

الفصل الأول

الإفراط والتفريط

تحب الأم ولدها وتتحمل لتعليمه وتربيته أنواع الآلام والمصاعب ويدور في مخيلتها تحت ظل هذه الآلام أكبر الأمنيات والآمال.

لا شك أن كل أم تريد أن تربي طفلها أفضل تربية لتجعل منه نموذجاً وقدوة، ولهذا فهي تبحث عن أفضل السبل والبرامج في أصول التربية. وتتصور بعض الأمهات أن الطفل سيتربى أفضل إذا لبّيت جميع طلباته وتُرك لحاله، وتعتقد البعض عكس ذلك أي وضع الطفل تحت المنظار المكبر لمراقبته والتضييق عليه.

تعتبر كِلا النظرتين من الناحية التربوية مغلوطة، فلا إفراط ولا تفريط في تربية الطفل ويجب في طريق التربية عدم ترك الطفل بلا محاسبة وتوجيه وعلى هواه ولا أن يضيق عليه بالضوابط والمقررات واستعمال الشدة.

أضرار الإفراط والتفريط:

ينشأ الطفل إمّا مغروراً مدللاً أو مستحقراً ذليلاً، واما مدعياً مطالباً أو ذا شخصية انهزامية مطلوبة إذا كانت تربيته على أحد قطبي الإفراط والتفريط حتى ولو في المحبة.

يفقد مثل هؤلاء الأطفال القدرة على التفكير أو سيستعملوه ضد الوالدين والمجتمع ويشعرون دائماً بأن عليهم إما أن يكونوا تابعين أو متبوعين، فلا يرتاح الطفل إلى المحبة المفرطة كالتقبيل بكثرة، والاحتضان،

والتدليل الخارج عن الوصف، مثلما يتعذب من القسوة والشدة المفرطة.

الإفراط والتفريط حسب الجنس:

تفضّل بعض الأمهات جنساً من الأطفال على الجنس الآخر أو تفضل أحد الأطفال على بقية الأطفال في الأسرة الواحدة، وتهتم به أكثر من غيره بالملبس والمأكل وسائر المسائل الأخرى. وتسمح له أحياناً أن يعاقب أخوته الصغار.

يشعر الطفل المفضول عليه بسبب جنسه بالحقارة الشديدة. تخطىء الأمهات في كلا الحالتين لأن الطفل في الحالة الأولى ينشأ مغروراً متغطرساً لا لشيء إلاّ لأنه ولد ذكر وفي الحالة الثانية يكون الطفل فيها على خوف دائم ويشعر بأن لا مدافع له.

الحماية والمحبة:

تخطىء الأمهات خطأً فادحاً عندما يجعلن الطفل يرفل بالنعم دائماً ولا يفكرن بأيام الفقر والفاقة ولا يردن التضييق عليه بل يحاولن أن يكون مرتاحاً منعماً.

ينشأ الطفل ضعيفاً لا يقدر على شيء بسبب الدلال والمحبة المفرطة ولذا يجب أن تعير أهمية له أحياناً وتلعب دور زوجة الأب الثانية ومن جانب آخر يجب أن لا يُهمل كلياً بحيث يتولّد عنده الشعور بأنه لا ملجأ له ولا مأوى ولا من يحميه. فالمحبة ضرورية للطفل ولكن المهم هو كيفية إبدائها وحدودها ويكمن فنّ الأمومة في ذلك.

العطف والحقد:

يجب أن لا يؤدي حب الأم وعطفها على جرأة الطفل وتجاسره عليها بالضرب والاعتداء فما أقبح منظر الطفل وهو يضرب أمه وتحملها لذلك وأقبح منه منظر الأم التي تضرب طفلها ضرباً مبرحاً وبقسوة ومن ثم تدلله لينشأ مائعاً.

لا تسمحوا للطفل بأن يرفع يده على أمه حتى مزاحاً ولا تتغاضوا عنه

فيما لو فعل ذلك كي لا ينهار صرح وجوده أمام عينيه، فلا تليق الأمومة للمرأة التي لا تستطيع أن تحفظ أُبهّة كيان شخصيتها أمام الطفل وليس لها أن تتحمل اعتداءات الطفل وتجاوزاته عليها وتقضي حياتها بالاستسلام لآرائه وإرداته. وليس لصالح الطفل أيضاً إغراقه بالمحبة والحنان أو الصراخ فيه وضربه وتحديد نشاطه بشدة وقسوة.

وعلى الأم أنْ لا تحنو وتدلل الطفل بلا دليل وسبب ومن جانب آخر تعاقبه عقاباً شديداً لأقلّ خطأ وليس صحيحاً الحنان في غير محله وإعطاء الوعود بالرشوة والبرطيل.

عند اللعب:

يُستحسنُ أن تشترك الأم أحياناً في اللعب مع الطفل بشرط أن يكون ذلك من أجل الطفل لا للترفيه والتنفيس عن النفس. ولا يتغلّب اللعب عليها وتنسى نفسها ليفلت زمام الأمور من يديها. تخطىء بعض الأمهات في ترك الطفل يلعب وحده ولا يشاركنَهُ لعبه أو يشتركن بشكل لا يدعن فيه للطفل مجالاً لإبراز قدراته الفكرية أو العضلية.

مقابل المعلم:

يعود الطفل إلى البيت أحياناً شاكياً من ظلم المعلم وقسوته وما فعله به. تقوم بعض الأمهات حينها بتحطيم شخصية المعلم أمام الطفل مما يؤدي إلى أن يفقد المعلم والتعليم قيمته لديه ويعطي للطفل الجرأة للعودة إلى ممارسة أخطائه وتكرارها. وتترك البعض الآخر الطفل وحده ليواجه تصعّب المعلم وقسوته إلى درجة يشعر فيها بالوحدة وعدم الحماية.

ثبت علمياً وتربوياً خطأ الأسلوبين، فيجب مداراة الطفل ومساعدته لحل مشاكله من جانب ومن جانب آخر تذهب إلى المعلم باحترام وجدّية ومناقشة أسباب القسوة والظلم ويُطلَب منه أن يعالج القضية ويتلافىٰ ما قام به في حالة التأكد من ظلمه أو إزالة آثار إحساس الطفل بالظلم من ذهنه فيما لو كان هو الخاطىء.

جوانب الأخلاق الشخصية:

يجب على الأم أن تكون أخلاقها وسلوكها على منوال واحد وتتعامل بوضوح وثبات مع الطفل لكي يستطيع أن يحدد نوعية التعامل معها. وتخطىء بعض الأمهات عندما يكنّ أحياناً كالنار المحرقة وأحياناً أخرى جامدة وباردة كالثلج، فلا الاستسلام الكامل للطفل صحيح ولا معاقبته وزجره على توافه الأمور. وليس من التربية الصحيحة جعل الطفل في خوفٍ دائم من الأم ولا تكسب قلبه بالمواعيد الفارغة والأكاذيب. وليس صحيحاً خلق رَوح الاستعلاء والغرور في العائلة والطفل من الناحية الأخلاقية ولا زرع الخوار والضعف والإحساس بالحقارة لديها. فتنحط أخلاق الأطفال الذين ينشأون في منزل يفتقد إلى التوازن الأخلاقي في التعامل ويعيشون مع أم متعصبة تغلي في تصرفاتها أو سلسة لا تحلُّ ولا تَعْقِدْ، مثل هذا البيت سيَكون وكراً للبؤس والشقاء وتخيّم عليه الأمراض النفسية والتعاسة. فمن الأخطاء في علم التربية الأخلاقية التسليم لإرادة الطفل وتلبية كافة رغباته بلا قيد أو شرط أو مقاومته ومعاقبته على لا شيء وعدم الاستجابة لما يريد.

الفصل الثاني

منع الإنجاب

يعتبر إنجاب الأطفال من أهم أهداف الحياة لحفظ النوع البشري وديمومته. ونلمس بغض النظر عن ذلك الحاجة لإنجاب الطفل لتشكيل الأسرة المتوازنة، فالبيت الذي يخلو منه يكون بارداً ويقبض النفس ولا أثر للإنشراح والمرح فيه.

الإنجاب من كمالات الإنسان:

يكون العقم وعدم إنجاب الأطفال نقصاً عظيماً للأسرة ونوعاً من عدم إشباع لغريزة الحب وعدم تحقيق أهداف الزواج ويؤدي إلى كآبة الأبوين فيما لو تأخر سنة أو سنتين وشعور أحدهما أو كلاهما بالنقص والعجز. يشعر الآباء بكمال الرجولة عندما ينجبون بشرط وجود الثقة بالنفس وكذلك المرأة فإنها تعتبر الإنجاب كمالاً لأنوثتها وإشباعاً لغريزة الأمومة عندها.

وقبل أن تصبح المرأة أُمّاً لا يمكن لها في الحقيقة والواقع أن تفهم أسرار الحياة ولا أن تفسرها وتعبر عنها ولا تدرك الواقع بمشاكله ومصاعبه بنظرة واقعية. ويعتبر الطفل وردةً تتفتح في أحضان الأم، لا تشعر بدونه بالتكامل ولا تحس الجمال.

تحديد الأطفال:

يمتنع اليوم كثير من الأزواج عن الإنجاب ولو لسنين معدودة ويعلّلون ذلك بمختلف الأسباب من جملتها المرض، التمتع بمواهب الحياة، المَلَل،

الأمراض الوراثية، عدم وجود فرصة لتربية الأطفال، الفقر. . . والخ.

تتُم في الحقيقة أكثر حالات منع الحمل لطلب الراحة والتمتع أكثر بالحياة والهدوء. يريد الأزواج أن تمرّ فترة على زواجهم يستفيدون فيها من لذائذ الحياة، وينسون ثلاث نقاط مهمة: **أولاً**: إن إمكانية الإنجاب تقل عند النساء بعد الثلاثين من العمر. **ثانياً**: يفقدون نشاط وقوة الشباب عند الكبر مما يفقدهم القدرة على تربية أطفال سالمين. **ثالثاً**: يفقد جو الأسرة الدفء والنشاط بعدم الإنجاب في مقابل راحة وهدوء مؤقتين.

يُخطىء بعض الأزواج الشباب بعدم الإنجاب أحياناً بحجة إعطاء فرصة أكبر للتعارف والتآلف بينهما بصورة أفضل لأن الاختلاف وعدم التجانس أو التلاؤم سيظهر وينكشف في الحقيقة بعد الإنجاب لا قبله.

الآثار الصحية لعدم الإنجاب:

يجب عدم الإنجاب لأسباب طبية وصحية فإذا علم الوالدان أن الطفل سيولد ناقصاً أو ذا عاهات وراثية أو أنّ حياة الأم ستتعرض للخطر عند الولادة فلا يجوز لهما الإنجاب. ولو أن مثل هذه الأمور تكون نادرة.

ضرورة الإنجاب:

لاحظنا أن الطفل يبعث على النشاط والحيوية في الأسرة ويقرّب بين الأبوين ويحل كثيراً من المشاكل والعقد القائمة بينهما. يعتبر امتناع الأم عن الحمل ذنباً كبيراً إذا كانت ترى في نفسها القدرة على تربية أبناءٍ صالحين لأنها ستحرم ليس الأسرة فحسب بل المجتمع من الرجال الأكفّاء والصالحين.

مسؤولية الإنجاب:

يجب التأكيد على شروط الإنجاب بنفس القوّة التي تؤكد فيها على الإنجاب نفسه، فإذا لم تشعر الأم بمسؤولية التربية يكون من الأفضل لها أن لا تنجب لأن الذي يريد أن يكون له طفل عليه أن يهتم ويتحمل مسؤولية تربيته وحمايته وتولية أموره لكي يعطي المجتمع أفراداً إيجابيين يفاخر بهم.

عدد الأطفال:

لا شك أنه يجب أن لا يترك الحابل على النابل في مسألة عدد الأطفال والاستسلام للقضاء والقدر بل لا بد من البرمجة والتخطيط في ذلك، فكم من الأسر التي لا تجد الوقت الكافي لتربية الأطفال وتغفل عن الاهتمام بشؤونهم لسبب بسيط وهو كثرتهم، فينشأ الأطفال في مثل هذه البيئة كالأعشاب الضارة وبلا شعور بالمسؤولية ويصبحون عبئاً ثقيلاً على كاهل الأسرة والمجتمع. فتربية الطفل في عالم اليوم لها أهمية قصوى تمنع بعض الأسر الإنجاب أو تكتفي بطفل واحدٍ أو طفلين لأن طور التربية أصبح اليوم ضرورة لا بد منها أو لأسباب اقتصادية ومن أجل رفاه الأسرة المادي.

يؤكد الأطباء وعلماء النفس أنّ منع الحمل وعدم الإنجاب يؤدي إلى أضرار وخيمة ولا يكفي الاكتفاء بطفلٍ واحد لأن حفظ توازن الأسرة ودفئها يقتضي أنْ يكون فيها على الأقل طفلان وذلك لأن لكل طفلٍ وضعه وأبعاد شخصيته الخاصة وتختلف عن الآخر. لتحفظ الأسرة تعادلها فإن الحدَّ المناسب لعدد الأطفال في مجتمعنا هو ثلاثة إلى أربعة أطفال بشرط أن يكون طبقاً لبرنامج مدوّن ومدروس ولتحقيق أهدافٍ محدّدة. فلا يشكل العامل الاقتصادي أصلاً مستقلاً في إنجاب الأطفال بل يجب أن لا نغفل عن التربية الصحيحة كأصلٍ آخر. ستنكشف مسائل الحياة المتنوعة بجلاء عندما يكون للأبوين أطفالٌ عديدون وسيدركانها بصورة أفضل وأعمق.

الطفل الوحيد:

يُنظر إلى الطفل الوحيد من الناحية العملية كمشكلةٍ للأسرة يكمن حلها في ولادة الطفل الثاني، وتكون وحدته عذاباً له ولأمه، لأنه يفتقد قريناً في حدود عمره يلعب معه ويفكر مثله ويحاكيه في حركاته وتصرفاته. صحيحٌ أن الأم ستشرف عليه ويمكن أن تنسجم وتلعب معه ولكن لا يمكن لها أن تصير طفلاً. ولذا يشعر الطفل دائماً أن شيئاً ما ينقصه ويكون في البيت كاليتيم. وليس مناسباً للأم أن يكون لها طفل واحد، كذلك لأنها ولعدم إمكانية المقارنة والمقايسة ستتوقع منه أن يكون بطلاً ممتازاً بين أقرانه في المدرسة، أجملَهم، وأذكاهم مما يسبب تحطيم شخصيته وانهيارها لكون ذلك

مستحيلاً بالنسبة إليه. ولذا نجد أنّ أغلب الأطفال الوحيدين يعيشون في حالة من الاضطراب والخيال ويفكرون دائماً في كيفية تحقيق تلك المطاليب.

ينحتون في عالم وحدتهم لأنفسهم أقراناً وأصدقاء خياليين ويلعبون معهم. وسيزداد الاهتمام به لعدم إمكان المقارنة بينه وبين الآخرين مما يؤدي إلى نشأته مدللاً لا إرادة له وسريع الغضب ويبعث على تخلفه العقلي والاجتماعي. ويسعى بعض الأطفال الوحيدين أحياناً إلى أنْ يخلقوا تنافساً بين الأم والأب في محبتهم وعطفهم عليهم ويريدون أن يكونوا أقرب لقلب الأم من الأب وبالعكس مما ينتج عنه أضرارٌ من عدة جوانب تنعكس عليه.

ينشأ الطفل الوحيد بسبب ما يلاقيه من المحبة المفرطة، حسّاساً، سريع الغضب، مدللاً، ويتوقع أكبر من حجمه ولأن توقعاته تلك لا تجد من يصغي إليها في المجتمع فسيشعر بالهزيمة والذلّة.

الفواصل الزمنية بين الأطفال:

لا شك أنه يجب أن تكون بين الأطفال فواصل زمنية لكي تستطيع الأم أن تتولى شؤونهم بشكل أفضل فيشكل وجود اثنين أو ثلاثة أطفال صغار وحاجتهم إلى رعاية الأم عاملاً لعذابها ومشقتها. فيجب أن يولد الطفل الثاني على الأقل حينما يكون الطفل الأول قادراً على المشي ويفهم الكلام. وليس صحيحاً من الناحية العلمية زيادة الفاصلة الزمنية بين الطفلين ويمكن أن يؤدي ذلك إلى إتلاف الجنين ويسمح الأطباء بالفاصلة من ٢ إلى ٣ سنوات بين الطفلين.

الفصل الثالث

الأم وسوء تربية الطفل

ذكرنا في الفصول السابقة أن الأم تعتبر أسوة وقدوة للطفل ومُرشدة له في الحياة، فيجب أن يكون سلوكها وأعمالها مثالاً يقتدي به الطفل ويتبعه لأنه يحتاج إلى صورة واضحة عن الحياة أمامه، وتمثل الأم أول شخص يرسم تلك الصورة ويجسمها له. فلا يكفي أن تريد سعادته وموفقيته بالكلام فقط بل لا بد من التخطيط والبرمجة وبدونها لا يمكننا أن نأمل مستقبلاً زاهراً له فما أكثر الأطفال الذين يصبحون ضحية لسوء تربية الأمهات المباشر وغير المباشر وتحف بهم المخاطر الجمّة في طريق حياتهم.

أنواع سوء التربية:

تقوم الأمهات الجاهلات ببعض الأعمال والأفعال غير المدروسة تؤدي إلى سوء تربية الطفل، ويمكن أن يكون سوء التربية مباشراً أو غير مباشر.

سوء التربية المباشر:

نشير هنا إلى ملاحظات عديدة منها:

١ ـ الأمر بالسباب:

تعلم الأمهات أطفالهن بعض الكلمات الركيكة وتطالبنه بالتلفظ بها لخروجها من فمه حلوة جميلة. ويمكن أن يتعلمها الطفل من الشارع وتقوم الأم بتشجيعه على تكرارها وإعادتها في الاجتماعات العائلية لتكسبها مرحاً وسروراً وهي غافلةٌ عن جدّية القضية ذلك لأنه الآن سيتلفظ بها حلوة وبهجةً

طفولية جميلة ولكنه سيتعلمها بالتكرار وستصبح عادية على لسانه عندما يكبر وسيكون عندها من الصعب إزالتها.

٢ ـ الأمر بالضرب:

يجب أن لا يجد الطفل الجرأة على ضرب أمه أو أبيه أو اخوانه وأخواته الأصغر منه، يمكن أن تكون ضرباته ضعيفة لا تلحق ضرراً بأحد ويبدو عمله ذلك للوهلة الأولى جذاباً لأنه طفل صغير ولكن علينا أن لا ننسى أن تكرار ذلك سيعوّده عليه مما يؤدي إلى ما لا يُحمد عقباه.

٣ ـ تعليم الخرافات:

يعتبر تلقين الخرافات للطفل من سوء التربية مثل عدم سكب الماء الحار في الظلام أو عدم العبور في المقابر ليلاً، وإذا نعب الغراب فمعناه كذا و. . . الخ.

سوء التربية غير المباشرة:

يكون كل عمل تقوم به الأم وكل كلمة تتلفظها برنامج عمل لحياة الطفل حالياً وفي المستقبل. فلا تتصور الأم أن طفلها غير منتبه ومشغول بألعابه فإن أذنَه وعينَه مفتوحتان يسمع ويرى كل شيء. وفي أكثر الأحيان يراقب الطفل حركاتها وسكناتها ويَحدُّ أذنه لسماع كلامها. ولذا سيكون عدم الدقة في الأفعال والأقوال ضرباً من التعليم اللامباشر للطفل ومن جملتها:

أفعال الأم الظاهرية:

تسري آثار أفعال الأم السيئة للطفل مثل عدم قيامها بواجباتها في المنزل، وإظهار الكسل والأوامر النواهي الواهية والتفاخر والاستعلاء على الآخرين والتوعد والتهديد الفارغ، و. . . الخ.

وتعتبر من طرق سوء التربية اللامباشرة. ومن أنواعها الأخرى، عدم الوفاء بالوعد، المخادعة والحيلة، فسيتقمصها الطفل وتصبح عادةً له، ويفقد في هذه الأجواء ثقته بأمه أولاً ويتعلم طرق التملّص من أعباء المسؤولية ثانياً وسيكون طبيعياً للطفل أن يبرز نفسه كما تعلّم فعلى الأم مراعاة الدقة والاحتياط في أعمالها وتصرفاتها.

أقوال الأم:

يكتسب الطفل من أمه الكلمات الركيكة، واللمز وكلمات الاستهزاء، وحتى الأيمان الصادقة والكاذبة. وتعتبر كلها نوعاً من سوء التربية.

سوء التربية في التعامل:

يجب على الأم أن لا تُخطِّىء زوجها عند غيابه أمام طفلها نتيجةً لمشاجرة كلامية بينها وبينه لأنها ستحطم بذلك صرح المثالية له وتجعل جو الأسرة مضطرباً. وتعطي الطفل دروساً في سوء التربية عندما تتهجم على جيرانها وتذكرهم عند غيابهم بالسوء والفحشاء في الوقت الذي تبدي ودّها وعلاقتها أمامهم. فيجب أن نتوقع الآثار الخطيرة عليه عندما تتوسل بالكذب لتبرئة نفسها وعندما تبذر بذور النفاق والعداوة بين اثنين بالنميمة فلا ننتظر من الطفل خلاف ذلك.

الضيافات والدعوات:

يشترك الطفل عادةً مع أمّه في المجالس ويتعلم منها آداب التعامل وواجبات الضيافة والمعاشرة، ويقتبس منها كتم الأسرار والعلاقات الخاطئة والصحيحة والمزاح والملاطفات المناسبة والغير مناسبة، ويفهم منها ما هو الإخلاص؟ وكيف ينحون بعضهم بعضاً؟ فلماذا نَدَعُ الطفل يتعلم دروس الخيانة والرياء؟!

تعطي الأم لطفلها درساً في الخيانة عندما تمتنع عن أكل فاكهة معينة عند حضور المضيف بحجة عدم شهيتها وتأكلها عند غيابه.

وتلقنه درساً في سوء التربية عندما تجعل منه أضحوكة أحياناً في مجالس الضيافة لإضفاء جوٍّ من المرح والفكاهة والبهجة على المجلس وتجبره على محاكاة بعض الأصوات وتلفظ بعض الكلمات بلهجته الطفولية العذبة وتغفل عن أن مثل هذا الأمر سيكون على حساب أخلاقه واحترامه في المستقبل.

سوء التربية النفسية:

تُلقِّن الأم طفلها درساً سيئاً عندما ترتعد فرائصها لقفزة فأر صغير أو تصرخ مستغيثة من صرصار على الجدار وغيرها من ردود الفعل اللاإرادية.

وقد علّمت الطفل أن يكون مثلها عندما تفقد شجاعتها وجرأتها لرؤية خنفساء واحدة حيث يطير صوابها لذلك.

لا شك انّ الإنسان يتأثر بالمصائب ولكن عليه أن لا يضعف ولا يستسلم للأوهام ولا يخرج عن طوره الطبيعي ليعيش في دوّامة من القلق والاضطراب.

تزويق الأم وجهها وتجميله بمواد التجميل دائماً لنقص فيه أو لزيادة جماله، وشعورها بالحقارة وما تبديه من تأثرها الدائم لهذا النقص يعطي الطفل درساً بأن الجمال ينحصر بالوجه والظاهر وأن الظاهر القبيح من النقائص الخطيرة.

سوء التربية عند المعاقبة والتشجيع:

يبعث على غرور الطفل تمجيده بما ليس فيه ووصفه بأنه أشطر وأذكى وأعقل من الآخرين ويؤدي به إلى حب الذات ويعتبر هذا من عوامل سوء التربية. وتشكل المعاقبة القاسية والمزدوجة بالإهانة درساً سيئاً للطفل.

لا تطلب عادةً الأم من الطفل أن يكذب ولكنها تضعه في كماشة وتضغط عليه بنظراتها حيث تجعله مجبوراً ـ ولإنقاذ نفسه ـ أن يتوسل بالكذب. يمثل هذا في حقيقته نوعاً من الإجبار على الكذب وسوء التربية.

يجب أن لا نقوم عند تأديب الطفل ومن أجل تقوية معنوياته بتلقينه مفاهيم مغلوطة وخاطئة، فمثلاً قول الأم: «إن الولد لا يبكي، وان البكاء للبنات» يمكن أن يؤدي إلى توقفه عن البكاء فتتصلب إرادته ولكنها تضعف جانب البنت وتشوهها في ذهنه نتيجة ذلك.

السيطرة والتحكم على وسائل الإعلام:

تَبثُّ أجهزة الإعلام (الجرائد، المجلات، الكتب، الراديو، السينما، وجهاز التلفزيون) براجماً سيئة لتربية الطفل أو على الأقل لا تناسبه. وحيث يعتبر الطفل ممثلاً جيداً يقوم بمحاكاة كل ما يراه ويسمعه، وتحرّك عنده عادات الممثلين وتصرفاتهم في الأفلام غريزة المحاكاة فيجب على الأم التحكم والسيطرة على هذه البرامج إنْ أرادتْ إصلاح الطفل وتربيته تربيةً صالحةً.

الفصل الرابع

أخطاء الأم

يُحدّد أسلوب الأم في التربية مصير الطفل في المستقبل، وتتعلّل كافة سعاداته وشقاوة أيامه السوداء إلى استخدامها للأسلوب الصحيح أو الخاطىء. ولا شك فإن الأم مثل سائر أفراد البشر معرّضة للخطأ وتنشأ أغلب أخطائها من الجهل وقلّة الاطّلاع على أصول علم التربية، فإن تثقفت ثقافة تربوية فسوف تكون قادرة على تربية الطفل بدون مصاعب. ولكي تستطيع اجتثاث الخطأ من جذوره فمن الضروريات الأساسية والملّحة أن تقوم بتقييم الأساليب التي تتبعها في الحياة وتقويمها وإلاّ فستجر أذيال الندم والحسرة وثقل الشعور بالذنب إلى الأبد.

تؤدي أخطاء الأم مهما كانت العلل والأسباب إلى توجيه ضربات قاسية للطفل وتنتقل آثارها بصورة غير مباشرة إليه، وذلك نتيجةً لالتصاقه الدائم بها.

سنبحث في ما يلي أخطاء الأم مع نفسها والآخرين.

أخطاء الأم الذاتية:

سنتطرق في هذا الجزء إلى مسائل أهمها ما يلي:

عجز الأم:

تخطىء الأم خطأً كبيراً عندما تتصور بأنها لا تقدر على التربية وتبدي عجزها في ذلك بحضور الطفل. فسوف لا يمكنها أنْ تُربّيه حينما تتحطم

أبهّة شخصيتها أمامه. وإظهار عدم طاقتها على تحمل المشاكل قبال الطفل هو من أخطائها الأخرى.

وتلقي أخطاء الأم الأخرى ظلالها الثقيلة عليه مثل، تخويفه من الأب بسبب ضعفها وخوارها، وتصورها بأنها تعيسة دائماً، وإلقاء اللوم على الآخرين والشكوى من الحياة، وشعورها بالهزيمة في صراع الحياة و... الخ.

نزعة الاستعلاء عند الأم:

تتوقع الأم المصابة بنزعة الاستعلاء من أطفالها أكثر مما يقدرون عليه، وسيظهر مدى انحطاط نفسيتها عندما يؤدي مرضها ليس إلى حسد الآخرين فحسب بل سيتعدى ذلك إلى حسد أطفالها أيضاً، ومن مظاهر هذه الحالة اجتماعيا ما نراه في علاقة بعض الأمهات مع بناتهنّ السعيدات في الحياة.

الكذب والكتمان:

يعتبر إخفاء الحقائق وبالأخص ما يتعلق منها بالطفل من الأخطاء الفادحة. تخطىء الأم حين تتظاهر بالاطلاع والمعرفة وتخفي جَهلها. ومن الخطأ أيضاً خلق المشاكل للطفل والاستهانة بها. فمثلاً عندما تؤكد له أن زرق الإبرة لا تؤلم لأنه سيعلم بعد زرقها وتألّمه بأن أمه قد كذبت عليه وسيفقد عندئذٍ ثقته بها. فكان يجب عليها أن تقول له بأن زرق الإبرة فيه شيء من الألم ولكنه ضروري لاستعادة صحته وسلامته وعليه أن يتحمل آلامها وتشجعه على أنْ يتقبل ذلك بأعصابٍ هادئة وعن قناعةٍ تامة.

الأخطاء في التعامل مع الحياة:

لا تفقد الأم المثالية توازنها في حالتي الفقر والغنىٰ، فلا ترتبك وتجزع عند الفقر ولا تتخبط وتسرف وتنفق ما في يديها عند الغنى. ويعتبر تجاوز تلك الحدود من الأخطاء القاتلة للأم والأسرة.

المشاجرة مع الزوج:

ترتكب الأم خطأً لا يغتفر حينما تتشاجر مع زوجها عند حضور الأطفال، فما أقبح منظر عراك الزوجين حيث يأخذ الطفل دور المتفرج على

ذلك ليتعلم منهما دروس الحقد والنفاق بصورة عملية. وتخطىء الأم عندما توجه الاتهام للطفل عند الطلاق وتجعل ما قام به من الشيطنة البريئة سبباً لتركه وتقول له بأنها ستتركه وستذهب بُعداً عن ذلك. وتدع الطفل يشعر بالخطيئة مدى حياته.

أخطاء التعامل مع الناس:

يعطي الرياء والنفاق درساً سيئاً في الأخلاق للطفل، فتخطىء الأم التي تتعامل مع الجيران عند حضورهم بشكل وفي غيابهم بشكل آخر، وتقوم عند حضور شخص ما بمدحه والثناء عليه بينما تعيبه وتذمه في غيابه.

عند استقبال الوليد الجديد:

يجب على الأم التي تنوي إنجاب طفل آخر أن تُهيىء أذهان الأطفال لاستقباله وتوضح لهم بأن الأسرة تنتظر قادماً جديداً لا يهمها لوحدها بل يرتبط بجميع أفراد العائلة وإلاّ فإنها ستثير حسدهم بالأخص إذا لمسوا التفرقة في تقسيم عواطفها عليهم وأحسوا بأنها تحبه أكثر منهم.

يتراجع بعض الأطفال وينكمشوا على أنفسهم روحياً وعقلياً عندما يشاهدون الأم تبذل محبتها وعاطفتها لأخيهم أو أختهم الأصغر منهم وتمنعها عنهم. ويقوم الطفل بمحاكاة الأصغر منه في حركاته ويتراجع في تصرفاته ليحاكي تصرفات أخيه الأصغر من أجل أن يكسب اهتمام وتوجه الأم إليه. تظهر هذه الحالة بسبب عدم توجيه الطفل بأنّ أخاه الأصغر منه يحتاج إلى رعاية واهتمام أكثر، وعدم شرح الوضع له. ولذا نلمس أحياناً أن أخطاء الأم الجزئية تبعث على بث بذور النفاق والفرقة بين الأطفال وتسبب تخلفه العقلي وضعف نموه العاطفي.

التعامل مع الطفل:

قبول الطفل:

يعتبر عدم تقبل الطفل بسبب نوع جنسه أو ضعفه وعاهته من أخطاء الأم، فما ذنب الطفل عندما تريد الأم طفلاً جميلاً وتلده قبيحاً أو تطلب ولداً وتأتيها بنت.

يتفهم الطفل ذلك تدريجياً ويبدأ بالشعور بالذنب، والذي سيكون ليس لمصلحته أبداً ويمكن أن يؤدي إلى عواقب أشد خطورة عليه.

حب الطفل:

تعدو الصواب الأم التي تريد لطفلها أن يمتلك كل شيء. يأكل ويلبس ويستريح أفضل من الآخرين، فيلزم الطفل أن يعاني قليلاً وهذا النوع من العاطفة يضرُّ بمستقبله ويجب أنْ يتذوق قليلاً طعم المرارة والحرمان ويتعرف على مشاكل الحياة، ومن أخطائها الأخرى تعويد الطفل على الأحضان بشكل يمنعها من الحركة والقيام بأمورِ المنزلِ اليومية. فإذا تركت له حرية الحركة ولم يكن معتاداً على الأحضان سيشعر بالمحبة ويلمس الحنان بصورة أفضل. فيجب أن لا تبعث المحبة على فساده الأخلاقي وإعطائه الرشاوىٰ.

وسوف لا يعتني بكلام الأم إن أدرك بأنه سيحصل على كل شيء بالبكاء، وسينشأ نشأة غير منطقية حيث يريد الحصول على احتياجاته بالقوة ويتوقع الاستجابة لمطاليبه، فلا تخرج المحبة عن حدودها ولا المبالغة في مدحه والثناء عليه وإلاّ سوف تبعث الروح الاتكالية وتقويها عنده، فيجب الامتناع عن ذلك وبالأخص على مرأى من الآخرين.

ملابس الطفل وزينته:

ليست حياة الطفل من أجل الملابس ضرورية لديمومة حياته وبقائه. فلذا يجب عدم التضحية أبداً بمصالح الطفل الحياتية من أجل الملابس وديباجتها وكيفية خياطتها. ولا تستعملوا ثياب الجنس الآخر لتزيين الطفل وتزويقهم فإن ذلك من سوء التربية ويعتبر خطأً فاحشاً. فليس من مصلحة الطفل ما تقوم به بعض الأمهات عندما يَرذن البنت ويرزقهن الله صبياً، بإكسائه ملابس البنات وإخراجه بشكلها ومخاطبتهم بالتأنيث مما يؤدي إلى نشوء وبلورة تلك الأحاسيس في داخله ويجعله يتقمص شخصية أنثوية ويفقده التوازن الروحي.

معاقبة الطفل:

يشكل تعيير الطفل بعاهاته الجسمية أو بقبح وجهه وإهانته عند العاقبة لحرق قلبه خطأً فادحاً تقوم به الأم. فليس صحيحاً معاقبة الطفل بقسوة

وبصورة مضاعفة بالإضافة إلى إهانته والاستهزاء به. ومن الخطأ أيضاً طرده من البيت بشكل يؤدي إلى إرعابه وتسرب الشعور بالوحدة إليه وبأنه قد فقد من يحميه، ولا يسمح علم التربية بسجن الطفل في مكان يخاف منه وبذلك تخلق الأم من حيث لا تشعر الأجواء المناسبة لإصابته بمختلف الأمراض النفسية.

إجبار الطفل:

لا تنتظروا من الطفل أكثر من قابلياته ولتكن توقعاتكم منه معقولة ومنطقية فلا تجبروه وتشجعوه على الاشتراك في سباق لا يقدر عليه لتحقيق رغبات في أنفسكم فلقد أثبتت التجارب أنّ ذلك يجعل الطفل يشعر بالضعف والهزيمة ويمكن أن يؤثر حتى في قدرته على النطق وسيؤدي إلى لكنته في الكلام.

القيام بالواجبات المدرسية:

تخطىء الأم حين تقوم هي بواجبات طفلها المدرسية حيث تكتب له وظائفه وتملي عليه موضوع الإنشاء وترسم له. فلا يكبر مثل هذا الطفل أبداً علمياً وثقافياً.

إجابة أسئلة الطفل:

يعتبر من أخطاء الأمهات إعطاء الطفل أجوبة مبهمة أو ناقصة على أسئلته. وعدم ملء فراغ السؤال في ذهنه بسبب جهل الآم أو عدم الاكتراث حيث يضر ذلك بالطفل كثيراً ويجعله يبحث عن أجوبتها عند الآخرين وتكون عاملاً لسوء تربيته.

تجاهل مراحل نمو الطفل:

يجب على الأم وبالأخص التي يكون لها بنت أن تجعلها تتعلق بها بشكل تكون فيه هي الملجأ والركن الذي تأوي إليه وتفشي كل أسرارها بدون خوف أو وجل إليها. ويجب على الأم أن تخبرها بضروريات مراحل نموها وحتى المسائل المتعلقة بسن البلوغ قبل بلوغها وإلاّ فإن الأخطار تترصدها ويمكن أن تودي بحياتها.

القسم الرابع عشر

خطيئة الأم

يَشمئزُ الإنسان من المرأة التي تتزوج من أجل اللذة وإشباع الرغبات الشخصية، والأدهى من ذلك عدم التخطيط والبرمجة وتحضيرها لتربية الجيل الجديد الذي سينتج طبيعياً عن الزواج.

إن لم تنجب الأم، أفضل لها من أن تصبح أمّاً ولا تشعر بالمسؤولية أو تقيم للحياة وزناً. يولد الطفل عارياً من كل شيء ومحتاجاً إلى المساعدة والحماية من الآخرين وينتظر من أمه أن تُمسك بيده، ويرغب بالعيش في حضنها في حين تترك الأم المغرورة والمعجبة بنفسها الطفل للمربية والمرضعة وتهمل شؤونه وتتجاهل احتياجاته وتتبع في ذلك هوى النفس وتبالغ باللذائذ ومجالس اللهو والتفاهات. تقصّر مثل هذه الأم وتذنب في حق طفلها وستكون مسؤولة من الناحية التربوية.

سنتناول في هذا القسم أساليب أمثال هذه الأمهات المغلوطة والآثار التربوية السيئة لها.

الفصل الأول

الأمهات اللاهيات

تؤثر الراحة النفسية والجسمية إيجابياً في تربية الطفل ويعتبر استفادة الأم من اللذائذ المشروعة والترفيه عن النفس والقيام بمهمة التربية بأعصاب هادئة ونفس مطمئنة من الأمور الضرورية جداً لها. وهذا مما يأمر به الإسلام ويؤيده العقل، ولكن يجب عدم الإفراط والمبالغة في ذلك لأنه لا يلحق الضرر بالأم فقط بل سيكلف غالياً ويؤدي إلى مشاكل ومصاعب معقّدة في مسألة تربية الطفل.

مشكلة العصر:

حدثت تحولات كبيرة في جوانب حرية المرأة في السنين الأخيرة ولذا أصبح الاهتمام بظواهر الأمور والابتعاد عن حقائق الأشياء وجوهرها أمراً عادياً ومميزاً لها. فكم من الأمهات اللواتي خدعتهن مظاهر المدنية المزيفة وليس لهن هدف في الحياة سوى الانغماس بالشهوات والانشغال بالتفاهات عن تربية الطفل، وظهرت نساء تدعى بالمثقفات؟! ولكن خاليات من العواطف والعلاقات الأسرية ومفككات العرىٰ، هروباً من مسؤولية التربية، وحب الانطلاق والتحرر من الالتزامات.

فقدت الأمومة قيمتها واحترامها لديهن وأصبحن عُرضةً لأنظار المنهومين ووضعن أنفسهن في موضع التهمة، وأضعنها بالرذيلة فكان من نتائجها أن فقد الطفل معنى الأمومة الواقعية وتزلزلت قواعد التربية في الأسرة وأعطت المجتمع جيلاً متحللاً ومغروراً.

قيمة الأمومة ولذتها:

ليست الأمومة وقيمتها أن تذوق المرأة في كل لحظة نفسها وتزينها وتعرضها في الحفلات والمجالس كدميةٍ أو عارضةِ أزياء بل تحصل الأم على الراحة النفسية والشعور بالرضىٰ عندما تمنح وقتها وعاطفتها لبناء شخصية الطفل وتحقق معنى الأمومة وتمنحها قيمتها بالإيثار والتضحية والرغبة الصادقة لتربية الجيل الجديد. وتشعر الأم الواقعية بالسعادة لأنها ستبني مجتمعَ الغد وستمنحه رجالاً مفكرين ومثقفين يشعرون بالمسؤولية وإن ذبحت أهواءَها قرباناً لذلك. تكمن لذة الأمومة في قيام المرأة بواجباتها الفطرية التي أودعها الله فيها. وتسعى إلى وضع كافة قدراتها وإمكاناتها بشكل يجعل أطفالها يرفلون بالسعادة والهناء وعندها ستشعر بالرضىٰ يملأ كل خلجات نفسها.

الأم المتصابية:

ليس مناسباً للمرأة أن تصبح أمّاً ولا تزال تتصرف كالأطفال وتفكر بطريقتهم. فتعتبر طفلةً المرأة التي تفكر دائماً بإظهار جمالها بالرتوش وتقضي وقتها بالاهتمام بآخر موضات الملابس ولا يشغل ذهنها إلاّ الحفلات وكيفية قتل الوقت بالتفاهات وإنْ صارت أمّاً لعدة أطفال وتكون مراهقة في أفكارها وإن تزوجت وبلغت نضجها الجسمي والفكري على الظاهر. فيجب أن تتعدل مطاليبها ويتّزن سلوكها وتصرفاتها عندما تتزوج وبالأخص عندما تصبح أُماً. وتنتبه إلى بواطن الأمور وتتعمق فيها وتقلل من الاهتمام بظاهرها فليس من شأن الأمهات أن يَكنّ دائماً في حالة من اللهو والغفلة وتضييع الأوقات وصرفها بالتوافه السخيفة.

آثارها التربوية:

تفقد الأم التي تغرق في عالم من عدم الإحساس بالمسؤولية واتباع هوى النفس فرصة إسداء العاطفة لطفلها فتقضي عمرها باللهو والطرب ولا تستطيع التأثير إيجابياً عليه في إصلاح ميوله ونزعاته، وفي سلامته الروحية والنفسية في المستقبل. فكيف تكون أماً وكيف ستربي طفلها تلك التي تقضي أوقاتها في ارتياد السينمات، والمسارح، ومجالس اللهو والطرب وتنشغلُ دائماً بالحفلات التافهة والسهرات؟!

وكيف تشعر بالمسؤولية التي تحطم ملجأ الطفل وتمحوه من الوجود لتتركه وحيداً تحت رحمة الآخرين؟ فعندما يخرج الأب والأم لقضاء أوقاتهما باللهو والسهرات ويتركان طفلهما بيد من ليس له أهلية ذلك فإنه سيشعر بالضيق النفسي ويثور غضبه، ويحرك عنده الإحساس بأنه مسجون بيد الخادمة أو المربية، ولكونه لا يستطيع أن يعكس غضبه ويبرز ردود فعله فسيصبح مضطرباً آيساً وتتولد عنده أمراض نفسية يصعب علاجها.

تقوم بعض الأمهات للحصول على فرصة أكبر بإيداع أطفالهن في رياض الأطفال وأسوأ من ذلك توكيل المؤسسات الخافرة والمعاهد ذات الأقسام الداخلية برعايتهم. نؤكد أن رياض الأطفال لا تروّي ظمأ الطفل إلى العاطفة والمحبة لأن المربي ومهما كان حاذقاً ومجرباً في التربية لا يمكن له أن يحل محل الأم ويروّح عن نفس الطفل ويشرح صدره. ولذلك ييأس الطفل من الحياة عندما يفقد أحضان أمّه أو لا يحصل عليها إلاّ نادراً ويأكل في نفسه دائماً وسيصاب بداء الكآبة والقلق.

مسؤولية الأم:

تتأكد مسؤولية الأم عن سلامة الطفل روحياً وبدنياً في منعه من الانحراف والاعوجاج وسوقه إلى الأهداف السامية وتوجيهه نحو القيم العالية والفاضلة.

لذا فعليها أن تكون ذات منطق وهدفية في الحياة، تفهم الفضيلة والأخلاق. والأهم منه تطبيقها عملياً في منهاج الحياة، فلا يمكن لها أن تعلم الطفل عكس ذلك إذا كانت غير مبالية وتقضي أوقاتها بالمبالغة والإفراط باللهو والتفاهات وليس لها منطق وهدف في الحياة. وستعطي المجتمع في هذه الحالة أفراداً لامسؤولين يصبحون عبئاً ثقيلاً على كاهله.

حدود اللهو:

يكون اللهو والمرح إيجابياً بشرط أن لا يأخذ وقت الأم كله ولا يشغلها عن أداء واجباتها لأنها وقبل كل شيء مسؤولة عن طفلها وحياته. ولا شك فإنها ستحتاج إلى وقت تقضيه في مجالسة الأقرباء والصديقات وما أشبه ذلك

بشرط أن يكون الطفل بصحبتها، وإلاّ فاللهو المتفسّخ في المسارح والملاهي ليس في شأن الأمهات. ولا ضير بل وضرورياً القيام بالنزهات العائلية والسياحية للتعرف على جمال الطبيعة وبصورة متناوبة أو التجوال في الحدائق والمنتزهات والبساتين وتكوين العلاقات الاجتماعية والقيام بالزيارات المتبادلة.

خطر اتباع الهوى:

يشكل اتباع الهوى، اللهو الماجن، وعبادة آخر الموضات خطراً على الأم والطفل معاً. فالاستسلام لهوى النفس يجعل من الأم منبعاً للفساد ولا يلد منها إلاّ الأمراض والجرائيم وليس أطفال سالمون مثقفون. وستكون أقرب للجنون عندما تركب عقلها وتتبع أهواءها الشيطانية وستصبح شخصاً فاقداً لتوازنه وهدوئه النفسي ولا يمكنها حلّ مشاكلها والتغلب على المصاعب التي تواجهها.

يجب على الأم أن تتجاوز أهواءها وتسحق المبالغة والإفراط في أمنياتها عندما تريد أطفالاً يحسون المسؤولية وتقوم بواجباتها وتبرمج وتخطط لمسؤوليتها الجسيمة.

النظرة إلى المستقبل:

سوف لا يمكن للأم أن تتجاهل مسؤولياتها تجاه الطفل وتلقيها عن كاهلها وعندما تجسم صورة المستقبل له وترسم في ذهنها وضعه القادم، يفقد الأطفال الُمهمَلون في صغرهم الالتزام والتعادل في مرحلة الشباب وقد تستمر عندهم حتى الشيخوخة. ويشكل أطفال الأمس الذين أعطتهم أمهاتهم بأعمالهنّ دروساً سيئة في التربية أو كنّ لهم قدوة شاذة اليوم غالبية الذين يلهثون وراء الموضات والترف، وأكثر طفيليي المجتمع.

يلوث محيط الأسرة روح الطفل وانشغال الأمهات بالسهرات الماجنة، والمجلات الخليعة والقضايا الجنسية ويمكن أن تؤدي إلى عوارض جانبية مثل بلوغ الأطفال المبكّر وفي غير حينه، فتمتنع الأم عن ذلك إذا تصورت اللذائذ الآنية في مخيلتها وإلى جانبها العوارض التي تنشأ منها مثل الأمراض النفسية والشقاء والتعاسة.

كبح جماح النفس:

لا نفرض على الأم ترك الأفراح واجتناب المسرّات وإنما نقول ان عليها كبح نفسها ومرديات الهوى ولا تفكر إلاّ نادراً بما عند الأخريات، وتقلل من المنافسة مع الأخريات بمجالس اللهو والحفلات، وعبادة الموضة. ويمكن لها تحقيق ذلك بشرط أن تكون لها الإرادة الصلبة وتمارسها وتتمرّن عليها للوصول إلى الهدف المنشود. وتستطيع أن تضرب بعقل الشباب والهوى المراهق عرض الجدار وتهتم بمستقبل الطفل وتربيته وفقاً لمنهج مرسوم.

الفصل الثاني

الأمهات المستقيلات

تعتبر تربية أطفال متزنين ومعتدلين من وظائف الأم الأساسية، فيحتاج الأطفال إلى أحضان الأم والمراقبة ويمكن للآخرين القيام بهذه المهمة ولكن لا يمكن لهم أن يحلوا محل الأم ويملؤوا فراغها، لأن التجانس والموائمة مع الطفل تستلزم صبراً وجلداً لا يتوفران لدى المربية والخادمة.

لذا يجب على الأم مباشرة التربية شخصياً وخاصة من الأمور والاحتياجات الضرورية له والتي يمكن لها القيام بها ولا توكلها إلى الغير.

ليس اليتيم دائماً من ماتت أمه أو فقدها بل اليتيم من كان له أمّاً لا تقوم بشؤونه ولا تتحمل أعباء مسؤولياتها تجاهه وتهمله. فما أكثر الأطفال الذين لهم أمهات ولكنهم يتامىٰ.

ويتيم ذلك الطفل الذي تكون أمّه لا صبر لها ولا طاقة، ولا تجد المجال الكافي لملازمته، ولا تستطيع كبح جماح ميولها، أو تتعذب من عقدها عندما تنظر إليه لأنه غير شرعي فتتشرد أفكارها، أو يطاردها القانون ويلاحقها لجرائمها أو لديها نقص عاطفي أو مبتلية بالجنون أو غائبة عن طفلها بسبب زواجها الثاني وغير متزنة ولا متعادلة وبالتالي مغرورة تعبد ذاتها. ولذلك ليس لها دور مهم في حياته.

ضرورة محبة الأم وقيمومتها:

يفتقر الطفل إلى حنان الأم من جانب ويحتاج إلى سيطرتها وقيمومتها من

جانب آخر. علينا أن نذكّر في الجانب الأول أنه عندما يُحرم الطفل العاطفة والحنان لا يمكن له أن يمنحها للآخرين. ونذكّر في الجانب الثاني أن قيمومة الأم وسيطرتها في تربية الطفل من أجل ترسيخ مفاهيم الانضباط في ذهنه بشرط عدم الاستبداد ورعاية المنطق والعدل فيها.

لا تتوفر هذه الحالة عند المربية أي لا يمكن لها التوازن بين قطبي المحبة والتحكم، وتعتبر الأم التي لا تمنح حنانها ومحبتها للطفل أماً مستقيلة وستفقد أبهّة شخصيتها إذا لم تأمر وتنهى وتطبق القواعد الانضباطية.

فقدان الإحساس بالأمومة:

تفقد بعض الأمهات ولأسباب كثيرة أحياناً إحساسهنّ بالأمومة ويهملن أولادهن مما يؤدي إلى نشأتهم سيئي الخلق، بلا وئام وبنظرة متشائمة إلى الحياة، ويتحرق قلب الأم عندما تشاهد جراحاً سطحية على جسم الطفل وتغفل عن جراحاته العاطفية والروحية لعدم إمكانية لمسها. فإذا كانت الأم لا تبالي بأحاسيس الطفل ومشاعره وتوكله إلى نفسه أو إلى الخادمة لتأمين احتياجاته فقد أصابت المقتل في فكره وشعوره بشكل يصعب فيه تدارك عواقبه وتلافي آثاره. فلم تقم بواجب الأمومة وفقدت الإحساس بها مَنْ تلهو عن الطفل بأعمال أخرى وتدعه في أيدي الخادمة أو المربية. فليس لها أن تدعي الأمومة التي لا تعير أي أهمية ولا تسعى إلى تربية طفلها والتي تقصر في إبداء الحنان والعاطفة اللازمتين له. وتخالف الفطرة وقانون الحياة التي تفقد عاطفة الأمومة وتترك أطفالها لأي سبب كان.

تعاني مثل هذه الأمهات من أمراض نفسية وعصبية وإلاّ فكيف نفسّر إحساسهن بالنفور والاستغراب من أطفالهن؟! وليس بعيداً أن يرجعن إلى أنفسهن يوماً ويلتفتن إليها ولكن بعد فوات الأوان وبعد أن لا يجدن الفرصة الكافية لإعادة بناء الطفل وصياغته، وستلاحقهن لعنة الضمير والوجدان طيلة أعمارهن.

نماذج من الأمهات المستقيلات:

نعكس لكم صوراً مختلفة لاستقالة الأم من وظائف الأمومة. فالأم التي

تعجز عن تنفيذ البرامج الانضباطية للأطفال وتحول ذلك على الأب هي أم مستقيلة، وتفرّ من مسؤولية الامومة تلك الأم التي تبعث بطفلها إلى رياض الأطفال بحجة تربيته بصورة أفضل بينما تبحث عن الفراغ وراحبة البال، في الحقيقة، لكي تتخلص منه ومن شيطنته.

وتستقيل الأم من مهامها عندما تجعل طفلها تحت رحمة المربية من أجل حفلاتها وسهراتها المستمرة.

أسباب الاستقالة:

يكون توكيل مسؤولية الأطفال للمربية أو الخادمة والهروب من عبئها وإلقاؤها على كاهل الآخرين غالباً لطلب الراحة والترفية عن النفس ولا ترغب أحياناً أن يزول أصباغ أظفارها ولا تريد أن يتأثر جمال يديها وهندامها. والفرق الشاسع واضح بين طريقة التفكير هذه وبين مسؤوليات الأمومة. فالأم التي لا ترضع الطفل حفظاً على صدرها من الترهل، والأم التي تبحث عن الانطلاق وتستخدم المربية أو الخادمة للمنزل من أجل تسهيل عملية ذهابها وإيابها هي ليست أمّاً بل شخصاً لاابالياً مغروراً.

أضرار تربية المربية:

يعتبر توكيل تربية الطفل للمربية نوعاً من المكننة في التربية وتحويل مسؤوليته للخادمة نوعاً من الرعي وتسمين العجول فلا فرق بينه وبين إعطاء مسؤولية الخراف لِيسرح بها الراعي في المراتع ويسمّنها. فلا عواطف ولا حنان ولا محبة وستكون نتائجها كما يقول المثل اليوناني «إذا وكّلت تربية طفلك للخدم والعبيد فستكون عما قريب صاحب عبدين».

فمهما كانت المربية على خلق حسن وحنكة وتجربة في اختصاصها فإنها لا تستطيع أن تقوم بوظيفة الأمومة وتحلّ محلها ولا يمكن لها أن تلبي كافة احتياجات الطفل التربوية. فلا تتعب ولا تملّ الأم من التحدث إلى طفلها. وإنّ اشتراكها الفعّال والمباشر في تربيته يهيىء المجال المناسب لإسداء المحبة والحنان إليه لأنها لا تتصنع ذلك.

فكأن الطفل عندما يشاهد العواطف الكاذبة والحب المصطنع للمربية لا يستسيغه ولا يود الافتراق عن أحضان أمه عندما ينام وادعاً فيه ليلاً إلاّ إذا

تعوّد ذلك أو ييئس من إقناع أمه به. وعجباً كيف تستطيع الأم سماع صراخ طفلها وبكاءه واستغاثته وعذابه ثم تستمر هي في غيّها غير عابِئة وتتابع نظام حياتها المتخبطة.

شروط المربية الصالحة:

إذا لم يكن باستطاعة الأم تولي أمور الطفل لأسباب مختلفة وتترك ذلك للمربية فعليها أن تنتخب المربية الصالحة وتسعى بدقة وتفحص حيث تتوفر فيها الشروط التالية:

- يجب أن تكون مختصة ومخلصة ويمكن الاعتماد عليها من الناحية الأخلاقية والفكرية.
- تفهم لغة التخاطب مع الأطفال ولها تجارب في التربية.
- تتحلى بالصبر والقدرة على التحمل، وتتلذذ بالعيش مع الطفل.
- لا تعاني من المشاكل في حياتها الخاصة أو أن تكون مشاكلها قليلة، لأنها ستعكس ذلك على الطفل وستظهر آثاره عليه.
- تراعي المسائل الصحية وتتمتع بثقافة عامة وبمستوى دراسي مناسب.
- تتحدث بالحسنى وبالطيب من القول.
- غير مصابة بالأمراض المعدية، وغير سيئة الأخلاق ولا عصبية المزاج.
- عديمة الانحراف والشذوذ الأخلاقي.
- تعتبر الطفل إبناً لها وتناديه «ولدي».

فعندما لا تقدرالأم القيام بمسؤولياتها فعليها على الأقل كتكفير للذنب أن تنتخب مربية صالحة وتستثمر أموالها لخلق جوٍّ آمنٍ للطفل لتربية الجوانب المادية والمعنوية لديه.

ومن المهم أن نذكر هنا ملاحظتين مهمتين في التربية:

١ ـ يجب أن تكون المربية شابة وفي حدود عمر الأم.

٢ ـ عدم توكيل الطفل إليها بصورة مفاجئة بل بالتدريج لكي يتعود الطفل عليها شيئاً فشيئاً ولا يتعرض إلى صدمة نفسية.

الفصل الثالث

الأمهات الشاغلات

تكمن شخصية الإنسان وقيمته بالقيام بواجباته في إطار النظم والمقررات الطبيعية والفطرية والاجتماعية. وتبرز قيمة الأم أكثر عندما تقوم بمسؤوليات المنزل وتربية الطفل على أحسن وجه. ولا يضيف إليها قيمة تعلمها أعمال الرجال واحتلال مناصبهم، فأكثر ما تكسبه هو أن يُنظر إليها كرجل أو مدير عام أو وزير ولكن لنرى ما الذي ستفقده في المقابل؟!

لا شك أن الرجل لا يمكن أن يقوم بتربية الطفل، فليس تقمص المناصب بأهم من تربية الطفل. وتعتبر وظيفة التربية أهم بكثير من سائر المسؤوليات. وليست قيمة المرأة في كونها مديراً عاماً أو رئيساً لإدارة بل تتجلى قيمتها في الأمومة. فحرام على الأم أن تستقيل من الأمومة لأجل الرئاسة وكسب المال. ولماذا تريد الحصول على المال؟! أليس من الأفضل لها أن تصنع الإنسان بدلاً من أن تضرب النقود المسكوكة وتكتب الأصالة ومفاهيم الأخلاق في مخ الطفل وعقله بدلاً من أن تطبع الكلمات على الورق؟!

حرمان الأمومة:

يحرم كثير من الأطفال أحضان وحنان الأمومة لأنهن يعملن في الوظائف العامة. ويعتبر نوعاً من اليتم ابتعاده عن الأم وحنانها وحبّها الذي لا تشوبه شائبة، فإنه محتاج إلى ذلك. فلا يملأ الفراغ الحاصل بسبب عملها ما تكسبه من المال واستخدام الخادمة والألعاب التي تقتنيها له ولا يحل مكان الحضن الدافئ لها. ولقد أثبتت التحقيقات أن ٩٠٪ من الأطفال الذين تعمل

أمهاتهم يعانون من اختلالات نفسية أو على الأقل ليسوا أسوياء. فلا تدري ما الأمومة من وجهة نظر علم التربية تلك التي تغفل وتهمل طفلها من أجل العمل خارج المنزل وهي غير مضطرة إليه، ولا تدري معنى الحب والرأفة.

عمل المرأة:

يمكن أن يكون عمل المرأة خدمةً للمجتمع بشرط أن لا يستفاد من ذلك الملاك الطاهر المليء بالحنان كوسيلةٍ للدعاية والإعلام وكسب الزبائن، وآلة في خدمة المال. صحيح أن عمل المرأة خدمة للمجتمع ولكن متى كانت مثل خدمة الأمومة وتربية الأطفال؟ وهل من المعقول أنْ تترك طفلها يتعذب لفقدانه حنان الأمومة من أجل العمل؟! ولماذا تعرّضه لصدمات روحية وجسمية؟ فسيلحق عمل الأم في الدوائر والمجتمع ومهما كانت أسبابه أضراراً نتناول بعضها في ما يلي:

١ ـ الأضرار على الحياة الأسرية:

تضطر الأم التي تعمل خارج المنزل إلى إهمال شؤون البيت بشكل يُفقِده دفأه ويظهر فيه الخراب، الضجر، الملل والشجار في الحياة اليومية، وتشعر الأم نتيجةً لكسبها المادي من العمل خارج المنزل بالاستقلالية والتحرر فلا تنصاع للقيام بمسؤولياتها وواجباتها المنزلية. ولهذا يبدأ التناقض والشجار بين الزوجين مما لا يعود بنفع على الأسرة فحسب بل يخلق من محيطها جهنماً لا يطاق، وستصبح الزوجة نِداً لزوجها بسبب ما تكسبه من المال وشعورها بالاستقلال وتخرج عن كونها شريكاً موافقاً لحياته لأنها ستكون ردفه وزميلته لا سكناً وطمأنينة له[1].

يبعث شغل الأم وعدم وجود فرصة للاهتمام بشؤون الأطفال على أنْ ينشأ أكثرهم بلا هدف وكالأعشاب الضارة لا يبالون بأيِّ قيمة في الحياة. وتفقد الأم دورها كمربية حنون يستأنس الطفل بها ويَركنُ إليها، ولا تتحكم بالجوانب الانضباطية له.

---

(١) «ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة» القران.

تخرج الأم من المنزل مكرهةً للدوام الرسمي في الوقت الذي لا يشعر الطفل بهذا الاضطرار وسوف يتعلق بأذيال ثيابها كي يمنعها من الخروج مما يضطرها لكي تسحب يديه ليس من أذيال ثيابها فحسب بل ومن رأفتها وعاطفتها وعنايتها وتوجه إليه طعنة نفسية بليغة الأثر.

ومن جانب آخر فإن شعورها بالتقصير لعدم تواجدها ساعات من اليوم في المنزل ولكي تتلافى ذلك تقتني اللعب الكثيرة وتقدمها للطفل عند عودتها من العمل وتتجاوز الحدود في إبراز حبها وتبالغ في الاهتمام به مما يؤدي إلى تهيئة الأجواء المناسبة لنشأته مدللاً كثير التوقعات وفي نفس الوقت بروح يشوبها عدم الشعور بالرضىٰ. فلا يمكن للأم العمل خارج المنزل في سنين الطفل الأولى لأن غذاءه الطبيعي والسالم يرتبط بوجودها وحاجته إلى حمايتها وقيمومتها ماسة.

الإضرار بشخصية المرأة:

يؤدي محيط عمل المرأة إلى تحريف أفكارها وتصرفاتها ويقضي على التقوى وروح التضحية والعصامية فيها، نلمس ذلك أكثر في الأعمال الحرّة والمراكز التجارية والأسواق. ولنا أن نتساءل لماذا ترغب المؤسسات الخاصة في استخدام المرأة؟!

من هنا نقول انّ المرأة وفي نفس الوقت الذي تتدعي الحرّية تصبح أَمَةً تعمل في المراكز التجارية من أجل أن تملأ جيوب الآخرين ووسيلةً مبتذلةً للدعاية والإعلام. وما يدّعيه الغرب تحت عناوين الإنسانية والاستقلال الاقتصادي للمرأة ليس في حقيقته إلاّ نوعاً من الاستثمار لا نشراً للعدالة الاجتماعية. ومن جانب آخر نذكّر بأن تأثير عمل المرأة في المجتمع لا يمكن له أن يوازي عمل الرجل وتأثيره مما سيؤدي إلى صدمة أخرى لنفسيتها وتنعكس آثاره السيئة مباشرة على الطفل والأسرة.

نفقة المرأة في الإسلام:

جعل الإسلام النفقة حقاً للمرأة لكي تستطيع أن تتفرغ إلى واجباتها التربية وتضفي على البيت بهجة ودفأً. ويرى الإسلام أنّ توقع العمل من المرأة

ظلماً لها لأنه يكفيها ثقل مسؤولية تربية الطفل وشؤون المنزل وعلى الزوج أن يقوم بمهمة العمل خارجه. فلا يبقى لذلك دليل يجبر المرأة على إهمال واجبات الأمومة والانشغال في الأعمال الإدارية.

المغالطة في عنوان الخدمة:

تغالط بعض الأمهات عندما تدّعي أنها تريد أن تقوم بالخدمة بتركها مسؤوليات الأمومة والعمل في المعامل أو في الدوائر الرسمية، يجب أن نسألهن أليست تربية الطفل خدمة؟ وهل أنّ إدارة البيت والعائلة لا تسمى خدمة؟

يتفق على أن نتائج تربية الطفل إن أحسنت تربيته أكبر من النتائج المتوخاة من عمل المرأة الإداري. وبغض النظر عن القيام بأعباء المجتمع فإن الأبناء السالمين والاجتماعيين سيقومون بأعمال كبيرة تبعث على تطوّر المجتمع ورقّيه وفخره.

الحاجة المادّية لعمل المرأة:

يستوجب الوضع المادي أحياناً أن تقبل المرأة العمل خارج المنزل كي تؤمّن مورداً آخراً لدخل الأسرة. ومن الطبيعي فإن عمل المرأة في هذه الحالة سيكون نتيجة لاضطرارها ولكن عليها أن لا تغفل عن الجوانب العاطفية والقيمومة للأسرة والطفل ويكون أكبر همها أن تمنح الطفل أكبر قدرٍ ممكن من وقتها وتقتنع بالقليل من الدخل.

القسم الخامس عشر

فقدان الأم

يعتبر فقدان الأم حرماناً كبيراً للطفل وصدمة شديدة لحياته العاطفية، فإنه لا يضيع أعز موجود يعتمد عليه فحسب وإنما سيرى بفقدها جدار أمنه الذي يتكىء عليه منهاراً. فالأم صديق وأنيس للطفل وقائده، وينبوعاً للمحبة بالنسبة له، تساعده عندما تلم به الخطوب، وتعينه على مشاكله، ولذا فإن في فقدها، فقدٌ لقسم عظيم من «أنا» الطفل. يفقد الطفل أمّه إما لغيابها أو طلاقها، أوَ الهجر وأحياناً الموت، وفي كل الأحوال فإن فقدها يشكل حرماناً للعاطفة يصعب عليه تحمله.

سنتناول في هذا القسم ثلاث حالات لفقدان الأم بالبحث والتحقيق مع مراعاة الاختصار والإجمال.

الفصل الأول

غياب الأم

يجب أن يعيش الطفل مع أمه على الأقل حتى إنهاء مرحلة دراسته الابتدائية. هذه الضرورة نشعرها لعدة أسباب من أهمها هي ضرورة التربية لأن الأم هي المعمار لبناء شخصية الطفل العاطفية والأخلاقية والتي تتشكل وتتكامل في مراحل الطفولة الأولى. فإذا اضطرت الأم إلى العمل خارج المنزل أو السفر فيجب عليها أن تنتقي له مربية صالحة تقضي أغلب أوقاتها معه بالملاطفة والمحبة.

افتراق الأم عن ولدها:

تتبعثر وتفقد معانيها جميع جوانب الحياة في المجتمعات التي تفتقر إلى الأصول في الحياة أو كانت غير موجهة ومتخبطة ومنها الجوانب التربوية. فما أكثر الأمهات اللواتي ينخدعن بمظاهر الحرية وينطلق في جميع الاتجاهات ويَدَعْنَ أطفالهن عند المربية أو يوكلنه إلى الحظ والصدفة ولا يكترثن لما يجري عليه وماذا سيؤول إليه مصيره في المستقبل فلا يجوز الاستهانة بفراق الطفل وتركه وإن كان لا بد من ذلك فمن الضروري تهيئة الأجواء الآمنة له.

حياة الطفل بعيداً عن الأم:

لا يطيق الأطفال الصغار فراق الأم ولا يمكن إلا نادراً تطبيعه على وضعه الجديد. فلا يستسيغ عواطف الآخرين التي يمنحونها له.

يتصور الطفل حياته بلا أنيس مظلمةً لمدة طويلة بعد فراق الأم فيتعذب

لذلك، ويفقد هدوءه وإحساسه بالطمأنينة فالطفل الذي يعيش بعيداً عن أمه يكون دائماً حزيناً وكئيباً، لا يضحك من صميم قلبه، ويتدهور وضعه العام يفقد شهيته للطعام يصفرّ لونه ويبتلي بالاضطراب والتشويش النفسي، يستيقظ فجأة من نومه ليلاً، ويتحجج أحياناً. سيتحمل الطفل آلام الفراق عندما يقال له بأنها سوف تعود من السفر بعد مدّة ولما يفهم بأنها لن تعود فإن إشعاره بهذا النبأ بصورة مفاجئة يمكن أن يسبب له صدمة عصبية. فإذا اضطرت الأم إلى فراق ولدها وغابت عنه فعليها أن تطمئنه بأنها سترجع قريباً لرؤيته. ومن الخطأ التصور بأن الطفل الصغير ليس له القدرة على التشخيص ولا يفرّق بين أمه وغيرها ويستطيع أن يتحمل الفراق، فلقد أثبتت التجارب أن الطفل في شهره الأول والثاني تبدو عليه ردود فعل معينة لدى فراقه عنها ويتعذب حتى إذا كانت تغذيته جيدة.

الأضرار الناجمة عن فراق الأم:

يُخِل فراق الطفل عن أمه بتصرفاته ونفسيته، تشير التحقيقات أن بعض هؤلاء ينشأ عدائياً متصعباً، غير متزن، لا عاطفة له، ولا يشعر بالمسؤولية ولا ينتمي لأي مجتمع، وينشأ البعض الآخر عنوداً لجوجاً، يتعلم طرق الهروب من المنزل، يشعر بالنقص في الحنان ولا يهدأ نفسياً. يحتاج الطفل إلى المحبة والحنان الحقيقيين لذا لا يمكن أن يكون عمل المربية كافياً لجميع جوانبه. ولقد أثبتت التحقيقات أن الطفل الذي يفقد أمه أو يفترق عنها يصاب بالتخلف في نموه وكلما كانت فترة الفراق أطول كلما كان تخلفه أكثر، وبالأخص الأطفال الذين يتمتعون بدرجة عالية من الذكاء والفطنة. فلا تتكامل شخصيته مثل هؤلاء الأطفال من الناحية العاطفية وتبقى آثاره السيئة حتى في مراحل كبره، وتتسع الدائرة لتشمل النمو الروحي له حيث تبدو آثار التخلف عليه واضحة. ويخلق الغياب المكرر للأم في الطفل حالةً من فقدان العاطفة مما يضر بالطفل ويجعله لا يقبل البديل لأمه ويكون في حالة عصيان وتمرّد دائمين.

تعتبر العوامل التي تؤثر على الطفل أثناء غياب الأم أسوأ من غيرها وهي متعددة منها ما يلي:

ـ طول مدة الفراق: فكلما كانت مدة الفراق أطول كلما كان تأثيرها السيء أكبر.

ـ عمر الطفل حين الفراق: يتأثر الطفل أكثر بفراق الأم كلما كان أصغر سناً.

ـ حياة الطفل بعد الفراق: تؤدي حياة الطفل غير المنتظمة والعشوائية عند فراق الأم إلى نتائج سيئة عليه.

ـ نوع المربية: إذا كانت المربية متصعبة وعديمة العاطفة ستترك آثارها السيئة على الطفل.

ـ تلبية متطلباته: تسيءُ إلى تربية الطفل التغذية والاستراحة غير المناسبة وتتناسب طردياً معها. يبكي الطفل أحياناً ويذرف الدموع لفراق أمه فيجب أن لا يجبر على الكف عنه في هذه الحالة بل مواساته والجلوس إليه وتهدئته تدريجياً للكف عنه.

نوع الفراق:

لاحظنا أنه كلما طال الهجر والفراق كلما كانت آثاره على الطفل أعمق وأسوأ. وسوف تسيطر عليه حالة من الاستغراب والإنكار للأم أو اللامبالاة تجعله يرفضها وينتزعها من قلبه.

لا يبعث الفراق الطويل على الاختلال بل قد يؤدي الفراق المؤقت إلى ذلك أيضاً، فمثلاً تظهر عند الطفل عوارض مثل الاضطراب في النوم والطعام، اختلالات أخلاقية، تخبط في البرامج الانضباطية، العناد، وتوقعات كبيرة. عند غياب الأم يوماً أو بعض يوم عنه ولذلك يجب عليها أن توجه الطفل وتطمئنه بأنها ستعود قريباً.

لا تستغلوا غفلة الطفل أبداً للافتراق عنه فإذا كانت الأم مضطرة إلى السفر مثلاً عندما يكون طفلها في الروضة فعليها إعلامه مسبقاً ببرنامجها لأنه عندما يعود من المدرسة يتوقع أن تستقبله أمه في البيت وسوف يؤلمه فقدانها حينما يسأل ويبحث عنها ولا يجد لها أثراً. ويجب أن لا تغفل أن حياة الطفل في سنيه الأولى تتمحور حول الأم فعليها أن تنتظر بلوغه لزوال تلك الحالة.

في أي عمر يطيق الفراق:

لا يطيق الطفل الفراق ولو ليوم واحد حتى السنة الثالثة من عمره لأن حياته مرتبطة في هذا العمر ومتعلقه بها. ويطيق غيابها ليوم أو يومين في سنه من ٣ ـ ٤، وعندما يبلغ السادسة يستطيع أن يتحمل فراقها لأسابيع وبسرور لأنه يُشبع غروره وفي هذه السن يخطو خطواته الأولى نحو الاستقلالية في الحياة، وفي الربيع الثامن من العمر يمكن له الصبر على الهجر والفراق الطويل الأمد فكلما صعد في سلّم العمر كانت طاقته على الفراق أكبر.

وترتبط المسألة بنمو الطفل ورشده العقلي أيضاً فكلما كان نضوجه العقلي أكبر وأسباب الفراق واضحة كان تحمله لآلامه أجمل، وعلى أية حال يجب أن يطمئن الطفل إلى حب أمه له وتفكر فيه وتريده وإن كانت غائبة عنه.

رفض الأم:

يمكن أن يؤدي غياب الأم الطويل إلى أن ينكرها الطفل ويستغرب منها ويتألم، ويمكن أن يرفضها ولا يلقي بنفسه في أحضانها، ولا يبتسم لها و... الخ مما يدل على أن الطفل ما زال عصبياً وغير راض عنها بسبب فراقها. يجب في هذه الحالة أن لا يُجبر الطفل على معانقة أمه أو احتضانها وأن لا نتضايق من رد فعله هذا لأنه سيأنس إليها تدريجياً وتعود المياه إلى مجاريها.

الفصل الثاني

الانفصال والهجر

يعتبر الطلاق نوعاً من التفكيك والتشرذم في الحياة وتخبطاً في جو الأسرة الدافىء. يمكن أن لا يشعر الزوجان للوهلة الأولى بذلك لتصورهما أنه قد ارتاح أحدهما من شر الآخر ولو أن هذا التصور لا ثبات له ولكن الطفل سيتحمل تبعاتها الثقيلة عليه.

لا تفقد الأم التي تغيب عن البيت والمطلقة حياتها ولا تفارق أجواء المحبة والإلفة فحسب بل وتضيع طفلها وفلذة كبدها.

ضرورة التحمّل من أجل الطفل:

يجب أن يفهم الزوجان المطلقان بأن مشاكلهم ليست غير قابلة للحل دائماً بل يمكن حل الكثير منها بقليل من التوضيح والصبر والتنازل من الطرفين. ويمكنهما بتوضيح أسباب الأخطاء والاضطراب والتناقض القضاء على الكراهية والحقد المتبادل وإقناع أحدهما الآخر للاستمرار بالحياة المشتركة، على أية حال لا يخرج الطلاق عن حالتين إما أن يقوم الرجل بطلاق زوجته أو تطلبُ هي الطلاق منه. لا منحى لها في الحالة الأولى من أن تتولى هي شؤون حياتها وطفلها والقيام بمسؤولياتها ونقول في الصورة الثانية بأنها قد ارتكبت ذنباً عظيماً، فليست أمّاً تلك التي تنفصل عن زوجها ولا تشعر بمسؤوليتها تجاه طفلها، فعليها أن تسوّي مشاكلها بشكل لا يؤدي إلى الطلاق إن كانت تحبُ ولدها حقاً. ولا تفكر الأم التي تريد سعادة طفلها بالطلاق وإن كان الحق معها وستستنجد بذويها وذويه ومن يؤثر عليه من أجل ديمومة حياتها

الزوجية للتوسط بينهما. وليس ذلك عاراً عليها تتثاقل منه بل أجدى بها أن تفتخر به لأنها ستضحّي براحتها من أجل طفلها. وإذا قامت بعكس ذلك فمعناه أنها مريضة وغير سويّة وليست أُماً.

نتائج الطلاق:

يمكن أنْ ينفصل الزوجان لحب جديد أو عدم الوئام والانسجام وسينالون الراحة ظاهرياً ولكن آثاره السيئة ستلازمهما وتلازم أطفالهما حتى الموت لأن الطلاق يخرب عش سعادتهما ويورث المحنة والعذاب للأطفال، ويجعل مصير الطفل ومستقبله حالكاً يشعر باليتم أكثر من أي يتيم آخر. وهناك احتمال ضعيف أن يحصل الزوجان على الراحة بعد الانفصال ولا يتورطان في مستنقع آخر ولا تأخذهم حوبة الطفل وآهاته وتشرده. والخلاصة يعتبر الطفل هو الضحية الأولى في حادثة الطلاق ويجب الشك في سلامة عقل مثل هذين الزوجين اللذين لا يفكران إلاّ بأنفسهما وينسيان طفلهما وما سيصيبه في الحياة.

طاقة التحمل عند الطفل:

لاحظنا في الفصل السابق أن الطفل الصغير يتحمل الفراق بمشقة، وتظهر عنده حالات من الاضطراب والقلق الشديدين، وكم من هؤلاء تتكون عندهم عقدة الشعور بالذنب لتصورهم بأنهم السبب وراء تبعثر حياة أبويهم أو يظن الطفل أن أمه قامت بمعاقبته على شيطنته فتتشائم نظرته إلى الحياة ويكره نفسه.

الأضرار التربوية:

يواجه الطفل الذي ينفصل أبواه مشاكل تربوية أشد من الطفل الذي يفقد أحد والديه وبعبارة أخرى فإن الأضرار التي تلحق به من وفاة أحد والديه أقل بكثير منها إذا انفصل الأبوان. ويتعرض الطفل إلى اختلالات متعددة في حياته الأخلاقية ويتغير سلوكه إلى درجة جعلت علماء النفس يؤكدون أن ٩٠٪ من الأمراض النفسية عند الأطفال سببها فقدان الأم، ويسبب أحياناً شجار الوالدين، الهجر، الطلاق وعدم الانسجام إلى ابتلاء الطفل بأمراض من جملتها الاذرار الليلي، الإفاقات المتناوبة ليلاً، الاضطراب

والقلق، الأرق، وفقدان الشهية. . . والخ.

تتهيج إحساسات الطفل الذي يفقد أمه لسبب الطلاق أو الموت إلى درجة تؤدي إلى إحساسه بالخوف والحقارة وخاصة في السنين الأولى من حياته والتي يكون فيها من الناحية النفسية معتمداً على الأم. يمكن أن يبدأ الوالدان حياة جديدة بعد الطلاق ويصلان إلى السعادة ولكن الطفل سيبقى محروماً ويذهب ضحية لهما.

قلق الطفل:

عندما يتعرض الطفل إلى هم وعذاب جديدين سوف يتململ منها ويعبر عنها بالصراخ والعويل، ينهض من نومه عند منتصف الليل فزعاً ببكاء وصراخ يصك الآذان ولا يركن إلى سعي الآخرين في تهدئته وتسليته وتضيق عليه دائرة الحياة بما رحبت وتزداد آلامه يوماً بعد آخر، وتبدو عليه علامات الضعف، الاصفرار، والنحول العام والكآبة.

كيف نخبر الطفل بالفراق:

ليس صحيحاً أن تترك الأم طفلها فجأة عندما تريد الانفصال. فعليها أولاً أن توضح له بلغة يستطيع فهمها ويدرك معانيها الأسباب ولا ترسم صورة الطلاق له بأنه قضية محزنة مأساوية ونهايةً لكل شيء بل يجب أن تجعله أمراً عادياً لا بد منه.

فمثلاً تقول للطفل: «أنا وأبوك نتشاجر كثيراً ومن الأفضل أن لا نعيش معاً في بيت واحد لذلك فسوف أعيش في بيت ويعيش أبوك في بيت آخر ولكنني سأزورك باستمرار».

ويجب أن لا تجعل طفلها يحزن ويتأثر بل تمنحه الهدوء والاطمئنان وتودعه عند الانفصال بدون إطالة لمراسيمه، ومن الطبيعي أن نتوقع بكاء الأم والطفل عند ذلك.

حضانة الطفل:

على الأم أن تسعى إلى حضانة طفلها بعد الانفصال قدر الإمكان، وللإسلام آراء لصالح الطفل في ذلك، وبالأخص إذا كان الطفل صغيراً

جداً. ويجب عليها أن تقضي أكثر وقتها معه ولا تتزوج بعد الطلاق فوراً، فإذا لم يمكن ذلك فعلى الأب أن يحتضن الطفل ويقوم برعايته ولا يودعه في دور الحضانة أو تُخصص له مربية أو قيّم.

الزيارات بعد الانفصال:

تصبح مسؤولية الأم أكبر عندما لا يكون الطفل معها بعد الطلاق، فعليها أن تزوره بصورة متناوبة وبفواصل زمنية قصيرة لتضفي عليه المحبة والحنان وتقوم بواجباتها تجاهه. يفتقر الأطفال البعيدون عن أمهاتهم إلى المحبة والحنان ويشعرون بالحاجة الماسة إلى الدلال، فمن الضروري أن تغسل الطفل وتستحم معه، وتطعمه وتنام إلى جانبه وتهدي إليه الهدايا وتمسح بيدها على رأسه، تقبله، تعانقه، وتضمه إليها و. . .الخ.

الحياة المصطنعة:

كم هو مسكينٌ الطفل الذي افترق أبواه وأصبح تحت رحمة المربية والخادمة، حياته كلها مصطنعة فلا يحس بعواطف حقيقية ولا يشعر بالحب والحنان الواقعي لا تحنو عليه المربية إلاّ كما تحنو على سائر الأطفال ولهذا فهو يشعر بالنقص فيها لأنه بطبيعته أناني يريد الحب والحنان إليه فقط أما الآن فليس له محل من الإعراب.

فيجب أن لا يوضع في دور الحضانة الطفل الذي افترق عن أبويه، ويجب السعي ليقوم بشؤونه شخص يأنس به مثل العمة، الخالة، الجدّة ومن الضروري أن يكون ضمن أسرة لا في رياض الأطفال، وعلينا أن نعلم أن أجواء دور الحضانة ورياض الأطفال وإن كانت جذابة للطفل فهي ليست المحيط المناسب لتربيته.

ملاحظة تربوية:

تكون نظرة الأم المطلقة إلى زوجها متشائمة عادةً فمن الخطأ أن تقوم بتحطيم شخصيته لدى الطفل فمن الضروري أن يحب الطفل كليهما لأن حب أحدهما وكراهية الآخر له آثاره السيئة في بناء شخصية الطفل.

الفصل الثالث

وفاة الأم

يشكل وفاة الأم مصيبة وحزناً كبيراً للطفل أكبر من وفاة الأب. فلا يفقد الطفل بوفاتها مربيته فحسب بل مؤنسه ومحل أسراره. ولذا يصعب عليه تحمل الفاجعة وتزداد لوعته وأساه عندما يشعر بالوحدة والإهمال تلقّانه، ويمكن أن يثير وفاة الأم عصبيته ويستفزه لارتكاب الجرائم، والتهجم على الآخرين، واللجاجة فالعلاج الوحيد لمثل هذا الطفل هو الاهتمام به والحنو عليه أكثر والأهم هو ملء الفراغ الناشىء عن وفاة أمه بمن يستطيع أن يشغله ويكسب ثقته واعتماده عليه.

مشاعر الطفل عند وفاة أمه:

يمتلىء الطفل عندما تفارق أمه الحياة شعوراً بالوحدة واضطراباً لفقد المدافع والحامي ويتذكر في عالم خياله أنّ أباه هَمّ بضربه يوماً ومنعته أمه فإذا عاود الأب محاولة ضربه ثانية فمن الذي سيقف أمامه ويمنعه؟

ويتصور أحياناً بأن شيطنته هي السبب في موت أمه ولأنه عصاها أو خالف أوامرها وإلاّ فما كانت لتموت، وهنا من الضروري أن نصلح طريقة تفكيره الشاذة.

تَغيّر سلوك الطفل:

يشعر الطفل بالتحرر عندما تتوفى أمه المتصعبة والتي كانت تمنعه عن كثير من الافعال، أما الآن فلا يجد من يمنعه وسيقوم بأعماله التي كانت

ممنوعة عليه. ويمكن أن يكون السبب في تغيير سلوكه هو إحساسه بالضياع لفقده من يلجأ إليه، فلا يجد من يستقبله عند عودته من المدرسة، وليس هناك من يناغيه ويمسح على رأسه ويدلله عندما يستسلم للنوم مما يؤدي إلى عناده ولجاجته. وتسوء الحالة أكثر وتهيج أحزانه عندما يتعرض للمعاقبة، فينادي أمه ويستغيث بها. عندها تصبح مسؤولية المربين مضاعفة في التربية.

الأمنيات الخيالية:

كثير ما يتمنى الطفل أن تعود الحياة إلى أمه ويتصور أن بكاءه وصراخه الشديد سيبعث الروح في جسدها الخامد وسوف ترجع إليه، ويدعو أحياناً ويتضرع إلى الله بيديه الصغيرتين طالباً منه عودتها فلما يرى أن دعوته لا تستجاب وأن أمنيته لا تتحقق تتزلزل معنوياته وتتعرض نفسه إلى صدمة شديدة. هنا يبرز دور المربي لتوضيح مفهوم الموت وتبسيطه له والإسراع لنجدته من الانهيار.

سلوان الطفل:

لا يجب إكراه الطفل على نسيان وفاة أمه وعدم السماح له بذكرها وذكر محاسنها على خلاف ما هو شائع، بل يجب أن يناغيها، ويستشعر وجودها ولا يخفي أحاسيسه بالخوف من موتها ويبدي عواطفه تجاهها ويجب أن نشاركه في ذلك. فلا تمنعوا الطفل من البكاء واطلقوا عنانه للبكاء والعويل فإن لذلك أثره المهدىء لنفسه ومن جانب آخر يحرك عنده المشاعر الإنسانية ويقويها.

معنى الموت:

يعتبر الموت بالنسبة للأطفال عالماً من الألغاز والأسرار يثير في ذهنه آلافاً من الأسئلة[1] لماذا ماتت؟! ولماذا لا تعود إليها الحياة؟! وماذا تصنع في القبر؟! وما تأكل هناك؟! وكيف تتلافى حر الصيف وبرودة الشتاء؟! و... الخ

فمن الضروري تلقين الطفل مفاهيم عن الموت والحياة أثناء مراحل نموه

---

(١) والكبار أيضاً [المترجم].

ورشده ونشرح له بلغة بسيطة وطفولية بأن الموت يعني نهاية للحياة في الدنيا وبداية لها في عالم آخر. فلا يمكن للميت التنفر من الآن فصاعداً، ولا يحس الأشياء، ولا يأكل الطعام، ولا يحتاج إلاّ إلى الدعاء وعمل الخيرات وبالتالي فالموت مسألة عادية والكل يموت ولكن تختلف الآجال وأنه ليس هناك نهاية للحياة.

ولا شك أن شرح تلك المفاهيم تتفاوت بتفاوت عمر الطفل وعلى الأم أن تبين لطفلها أسباب موت الأقرباء في سنينه الأولى.

تلقين الفكر الديني:

يضطرب الطفل عندما تموت أمه، ولذلك فإن تلقينه بالفكر الديني والتوضيح له بأن الموت ليس فناءً بل حياةً بشكل آخر سيساعد على تسكينه وتهدئة عواطفه ويقضي على حالة القلق عنده وبالأخص عندما يفهم بأن هناك حياة يعاقب فيها المسيء ويُثاب المحسن.

عدم إبعاده عن البيت:

لا تختلقوا الأعذار الواهية لإخراج الطفل الذي فقد أمه من البيت ليقضي أياماً مع خالته أو عمته لأن آلامه وحزنه وهمومه ستجدد ثانية حالما يعود للمنزل فلذلك الأفضل له أن يشارك أعضاء الأسرة عزاءهم ومصيبتهم ويشاهد المناظر المختلفة ويأنس بمفاهيم الموت ولو قليلاً.

انتخاب الزوجة الثانية:

يجب ملء الفراغ الناشيء عن فقدان الأم، بامرأة حنونة تضفي على البيت دفئاً وحرارة وتملأه عاطفة ومحبة وتهيء الأجواء المناسبة لإزالة حالة الاضطراب والخوف عند الطفل. فانتخاب زوجة ثانية وسلوكياتها وحالاتها الأخلاقية له أهمية بالغة في حياة الطفل، وبعبارة أخرى يجب أن تكون زوجة الأب ملائمة للرجل والطفل في آن واحد فعليه انتقاء زوجة مثقفة تطفح بالعواطف والأحاسيس الإنسانية.

واجبات زوجة الأب:

تقع على زوجة الأب مسؤوليات جسيمة في مقابل الزوج والطفل اليتيم، فعليها أن تملأ فراغ الزوجة المفقودة للأب وأن تلعب دور الأم الحنون للطفل المفجوع. فستخفّ آلام الطفل عندما يلمس الحنان والعطف من الزوجة الثانية. فكيف ستكون حياته فيما لو كانت زوجة الأب متصعبة ومتشددة تعامله بخشونة لتثير حزنه وأساه الكامن في قلبه؟!

ملاحظات لزوجة الأب:

يعتبر الموت مصيبة لا يمكن لأحد الفرار منها. ولا يستطيع أي فرد أن يدّعي بأنه بعيد عن الموت ولا يطمئن حتى الشباب من الأزواج لعدم تيتم أطفالهم.

تحلّين اليوم مكان الأم وبجانبك طفل يتيم، لا ذنب له في وفاة أمه ويستحق كل رأفة ورحمة، إنه يفتقر إلى مزيد من المحبة والعاطفة، وتقع عليه مسؤولية كبيرة في الاهتمام به وتسليته ولكن ليس إلى الدرجة التي تؤدي إلى نشأته مدللاً عشوائياً.

لا تؤذيه باللسان، والحقد والكراهية وتفرغي حنقك عليه بالأخص على مشهد من أقرانه فإنك إنسانة وهو إنسان ولكن أقل منك عمراً، إنه طفل بلا ناصر ويحتاج إلى المداعبة، فقد أمه يعني دنياه بأكملها، متعطش إلى الحنان، يفتقر إلى العاطفة والرحمة، فاضفي عليه حنانك ومحبتك ولا تكترثي لتحريك الجهّال الحاقدين.

الفهرس